

الدكتورة فاطمة بلهواري

الفاطميون

وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي



الفاطميون وحركات
المعارضة
في بلاد المغرب الإسلامي



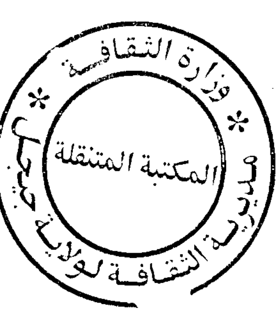
طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في اطار تلمسان عاصمة

الثقافة الاسلامية

دار المسك للطباعة والنشر

ردمك: ISBN: 978-9961-928-31-8 .

الايداع القانوني: Dépot légal: 2011-1654



الدكتورة/ فاطمة بلهواري

الفاطميون
وحركات المعارضة
في بلاد المغرب الإسلامي



الفصل الأول

السياسة المذهبية والإدارية للفاطميين في بلاد المغرب



أسلوب نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي.
محاربة الفاطميين للمذاهب المغربية.
التنظيم الإداري للفاطميين.



عرفت الفرق الإسلامية قيمة الدعاية منذ ظهورها كوسيلة للتعرف على مبادئ مذهبها ونشر أفكاره والدفاع عنه، كما استخدمتها أيضا في محاربة بعضها البعض وأن امتازت بالطابع الديني المتمثل في مجالس المناظرات[1] إلا أنها لم تتوصل إلى ما حققته فرقة الإسماعيلية من مرونة في نشر مذهبها من مرحلة إلى أخرى مع مراعاة الظروف والأحوال[2] ومطالبة الشيعة بحق الإمامة في آل البيت دفعهم أحيانا إلى ستر الإمام وكتمان العقيدة خشية من سيوف بنى العباس.

وتشير بعض النصوص إلى مقدار جزع جعفر الصادق[3] وهلعه لما أصاب بني عمه وأقرباءه من صنوف الذل والمهانة وحملوا خارج الحجاز إلى الهاشمية بأمر الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور[4]

([1]) الأشعري مقالات الإسلاميين، واختلاف المصليين، ج1، صفحة 49-63-65.

([2]) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة صفحة 26-27-28-29. ابن خلدون: العبر، ج4، صفحة 31. المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج1، صفحة 41. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص18.

([3]) عن ترجمته انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، صفحة 291. ابن طولون: الشذارات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشرية، صفحة 85 وما بعدها. الشهرستاني: الممل والنحل، ج1، صفحة 224، ج2 صفحة 2-3. Encyclopédie de l'Islam (ART) Djafar, T2, p102

([4]) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين صفحة 124-158. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، صفحة 539. اليعقوبي: تاريخه، ج3، صفحة 105-106-111-112. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج2، صفحة 3-4.

فأرسل جعفر الصادق إلى عبد الله بن الحسن رسالة تعزية تفيض بالآلام والحسرة وتحث على التآسي بالأسلاف والاحتكام إلى الكتاب المقدس والتفويض إلى الله والتمسك بالصبر[1].

ويبدو أن العبرة التي استخلصها هؤلاء الإسماعيليون من أسلافهم جعلتهم يبدأون عند بث دعوتهم في نطاق الحيطة والحذر والسرية التامة إلى حين نضج وعي الأنصار والأتباع وأدركو مشقة ومسؤولية العمل.

فخصصت هيئة خاصة يترأسها داعي الدعاة وكان يساعده اثنا عشر نقيبا في نشر تعاليم الدعوة[2] بحيث حتم نظام الدعاية

Talbi : l'Emirat Aghlabide. Histoire Politique pp 561-562.

(1) ويؤيد ذلك عثورنا على رسالة منسوبة إلى جعفر الصادق وجهها إلى بني عمه الحسينيين يعزيهم عما صار إليه وضعهم على يد أبي جعفر المنصور لزين الدين العاملي التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية على مذهب الشيعة الاثنى عشرية ورقة 6، مخطوط بالمكتبة الوطنية في تونس رقم 18335.

(2) وقد عرف أيضا باسم "باب الأبواب". الباب عند الشيعة هو خازن علم الإمام ومستودع سره والواسطة بينه وبين أتباعه. راجع ابن الأثير: الكامل، ج7، ص178. الشيرازي: المجالس المؤيدية، المجلس 24، ص114. محمد كامل حسين في أدب مصر الفاطمية، ص39-40. مقال الداعي في دائرة المعارف الإسلامية، ص94، 95-96.

الإسماعيلية على أتباعه أن يلموا بمختلف عقائد الفرق والمذاهب المعاصرة[1].

والغالب على الظن أن هذا الشرط قد وضع حتى يكون الداعي منهم على دراية بخبايا عقائد المذاهب والفرق على تعددها واختلافها كي يتسنى له التناظر معها، وكما اشترط أيضا فيه أن يكون قادرا على التمويه وتقمص عدة شخصيات[2]، وبذلك توصلت الفرقة الإسماعيلية إلى تنظيم أسلوب في الدعوة مشوب بأسرار دينية وبخطط سياسية ماهرة[3].

واتبعت هذه الفرقة مبدأ سرية الدعوة واختفاء الأئمة[4] وجعلت من سلمية[5]دار هجرة للإسماعيلية وللإمام المستور ومركز جذب

([1]) مقال الإسماعيلية، دائرة المعارف الإسلامية، ص 194.

([2]) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص130. رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص123. صالح مصطفى مفتاح: برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية، ص104-105. شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص72.

([3]) ابن أيبك الدواداري: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ج6 من كنز الدرر، ص4. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص82.

([4]) Diehl. (CH) et George Marcais : le monde orientale de 395 à 1081. T3, p422.

([5]) وهي أرض حمص من بلاد الشام، كما توجد سليمية في بلاد المغرب، أنظر ابن خرذابة: المسالك والممالك، ص88.

الأنصار وانطلاق للدعاة في أفاق العالم الإسلامي وفي جزره المختلفة والبعيدة عن حاضرة الخلافة العباسية في بغداد[1].

كما ظفرت بلاد اليمن بذات المكانة في الدعوة وفي الإشراف عليها في مناطق كثيرة من بينها بلاد المغرب الذي انطلق إليه الدعاة الإسماعيليون من مدرسة الدعوة في بلاد اليمن بتزكية أبى القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي الذي اشتهر بلقب منصور اليمن[2].

وفي مجال البحث عن جذور حركة التشبع وعن كيفية تسرب الدعوة الإسماعيلية إلى بلاد المغرب نشير إلى أن هذه المنطقة، مثل غيرها من بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، كانت مفتوحة لمختلف المذاهب والتيارات السياسية والفكرية التي تظهر بالمشرق. ويرى البعض أنها وجدت بها منذ عهد جعفر الصادق[3] الذي بعث

([1]) النعمان: الافتتاح، ص 1. المقريزي: اتعاظ الحنفاج، ص60. ابن الوردي: تاريخه، ج1، ص347. حسن إبراهيم حسن وطه محمد شرف: عبيد الله المهدي، ص25، 225. محمود علي مكي: التشيع في الأندلس صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد2، ص12.
Hamdani (A) The fatimids, p4.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص32. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص126، ج7، ص10. محمد بن مالك الحمادي: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص202. اليمني: أنباء الزمن في تاريخ اليمن، ص38-40. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص28.

([3]) النعمان: الافتتاح، ص26-27. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص126، ج8، ص10.

في آخر حياته باثنين من الدعاة هما: الحلواني[1] وأبو سفيان[2] وأمرهما بنشر الدعوة الإسماعيلية وقال لهما ما معناه:

"بالمغرب أرض بور فأذهبا وأحرثاها، ومهداها حتى يجيء صاحب البدر". وذكر "القاضي النعمان" بهذا الصدد أنه (أمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حد البربر، ثم يفترقا". فلما وصلا إلى مرماجنة[3] نزل أحدهما وكان أبو سفيان بموضع يقال له تالا[4] فاعتنق مذهبه عدد من أهل مرماجنة والأربس[5].

كما يستفاد مما ذكره المؤلف أن أبا سفيان هو الذي نشر مهب الإسماعيلية ببلاد قسطيلية. أما الحلواني فقد نزل موضعا يقال له

(1) وهو عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني: الافتتاح، ص28.

(2) وهو أبو سفيان الحسن بن القاسم: الافتتاح، ص27.

(3) قرية من قرى هوارة بإفريقية، وقد ذكر الحموي أنها تبعد عن الأربس بمرحلة غير أنه لم يحدد موقعها. أنظر معجم البلدان، ج5، ص109. ابن حوقل: صورة الأرض، ص74. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص5. الإدريسي: نزهة المشتاق، ص118.

(4) تقع شرق تبسة على الحدود الجزائرية التونسية حاليا.

(5) تقع غرب جبل زغوان بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام. البكري: المغرب في ذكر إفريقية، ص36.

الناظور[1]، فاشتهر ذكره بين القبائل وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماتة[2].

ومن خلال ما تقدم تجلي لنا أن الدعوة الإسماعيلية وجدت بالمغرب قبل أبى عبد الله الشيعي بزمن طويل وأصبح لها اتباع ومراكز انطلاق الدعاة للبث بها بعد أن سخر هؤلاء كل الوسائل لأجل خدمة الأغراض المذهبية، وخلق كيان سياسي، والأبعد من هذا كله أنها أولت القرآن تأويلا يتماشى وأهوائها ومصالحها الخاصة[3] أن رأت فيه ظاهر وباطن[4]، والباطن لا يفهمه سوى

([1]) يقع حصن الناظور بنواحي بجاية. الإدريسي: وصف إفريقية، ص28. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص126-127. ابن خلدون: العبر، ج4، ص31. المقريزي: الاتعاظ، ص54.

([2]) ومراكز سوماطة وهي فرع من نفزاوة في إقليم القيروان وناحية مليانة وبقرب بني جناد وجبال الهبط بين قبائل جبالة في تطوان، وبجبال زواوة وقرية ايسوماتن، وهي تنسب إليها البكري: المغرب، ص84. النعمان: الافتتاح، ص20. ابن حوقل: صورة الأرض، ص93. ابن خلدون: العبر، ج4، ص32.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص159. كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص131. المجذوب: الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ص178. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص151.

([4]) والباطنية من يعتقدون أن لكل نص باطنا يدركه الخاصة من الناس بطريق التأويل، وهؤلاء يسقط عنهم التكليف بخلاف الجهال، ولقد لقبوا بالسبعية لقولهم أن أدوار الإمامة سبعة وأعلاها زحل، كما عرفوا بالتعليمية لأن مذهبهم دعوة الخلق إلى التعليم من الغمام المعصوم وإبطال الرأي واستخدام العقل، كما عرفوا بالترابية نسبة لأبي تراب، وهو لقب شرفي أطلقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) تكريما لعلي، وأيضا بالطالبيين نسبة لعلي بن أبي طالب، انظر النوبختي:

الإمام على زعمهم. كما كان أيضا للأحاديث النبوية شأن لخدمة أغراض هذه الفرقة[1].

وأسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الخلافة الفاطمية يختلف عنه بعد قيامها حيث ارتكز على الإقناع السلمي[2] عند نشر المذهب تماشيا والظروف العامة هذا زيادة عن حاجتها الماسة إلى قوة عسكرية تساندها عند قيام الدولة فحين جاء أبو عبد الله

فرق الشيعة، ص57-58. الشهرستاني: الملل والنحل. ج2، ص28-29. السجستاني: كتاب الينابيع، ص11. أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، ص23-32. أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، ج1، ص357. ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص250-255. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص15-69. ابن ضياف: أتحاف أهل الزمان: ج1، ص191. ابن ظافر: أخبار الدول المتقطعة، ص1. جمال الدين سرو: الدولة الفاطمية في مصر، ص107. عباس محمود العقاد: فاطمة الزهراء والفاطميون، ص92.

Ency. Of Islam ART BATINIA, T1 ,pp 113-132. Art ALIDE, T1, p293.

(1) ومن ذلك أن المعز لدين الله الفاطمي فسر أول حديث العبد وما ملكت يداه لسيده، ومولاه تفسيرا يتماشى وأهدافه السياسية بأن أمر المعز أن يعطي للعبد الذي دخل الدعوة الإسماعيلية حقا مساويا للحر أما العبد الذي لم يدخل بعد فيها، فيطبق عليه نظام الرق فلا تصح شهادته، وهدف الفاطميين هو ترغيب الأهالي في اعتناق المذهب الإسماعيلي والانتماء للخلافة الفاطمية حسن إبراهيم حسن وطه محمد شرف: المعز لدين الله الفاطمي، ص193.

(2) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج26. مخطوط بدار الكتب رقم 549 معارف عامة ورقة 31 صالح مصطفى: تاريخ برقة وطرابلس، ص104-105. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص59. مرمول: تاريخ الشرق الجزائري في نهاية القرن الثالث الهجري: مجلة الأصالة عدد 64 سنة 1978، ص109.

الشيعي إلى بلاد المغرب وجد الأمر ممهدا والمذهب الإسماعيلية فيه، فسار على منوال سابقيه في الاعتدال والتدرج عند بث دعوته[1].

ولم تكن سياسة أبى عبد الله الشيعي تلقائية بل كانت تهدف إلى أمور جسام فبمجرد أن دخل رقادة بادر ببسط نفوذ المذهب الإسماعيلي عقائديا، وسياسيا، فأظهر سلوكا حسنا وصفات تؤهله لقيادة دولة فتية فأبدا العفة والأمانة والنزاهة والعدل والإحسان في الناس حتى مالوا إليه[2].

فجاءت سياسة أبى عبد الله الشيعي مدرسة للتعايش السلمي بين المذاهب والاتجاهات المختلفة قبل أن يعلن قيام دولته رسميا حرصا على عدم الضرب بالمذاهب التي عرفت رواجا في المغرب

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص125. مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص103. تاريخ الشرق الجزائري، ص108. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص59.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127. النعمان: الافتتاح، ص123. صالح مصطفى مفتاح: برقة وطرابلس، ص104-105. عبد المولى: القوى السنية في بلاد المغرب، ج1، ص270. عادلة على: قيام الدولة الفاطمية، ص113.

كمذهب أهل الجماعة ومذهب الخوارج من جهة[1]، وجهله لطبيعة أهل بلاد المغرب وحاجته الماسة في كسب الأنصار، فرضت عليه نوعا من السلوك السلمي فلم يشأ إثارة المتاعب، وهو لم يحقق بعد مبتغاه في خلق كيان سياسي لهذه الفرقة[2].

وقد أحكم أبو عبد الله الشيعي التصرف عند دخوله القيروان يوم السبت غرة رجب 296هـ/ فبراير 909م، إذ منع جنده من استباحة المدينة[3]، فاستقبل فقهاء وتجار هذه المدينة بود

---

(1) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص137. النعمان: الافتتاح، ص66. دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص613-614. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص132. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص59. عبد الله عنان: مصر الإسلامية، ص127.

Golvin : le Maghrib Central, p48. Arthur, Pellegrin : Histoire de la Tunisie, p146. Georges Marais, Société, Historique Algérienne 1er et 2ème trimestre 1904, p56. B.Bel : coup d'œil sur l'Islam en berberie, p2. Extrait de la revue des religions Janvier, Février 1917. Jean Depois : l'Afrique blanche. Presses Universitaires de France 1949. p 123. Dachraoui (F) : le Califate fatimide, pp 405-406.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127. الاصطخري: المسالك، ص37. محمد عبد المولى: القوى السنية في بلاد المغرب، ج1، ص269-270. مرمول: تاريخ الشرق الجزائري، ص109. عادلة على: قيام الدولة الفاطمية، ص113.

(3) المقريزي: الاتعاظ، ص87.

ظاهر وأمنهم في أرواحهم وأموالهم[1] نظرا للمكانة الاجتماعية التي يمتازون بها في التأثير على العامة[2].

فقد حرص أبو عبد الله الشيعي بهذا على الالتزام والتعقل في غرس المذهب الإسماعيلي حتى حين قدم إفريقية أنكر أنه كوفي[3]، فأظهر أمره على أنه صنعاني تقية من أنصار النحل الأخرى للمنطقة. واستمر أبو عبد الله في غرس المذهب الإسماعيلي وتمكينه تدريجيا بين الأهالي، فحارب بعض السلوكيات القبيحة لأهل المغرب كشرب الخمر، والشذوذ الجنسي الذي انتشر بينهم فعاقبهم عليه وأمرهم بالكف عن ذلك[4].

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص246. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص17. ابن خلدون: العبر، ج3، ص364. ابن عذارى، ص 150.

(2) Vonderheyden (M) : la berberie orientale sous la dynastie de Benou Larlab, p311.

(3) رأى كل من ابن عذارى (البيان، ج1، ص124) والمقريزي (الاتعاظ، ج1، ص68) أن أبا عبد الله الشيعي من أهل صنعاء إلا أنه يحتمل جدا أنه كوفي الأصل حيث ذكر القاضي النعمان أنه عرف بالصنعاني لتوجهه إلى صنعاء اليمن، وهي في ذلك الزمن أحد مراكز الدعوة الإسماعيلية. الافتتاح، ص30

(4) النعمان: الافتتاح، ص246. ابن حوقل: صورة الأرض، ص91. موسى لقبال: الحسبة، ص47.

فحينما دخل القيروان أصدر أمرا بأن يرفع إليه كل من يخرج ليلا أو شرف مسكرا كما طلب بإحضار أهل الدعارة والفساد فوقع عليهم العقوبة[1]، فانصلحت أحوال البلاد وأمنت السبل.

ويبدو أن أبا عبد الله الشيعي قد سلك هذا الأسلوب بايكجان[2] عند وصوله أرض المغرب بحيث أمر بإسقاط صلاة التراويح في رمضان لأنها من سنة عمر بن خطاب، كما أمر بزيادة (حي على خير العمل) في أذان الفجر[3].

بيد أن هذه الإجراءات الجديدة قد أثارت غضب وسخط الناس فظهر الشقاق بينهم، وأعلنوا استنكارهم لها[4]، وبذلك قد فتح على نفسه باب المعارضة التي كادت تعصف بوجود هذه الدعوة

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

(2) في الأصل "ايكجان" وهو جبل بين سطيف وقسنطينة بالناحية الشرقية لجمهورية الجزائر، وعرف ذلك الجبل بـــ "فج الأخيار" كانت تسكنه قبائل من كتامة إذ كان هذا الموقع محل اجتماع الحجاج من الأندلس والمغرب وقد امتازت هذه المنطقة بحصانة طبيعية. الحميري: الروض المعطار، ص49. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127. النعمان: الافتتاح، ص47-48. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص19. مرمول: تاريخ الشرق الجزائري، ص120. مراجعة الموقع الجغرافي في الخريطة رقم -1- من هذا البحث وصورة رقم 1 .

- Georges Marcais : la berberie musulmane, p133.

- Gautier : les Siècles obscurs, pp 324-325.

(3) ابن عذارى: البيان، ج1، ص127.

(4) المرجع نفسه، ص127-128.

الشيعية نهائيا في بلاد المغرب[1]، إلا أن أبا عبد الله الشيعي تدارك الموقف بفضل قدراته الشخصية الفذة في الجدل والإقناع كما راع في دعوته سذاجة أهل بلاد المغرب باستخدام الخرافة والسحر والشعوذة كأساليب دعائية ناجحة[2] فقد ذهب أبو عبد الله بإيهام كتامة أنها العصبية المختارة التي قيض لها نصرة المهدي، وكان يصف لهم من كراماته ما تنكره العقول غير أنها كانت تصح عندهم[3]، وجاء عند صاحب البيان أن أبا عبد الله الشيعي قال لأحد وجوه كتامة:

"نحن أنصار أهل البيت وجاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم انصرنا والمقيمون لدولتنا وأن الله يظهر بكم دينه ويعز بكم أهل البيت، وأنه سيكون إمام منهم، أنتم أنصاره والباذلون مهجتهم دونه وإن الله سيفتح بكم الدنيا كلها، ويكون لكم أجركم

([1]) النعمان: الافتتاح، ص82. ابن عذارى: البيان، ج1، ص124.

([2]) أنظر ابن الأثير حين يقول أن أبا عبد الله صنع من الحيل والمكيدات ما أذهل عقول من البربر.. وأن الأمر انتهى بتفريق كلمة البربر وكتامة بسببه والغريب في هذا أن انتشار الدعوة الإسماعيلية في المنطقة كان سريع وارتفع شأنه بينهم والتزم الداخلين فيها بالطاعة والامتثال لأوامره. الكامل، ج8، ص12-13. الافتتاح، ص81-82.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج1، ص127. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص225. سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة الدراسات الإسلامية في مدرير 1-2، المجلد الخامس، 1957. ص195.

مضاعفا فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة"[1] كما ذهب أيضا "المقريزي" إلى إيضاح هذه الوسيلة التي أنجحت الدعوة الإسماعيلية بين أهالي بلاد المغرب وذلك أن أبا عبد الله نزل في مكان يقال له "فج الأخيار" وقال لأنصاره إن هذا المكان ما سمي إلا بكم، ولقد جاء في الأثار أن للمهدي هجرة ينبو فيها عن الأوطان وينصره فيها الأخيار من ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان[2].

وبهذا الأسلوب الدعائي نجح أبو عبد الله الشيعي في الربط بين اعتناقهم الدعوة الإسماعيلية وبين تخلصهم من سياسة الأغلبية الجائرة نحوهم وبخاصة عند جمع الضرائب ومختلف الجبايات[3].

وحيث عول أبو العباس على نشر التشيع قسرا وطرد فقهاء المالكية من القيروان[4] منعه أبو عبد الله الشيعي من ذلك قائلا له:

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص127.

(2) الخطط: ج2، ص16.

(3) ابن عذارى: البيان، ج1، ص90.

(4) النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 31. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150-151.

"إن دولتنا دولة حجة وبيان وليست دولة قهر واستطالة، فترك الناس على مذاهبهم"[1].

وكان أبو عبد الله أرجح عقلا وأروع من أخيه أبى العباس[2] غير أن سياسة الاعتدال هذه ضرب بها عرض الحائط على إثر خروج أبى عبد الله من إفريقية إلى سجلماسة لتخليص المهدي من سجنه[3].

فبادر أبو العباسي بنشر المذهب الإسماعيلي بالقوة على الناس فأمعن في اضطهادهم بالضرب والتعذيب، بل قتل زعماءهم ومثل بهم، ثم صلبهم في الأسواق[4]، من باب سياسة سياسة التخويف

([1]) النويري: نهاية الأرب، ج26، ص31.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص269. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

([3]) اليماني: سيرة جعفر، ص123. النعمان: الافتتاح، ص276. ابن خلدون: العبر، ج3، ص264.

([4]) في سنة 297هـ/909م-910م قتل بالقيروان إبراهيم بن محمد الضبى المعروف بابن برذون وأبو بكر بن هذيل الفقيهان وهما مالكيان وأول شهداء المالكية في عهد الوجود الفاطمي في بلاد المغرب بوشاية بعض الفقهاء الأحناف عند أبى العباس بتهمة الطعن في إمامة علي وفي حق الخلافة الفاطمية. فنفذ فيهما القتل. ابن عياض: ترتيب المدارك، ج2، ورقة 342-243 مخطوط بدار الكتب. الدباغ: معالم الإيمان: ج ح، ص180-183. ابن عذارى: البيان، ج1، ص155.

والترهيب[1]، غير أن أبا عبد الله الشيعي أنكر فعلة أخيه هذه وعنفه عليها ولامه فيها قائلا:

"قد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة إلى إصلاحه"[2].

إذ كان أبو العباس على عكس أخيه، عجولا متهورا[3] يرى أن الدعوة يمكن أن تقوم بين عشية وضحاها[4].

وإذا جاز لنا تبرئة أبي عبد الله من كثير مما لحق بالدعوة الإسماعيلية وإلقاء المسؤولية على نوابه، فلا ريب أنه مسؤول عن اختيار هؤلاء عند خروجه إلى سجلماسة لتحرير المهدي من سجنه.

([1]) مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص130. المجذوب: الصراع المذهبي، ص207.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص155.

([3]) النعمان: الافتتاح، ص296. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([4]) عبد المولى: القوى السنية، ج1، ص270.

وما اقترفه قاضيه محمد بن عمر المروروذي[1] من أفعال في حق الرعية دليل على تعصب مذهبي واضح، إذ هو أمر وجوه كتامة بإظهار مشاعر المذهب الإسماعيلي وأخذ يرغم الناس على القيام بها قائلا لهم: "اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول"[2].

كما أمر بإسقاط صلاة الإشفاع في رمضان، وإسقاط الحنث عمن طلق بالبتة، وإحاطة البنات بالميراث... إلخ[3].

ولكن هذه السياسة أثارت غضب الناس وسخطهم حيث جاهروا بمعارضتهم لمثل هذه الإجراءات واستنكروها، ومن ذلك أنه وقف يوما رجل على القاضي المروروذي في المسجد والناس محيطون من حوله، وقال له:

"لقد احتلت لنا في ترك قيام رمضان فلو احتلت لنا في ترك صيامه لكفتينا مؤونته"[1].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص247، وعرف عند ابن عذارى بالمورذي، وهو من جند خراسان، البيان، ج1، ص151، وجاءت هذه التسمية نسبة إلى مروروذ بإقليم خراسان، ابن خرذادبة: المسالك والممالك، ص36، 39، وأسندت إليه مهام قاضي القضاة. البيان، ج1، ص151.

([2]) الداعي إدريس: عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر جمل وفضائل النبي، ج5؟ بعنوان الدولة الفاطمية، ص20. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151-152.

([3]) لقد أحاط الشيعة البنات بالميراث، فإذا أمات رجل عن بنت وابن ابن فالمال كله للبنت لأنها أقرب من ابن الابن، وإذا مات رجل عن بنت واحدة فالمال كله لها عندهم. المجذوب: الصراع المذهبي، ص180.

كما وجد المروروذي أيضا مكتوبا بمكان جلوسه في المسجد "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم"[2].

فاعتقد المروروذي هذا تطاولا، فنكل بالفقهاء والعلماء[3] حتى كانت أيامه صعبة وخافة أهل السنة[4].

وعندئذ اتخذت المعارضة المذهبية لأهل السنة طابع التستر والتخفي خشية عائلة الإسماعيليين، فظهرت مقاومتهم سلمية في هيئة مجالس المناظرات تحاشيا لمزيد التشيع بشتى الوسائل[5]

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص152.

([2]) سورة البقرة، آية 114. ابن عذارى: البيان، ج1، ص152.

([3]) أبو العرب التميمي – طبقات علماء إفريقية، ص 239.

([4]) الجودي محمد: تاريخ قضاة القيروان، نسخة مصورة تحمل رقم ط30، المكتبة الوطنية التونسية، ورقة 24

([5]) الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص115-363. المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية، ص 207.

Vonderheyden : La berberie Orientale, p314.

غير أنهم عاودوا الركون إلى التقية، فخرجوا لاستقبال موكب المهدي[1]، فكان ذلك تقية لما يمكن أن يحل بهم من خطوب[2].

ولم يجد علماء السنة غضاضة حين تلقب المهدي بـ "أمير المؤمنين" لكنهم رفضوا نظرية الشيعة في مسألة التفضيل[3] وجاء تلقب المهدي[4] كأول خطوة للدلالة على قيام الخلافة وأن أمرها أصبح واقعا، إذ أمر المهدي الخطباء بالدعاء له علنا في المساجد في كل من القيروان ورقادة والقصر القديم وإسقاط الدعاء للخليفة العباسي[5].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص292. المقريزي: الاتعاظ، ج8، ص92. ابن عذارى: البيان، ج1، ص158.

([2]) الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص273. ابن عذارى: البيان، ج1، ص185. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ورقة 63.

([3]) محمود إسماعيل: محنة المالكية في إفريقية المغربية رؤية اجتماعية، ص65.

([4]) لقد أحدث الفاطميون لقب أمير المؤمنين بين دويلات المغرب. راجع أحمد رمضان: الخلافة في الحضارة الإسلامية، ص109. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص514.

Lewicki : Une chronique Ibadites « Kitab. As-Snar » d'assamachi Revue des Etudes Islamiques année 1934, T9, Paris 1937. p 264. ENCY, I, T3 ART, El Mahdi- Ubaid- Allah, pp125-126.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151. المقريزي: الخطط، ج1، ص350 – الاتعاظ، ج1، ص66– ابن خلدون: ج3، ص365.

وبدت مهمة المهدي شاقة، وليس من السهل أن يخضع أكثرية تتمذهب بعدة مذاهب إسلامية لأقلية إسماعيلية، وبخاصة حين رأى الفاطميون أن كل مذهب إسلامي غير مذهبهم الإسماعيلي نشاز. فحين استقر بالمهدي قرار الملك أشهر السيف على المخالفين له أكثر من السابق فانفذ رسله في كل الأنحاء[1]، متبعا أسلوب "التهديد والترغيب" في نشر مذهبه[2]، فجاءت هذه السياسة بنتائج عكسية إذ اندلعت الثورات ضده وهددت دولته وهي في مهدها[3].

وأدخل المهدي تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها حتى امتازت عن تعاليم أهل السنة كإسقاطه الرجم عن المحصنين في الزنا، وإسقاطه المسح على الخفين والصوم بالعلامة والفطر بها

([1]) النويري: نهاية الأرب، ج26 -ورقة 33- ابن خلدون: العبر، ج3، ص365.

([2]) فذكر المؤرخون أن رجلا يدعى الشريف ومعه الدعاة، أحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى المذهب الإسماعيلي، فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبس وكان ذلك يوم دخول المهدي القيروان وإعلان الخلافة الفاطمية. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص18. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص92. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36. ج3، ص364-365.

([3]) راجع تفاصيل أحداث الثورات التي قامت في عهد المهدي عند كل من النعمان، الافتتاح، ص306-307-308. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص28-29. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35-36. ابن عذاري: البيان، ج1، ص114-166، 168.

لا بالرؤية، وتحليل المطلقة ثلاثا إلى غير ذلك من المستحدثات[1] بيد أن هذه التعاليم الجديدة لم تكن وليدة سياسة المهدي المذهبية فقد سنها أبو عبد الله الشيعي، وكانت لها نتائج عكسية كما سلف ذكره، أن شقت عليه كتامة باب الطاعة.

وما زاد من سخط الأهالي على سياسة المهدي المذهبية هو المبالغة في إظهار الطقوس الدينية كالجهر بأنه رسول ونبي[2] هذا إلى جانب إعطائه صفات الخالق[3] وكانوا حين يتحدثون إليهم وكأنهم من طينة غير طينة البشر، فعندهم أسرار الغيب وعلم ما سيكون ولديهم كتب يقولون أن فيها كل ما يحدث

([1]) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص237-238. ابن حمادة: أخبار ملوك بني عبيد، ص27. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159-160.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحات.

([3]) ذكر ابن عذارى أن أيمان كتامة كانت "وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة". البيان، ج1، ص160. غير أن بعض الدراسات رأت أن مذهب الشيعة تأثر بالفلسفة الإغريقية وأخذ بالرجعة والتناسخ والحلول الأمر الذي جعل مذهب الإسماعيلية خليطا من الدين والفلسفة حتى ذهب الدعاة إلى رفع الأئمة وإحاطتهم بصفات التقديس. إذ أن هذه العقيدة تنزه الخالق من الصفات كالعالم والقادر مثلا، لهذا لم يلق الفكر الشيعي حقه من الدراسات لأن غالبية السنية الإسلامية نظرت إلى هذه الفرقة كفرقة خارجة عن الإسلام. مصطفى غالب: تاريخ الإسماعيلية، حاشية8، ص195. كمال مصطفى الشبيني: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص256.

مسطور برموز لا يفهمها غيرهم[1]، والتي نظر إليها فقهاء أهل السنة على أنها كفر وزندقة. وخروج عن ملة الإسلام وهي أمور لم يعدها أهل المغرب إلى ذلك الحين[2].

وكثيرا ما قتل المهدي الناس بالشبهة، وتحدى مشاعر أهل السنة إذ هو أمر بسبب أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وأزواجه بدعوى أنهم ارتدوا بعده باستثناء بعضهم كعلي ابن أبى طالب والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبى ذر الغفاري[3].

وما نعتقده أن المصادر الإسماعيلية هي الأخرى تغاضت عن ذكر الكثير من السلبيات التي ترتبت عن هذه السياسة والتي لم يكن المهدي المسؤول الوحيد فيها، بل للدعاة جزء كبير منها، فقد بالغ الدعاة في تمثيل عقائد المذهب الإسماعيلي إلى حد الضر به وتشويهه من ذلك ظهور ما عرف بالتشريق والتي اعتمد فيها على بث بعض العادات الغربية عن الإسلام وعن أهل المغرب وفي هذا الشأن ذكر "ابن عذارى" أن عمد الإسماعيليون في أحيان أخرى

([1]) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص130.

([2]) ابن غلبون: التذاكر فيمن ملك طرابلس ومكان بها من أخبار، ص 22، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص391. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص76.

([3]) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص318. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159.

إلى إطلاق دعوات إباحية داخل المجتمع المغربي[1] وذلك أنه في سنة 309هـ/921م ظهر شخص يقال له منيب بن سليمان المكناسي بجبال ونشريس بالمغرب الأوسط بالقرب من تيهرت[2]، ويتمثل في إظهار أمور تخالف الإسلام ومن جملتها أن الرجل يدخل إلى حليلة جاره فيطأها، وزوجها ينظر إليه ثم يخرج فيبصق عليه ويقول له : "تصبر".

فإذا صبر عد كامل الإيمان على زعمهم[3]، وأضاف "ابن عذارى" نماذج أخرى يصور فيها سوء سيرة الدعاة واستغلالهم الدعوة لتحقيق غايتهم، وهو أمر أجمع عليه كل من أهل السنة والشيعة سواء بسواء.

فذكر أن أحد هؤلاء الدعاة أظهر تحليل المحرمات فلقيت دعوته رواجا وجاهر معتنقوه بذلك، فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر

([1]) ذكر ابن حوقل أن هذه العادة القبيحة، كانت موجودة بين بعض أهل المغرب وأن أبا عبد الله الشيعي حاربهم وعاقبتهم من أجلها، فلم يكفوا ولذا يحتمل أن يكون خصوم الفاطميين هم الذين ألصقوا بهم تهمة الشذوذ الجنسي والتساهل في محاربتها. أنظر صورة الأرض، ص91.

([2]) ويبدو أن اختيار تيهرت مكانا لنشر دعوة التشريق يقصد محاربة المذهب الأباضي الخارجي. مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص132.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص185.

في رمضان جهارا[1] فتضايق المهدي لمثل هذه الأفعال فبادر في معاقبة هؤلاء على التو من سجن وقتل[2].

كما أورد القاضي النعمان في كتابه "المجالس والمسايرات" صورا أخرى تكشف عن فساد بعض الدعاة عند الدعوة كالقول بعبادة رأس ينثر من فيه الدنانير[3].

كما أعترف الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أن بعض دعاة المهدي كانوا لا يعرفون شيئا من ظاهر دين الله من حلال وحرام، وكانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل بشيء يسألون عنه[4] فخلطوا العقيدة الإسماعيلية بالخرافات والأساطير[5] ويحتمل أن خصوم المهدي هم الذين ألصقوا به تهمة التشريق باعتبارها دعوة هدامة إلا أن هنالك ما يثبت صحة نستبها إليه لأن هؤلاء الذين أظهروها بالقيروان هم من معتنقي المذهب الإسماعيلي ويعتقدون أمامة المهدي، ويرجح أن المهدي جعلها وسيلة لتمكين مذهبه داخل بلاد المغرب، وعندما عادت عليه بنتائج عكسية كف عنها،

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص185.

(2) وظهرت هذه الدعوة في كل من القيروان وباجة وتونس، ابن عذارى، ج، ص186.

(3) المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 361.

(4) المرجع نفسه، ج1، ورقة 533.

(5) المرجع نفسه، ج1، ورقة 361.

وبعث بالكتب إلى عماله في الأقاليم طالبا منهم أن يرفعوا إليه مرتكبي تلك الأفعال، فتم حبسهم وكانوا نحو مائتي رجل[1].

ومن بين هؤلاء الغلاة محمد البلوى النخاس إذ كان يصلى إلى رقادة لما كان المهدي مقيما بها، وهي إلى القرب منه، فلما رحل المهدي إلى المهدية ولى قبلته إليها أيضا، وكان يقول للناس "لست أعبد من لا يرى، وقال لبعضهم عن المهدي أنه يعلم سركم ونجواكم[2]، أن أنزله منزلة الألوهية.

وغالى دعاة المهدي في سياسة البطش والإرهاب، فكانوا يتفننون في التمثيل بجثث القتلى والتشهير ليرتدع أعوانهم وخصومهم.

إذ عرفت هذه الفترة كافة فنون التعذيب والتنكيل الشنيع من سمل الأعين وبقر البطون وخلع الأسنان[3].

وكان المروروذي قاضي القيروان قد استغل منصبه وسلطته[4] وتطاول وتجبر على العلماء[1]، إذ كان سفاح –العصر– حيث

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص186.

([2]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 98-99-370. ابن عذارى: البيان، ج1، ص186.

([3]) الخشنى: طبقات علماء إفريقية، ص301. الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص196.

([4]) تولى المروروذي قضاء القيروان في عهد أبى عبد الله لما دخل رقادة، فقال عنه النعمان كان له تشيع قديم... وجعل إليه ولاية القضاء وتولية القضاة والحكام بسائر البلدان الافتتاح،

اشتهر بالإيقاع بعلماء أهل السنة بعامة والمالكية بخاصة فقد أمعن في التنكيل بعم وتلفيق التهم ضدهم وسلط عليهم صنوف العذاب بمجرد الشبهة. ومن جملة أعماله أنه أصدر أمرا إلى فقهاء القيروان بمنع الفتوى بمذهب مالك وغيره، وأن لا يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر الصادق، ومن خالف تعليماته سلط عليه جام غضبه، كما سعى المروروذي أيضا إلى قتل عدد كبير من علماء المالكية. ومن ذلك وشايته بالفقيه أبي جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي[2]، حتى قتله شر قتلة في سنة 301هـ/915م فقال عنه "الدباغ" حيث أمر به فأدخل إلى مجلس (المهدي) وبطح على ظهره وطلع السودان فوق سريره فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات. وذلك من أجل جهاده على دين الله وبغضه لبني عبيد"[3].

وكثيرا ما تظلم الناس إلى عبيد الله المهدي من استبداد المروروذي ولكنه لم يول أي اهتمام بل أحيانا كانت الدائرة تدور

ص247. إذ سار الفاطميون على سياسة بنى الأغلب في إبقاء قاضي القيروان ميزة تعيينه لقضاة النواحي الأخرى.

([1]) الجودي محمد: تاريخ قضاة القيروان، ص42. أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية، ص239. المالكي: رياض النفوس، ج2، ورقة 31.

([2]) كان من وجوه القيروان المشهور بغزارة علمه وورعه وحاله الميسور. الدباغ: المعالم، ج2، ص198.

([3]) المرجع السابق، نفس الصفحة. ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

على الشاكين[1]، بيد أن الأمر يختلف حين تمس الشكوى بمصلحة الدولة، فحين حملت جماعة من الناس إلى المهدي أن القاضي المروروذي يطعن في الدولة فحبسه على التو وعذبه ثم قتله[2].

وهذا النص يعترف فيه المروروذي بظلمه وتسطله على الناس وما ارتكبه من معصية في حق الله وحق الرعية لأجل صالح الفاطميين فقال حين سئل عن أموال كان قد اكتنزها "والله لم أن تحت قدمي جبا مملوءا بمال الدنيا كلها ما أخرجت لكم منه درهما، وأنى قد عصيت الله تعالى فيكم فسلطكم علي فاضرب ما شئت وعذب كيف شئت"[3].

([1]) قال الخشني في ذلك (دارت على أحمد بن موسى التمار دائرة وعلى أخيه من مغرم فادح... وذلك أن أخاه محمد بن موسى دخل في جماعة رجال القيروان على عبيد الله في سلام فاندفع يصف سوء أحوال الرعية وما أنزل بهم من ظلم العمال فوقع ذلك من عبيد الله موقع الكراهية، واتصل ذلك بمن أسماء من أهل القيروان فعقد عليه شهادة عند صاحب الخير ورفعها على يد محمد بن أحمد البغدادي إلى عبيد الله فأمر بضربه مائتي سوط... فمات...) طبقات علماء إفريقية، ص 232.

([2]) الدباغ: المعالم، ج2، ص199. ابن عذارى: البيان، ج1، ص169. الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص230. الجودي: تاريخ قضاة القيروان، ورقة 42.

([3]) المعالم، ج3، ص3.

وبالرغم من قتل القاضي المروروذي الذي طالما دس وحاك المؤامرات ضد العلماء والفقهاء، فإن سياسة التعسف في أوساط هؤلاء العلماء بقيت متواصلة لمن حل مكانه، ولم يكن المروروذي إلا نموذجا من جملة قضاة الدولة الفاطمية عامة والعهد الأول خاصة[1] عند التنكيل والتعسف بالرعية وأن جميع تلك الوسائل التي استعملها المهدي لغرض مذهبه — كما أسلفنا الذكر- نتج عنها رد فعل عنيف واضطرابات وقلاقل لم يكتب لها النجاح حتى بين الذين تظاهروا له بالطاعة والولاء، إذ كانت سياسته المذهبية العنيفة إحدى العوامل التي أذكت نار الثورات ضده فاضطر المهدي أمام هذه النتائج العكسية إلى أمر الدعاة بالكف عن طلب التشيع عن العامة[2] وذهب إلى تنظيم دعاية سلمية فأسس ما عرف بـ "مدارس الدعوة" وهذه الخطوة تعتبر نقطة تحول في أسلوب سياسة المهدي المذهبية إلا أن المصادر التاريخية والمراجع الحديثة لا تمدنا إلا بالنذر اليسير عن الأهداف الحقيقية لهذه المدارس، والأبعد من هذا فهي لم تحدد تاريخ قيامها بل

([1]) وقد كان للقاضي النفطي، وإسحاق ابن المنهال قاضي المهدية أعمالا مماثلة لتلك التي قام بها القاضي المروروذي نحو العلماء والفقهاء. راجع بعض النماذج لسياستهم في حق الرعية عند كل من الدباغ: د3، ص3. الخشني: طبقات علماء إفريقية: والذي أسهب في وصف وحشية أسلوب هؤلاء القضاة، كما تناول الجودي أيضا صورا مماثلة في كتابه طبقات قضاة القيروان.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص19. المقريزي: الاتعاظ، ص96.

اكتفت أنها كانت في عهد المهدي والراجح أنها أسست عند انتقاله المهدي إلى حاضرته المهدية، ودليلنا في ذلك أن بعض المراجع ذكرت رواج هذه المدارس بالمهدية[1]، ولم تذكر شيئا عن رقادة أو القيروان.

كما استخلصت بعض الدراسات الحديثة الغاية التي وضعت من أجلها هذه المدارس نظرا لعجز أهل بلاد المغرب عن استيعاب عقائد المذهب الإسماعيلي بتأويلات الملغزة[2]، وهذا ما دفع المهدي إلى خلق هذه الدعوة السلمية لتمكين دعوته الإسماعيلية في بلاد المغرب، قد جنبه هذا الأسلوب بعض المتاعب. وهكذا استعملت هذه المدارس كوسيلة للاتصال بين المهدي وبين أتباعه[3]، ليؤكد بواسطتها حكمه المطلق ولإحاطة شخصه بهالة من العظمة والتقديس، إذ صبغت على سياسة المهدي النظرة الاستعلائية[4]، وهي تعكس طبيعة تلك الأجهزة الثيوقراطية

([1]) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص331.

([2]) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي، ص331.

Dozy : Histoire des musulmanes d'Espagne VIII, p 124.

([3]) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص261-262، عادلة على تاريخ قيام الدولة الفاطمية، ص218-219.

([4]) السجستاني: كتاب الينابيع، ص11-12. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف. عبيد الله المهدي، ص255.

في العصور الوسطى، إذ كان المهدي يرى أن سلطته مستمدة من الله[1]، فكان حكمه نوعا من الملكية المطلقة فحد بذلك نفوذ زعماء دعوته[2].

ونأتي على توضيح تنظيم هذه المدارس والتي كانت عبارة عن مراكز تعليمية وكانت تلقى فيها مبادئ هذا المذهب في صورة محاضرات أو منشورات توزع في أوقات محددة[3]، وغالبا ما كانت المساجد والدور والقصور هي الأماكن المخصصة لذلك[4]، وقد كان داعي الدعاة يرأسها[5].

فراجت هذه المدارس بخاصة في الحواضر وبالأخص في حاضرة الدولة "المهدية" في عهد عبيد الله المهدي، ثم في المنصورية في عهدي المنصور والمعز لدين الله، إذ اندفعت في تيار السياسة الفكرية لمناصرة خلفاء الفاطميين والدفاع عنهم[6]، كما وصلت

([1]) السجستاني: المصدر السابق، نفس الصفحات. النعمان: الافتتاح، ص58. الأعظمي: عبقرية الفاطميين، ص14. دائرة المعارف الإسلامية مقال الشيعة، ص57.

([2]) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي، ص255.

([3]) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص237-238.

([4]) مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص134.

([5]) راجع بونار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ص243.

([6]) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، ص237-238.

إلى وضع نظام ديني على رأسه أهل البيت[1]، وبهذا قد امتازت فرقة الإسماعيلية عن غيرها من الفرق الإسلامية بنشاطها الفكري ومرونة نشره على الرغم من الظروف الصعبة التي اجتزتها في بلاد المغرب أن هؤلاء الفاطميين لم يغلقوا باب الدعوة إلى مذهبهم وقد نبغت مجموعة من العلماء الإسماعيلية في المرحلة المغربية بفضل بذور هذه المدارس التي وضعها المهدي ومبالغته في العطاء للدعاة[2].

وأثمرت في عهد خلفائه بخاصة، كما أن شخصية القاضي النعمان[3] نموذج لهؤلاء اللذين افنوا جهدهم في سبيل خدمة

([1]) ونقلا عن كتاب تاريخ الدولة الفاطمية "لحسن إبراهيم حسن" أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الدعوة الإسماعيلية في ذلك الحين، كانت ترمى إلى عبادة الأئمة ورؤسائها، وإنما كانت على العكس تهدف إلى وضع نظام ديني على رأسه أهل البيت. وذلك عن الدكتور حسن الهمذاني، ص 331-332.

([2]) سيرة جوذر، ص ط 3-95. النعمان: الافتتاح، ص303. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36.
Georges Marcais : Op Cit, p142.

([3]) هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون المغربي التميمي، ولد في القيروان سنة 294هـ / وكان من أبرز فقهاء الدولة الفاطمية في عهدها المغربي، وقد لمع صيته منذ عهد الخليفة الفاطمي الأول لتزداد هذه المكانة على أيام المعز لدين إذ تولى منصب قاضي قضاة، كما تولى مهمات كبيرة وحظي بمنزلة عالية داخل القصور الفاطمية في المغرب ومصر، كما يعتبر المؤسس الحقيقي للمكتبة الإسماعيلية في بلاد المغرب، فقد صنف مؤلفات عديدة في الفقه والعقيدة، والتأويل، والتاريخ والأخبار والسير وغيرها من الكتب التي أوضحت الثقافة الإسماعيلية ومصادر تنوعها. لمزيد من التفاصيل راجع: ابن

المذهب الإسماعيلي نظرا للعناية التي أولاها الخلفاء في هذه المرحلة المغربية[1]، إذ صدرت ميزانية خاصة لتدعيم نفقات نشر هذا المذهب.

وعمل الفاطميون على فرض وجودهم المذهبي والسياسي في بلاد المغرب بالتضييق على اتباع مختلف المذاهب الإسلامية دون تميز وبذلك جاء موقفهم من علماء الخوارج بقسميهما الاباضي[2]

خلكان: الوافيات الأعيان، ج5، ص415. الكندي: كتاب الولاة والقضاة، ص588. الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص47. الزركلي: الإعلام، ج9، ص8. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص315.

([1]) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص233. محمد كامل حسن في آداب مصر الإسلامية، ص160-161.

([2]) الاباضية، فرقة من الفرق الإسلامية، يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ونسبت إلى عبد الله بن أباض التميمي الذي كان في الحقيقة لا يصدر أمرا إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي، وهو عمدة المذهب وإمامه، واشتهرت الاباضية ضمن فرق الخوارج إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج. كما انقسمت هذه الفرقة على نفسها بعد أن أصبح لها كيان سياسي في بلاد المغرب، وعرف ذلك في كتب التاريخ بثورة النكار حين أنكر قوم منهم أمامة عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم وقد تزعم هذه الحركة أبو يزيد بن فندين اليفرني. أما أولائك الذين انضموا تحت طاعة إمامهم عبد الوهاب عرفوا بالوهابية، وهنالك فرق عديدة انشقت عن فرقة الاباضية الأم من يزيدية وعمرية...إلخ. راجع الدرجيني: طبقات الاباضية ورقة د2، ورقة 205. الشماخي: السير، ورقة 70-72-77-280. ابن حزم: الملل والأهواء والنحل، ج4، ص155. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص180-181. ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص 25-26-37-38-145. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 82. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص155، 164، 166، 173. سلميان الحارثي:

والصفري[1] صورة لما عرفته الفرقة السنية من اضطهاد وتنكيل. وقد كان القصد من هذا الأسلوب التعسفي في المعاملة حتى لا

العقود الفضية في أصول الاباضية، ص238. السيابي: أصدق المناهج، ص19-28-45-48. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص227. بن عبد الله : تاريخ المغرب، ج1، ص83. محمود إسماعيل: الخوارج، ص42-82. مهدي طالب: الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص261. بحاز إبراهيم: الدولة الرسمية، ص77. أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي، ص250. علي يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص17-18-36-37. المبرد: الكامل، ص105. أحمد توفيق المدني: مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري، محاضرة ألقيت في الملتقى الفكر الإسلامي وطبعت ضمن مطبوعات ذلك الملتقى المنعقد بورجلان الجزائر ربيع عام 1877.

A.Bel. : La Religion musulmane, p142. Lewicki : Kitab as-Siyar d'Aboul-Abbas Ahmed as-Sammacki, p37. Masqueray Emile: Chronique d'Abou-Zakaria 1er Edition, imp. Association ouvrière Alger, 1878 PLXXIII. Basset (R) les sanctuaires du Djebel Neffoussa pp.423-424. Moutylinski Adec : L'acquida des Abadhites p 506. Dengel Gerard : l'Imama Ibadite de Tahert (761-909) Thèse de doctorat 3ème cycle. Strasbourg-Université des Sciences Humaines 1977. Maurice Lombard : Les bases monétaires d'une suprématie économique : L'or musulmane du VII au XI.Siecle, Annales Economique. Sociétés civilisation No.2 Avril, Juin, 1947. André Nègre Ka fin de k'Etat Rustamides, Revue d'Histoire et de civilisation du Maghreb, Alger, juillet 1969.

(1) الصفرية، فرقة من الخوارج، وهم أتباع زياد بن الأصفر وأن كانت هنالك كتب تؤكد زعامة هذه الشخصية، بينما نجد البلاذري يرجعها إلى عبد الله بن صفار وأيا ما كان الأمر، فلا لتصديق روايات تسميتهم لصفوة وجوههم من كثرة العبادة. وقد اتجه هذا المذهب نحو المناطق الصحراوية بخاصة لبث دعوته واستقر في واحة تافليلالت، وهي ملتقى القبائل الرعوية جنوبي المغرب الأقصى، كما انتشر هذا المذهب بين قبائل زناتة وبعض بطون المغرب الأدنى وكذلك في بعض العرب. أنظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص183. البغدادي: الفرق بين الفرق،

يناؤهم منهم مناوئ، وأن أية وجود سياسي معاصر لهم من الدول الإسلامية، غير شرعي وبهذا لم يسلم من القتل والتعذيب إلا من لاذ بالهرب إلى مراكز خارجية أخرى[1] مثل واحة وارجلان وصدراته وبلاد الجريد وقسطيلية وضواحي تيهرت وما بين جبل نفوسة وأوراس وجزيرتي جربة وصقلية[2].

ص70. البلاذري: أنساب الأشراف، ج1، ص83. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص216. السوفي: شرح السؤلات، ورقة 114. مخطوط بدار الكتب، رقم 21789ب. محمد الشطبي المغربي: الجمان في أخبار الزمان، مخطوط بدار الكتب رقم 1416 تاريخ ورقة 203. الدرجيني طبقات الاباضية، ج1، ورقة 6. البكري: المغرب في بلاد إفريقية، ص149. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص156. محمود إسماعيل: الخوارج، ص47-49. عبد المنعم أحمد دسوقي: فرقة الخوارج الصفرية، ص272.

Fournel : les berbers VI, p352. Bekri- Chikh : le Kharijisme berbers d'Etudes Orientales (A.I.E.O) TXV. Edition Alger 1957. p 23. ENCY. I.T4 (ART Al.Sufruya) p 52.

([1]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 42. أبو ربيع الوسياني: سير أبى ربيع: ورقة 27 مخطوط بدار الكتب رقم2113، ج. الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص180. علي يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص147-148.

Lewicki : Etude Ibadite, pp 49-50. Georges Marcais la berberie au IX siecle R.A.S.H.A 1er 2ème trimestre 1940, p45.

([2]) راجع مواقع هذه المواطن في الخريطة رقم 2 من هذا البحث.

ويبدو أن ما لحق بعلماء الخوارج من تشريد وتعذيب وقتل كان أقل مما لحق بعلماء أهل السنة بعامة والمالكية منهم بخاصة لأن معظمهم قاطنون في القيروان فنالهم الأذى أكثر من غيرهم.

وحين تقلد الخليفة القائم بأمر الله أمور الدولة الفاطمية لم يتردد من معاقبة مخالفيه في المذهب[1] وقد رأى القضاء عليهم "جهاد"[2]، والخروج عنه خطيئة "لن تغتفر"[3] فعمل على إرغام الرعية على اعتناق مذهبه قسرا[4]، فقد أراد القائم بهذا الأسلوب أن يكتمل سلطانه السياسي مستخدما كل وسائل التعذيب والإغراق[5] وكانت لهذه السياسة أثارها العكسية، إذ انتشرت حركات المقاومة في بلاد المغرب فاضحى عهده مطاردة للمخالفين[6]، فشقت الفرق المخالفة للمذهب الإسماعيلي عصا

---

(1) مجهول: الاستبصار ص205. البيان: ج1، ص 216-218. سنوسي: زناتة والخلافة الفاطمية، ص 191.

(2) مجهول: الاستبصار، ص205.

(3) Vatikiotis : The Fatimid Theory of state, p77.

(4) الشطبي المغربي: الجمان في أخبار الزمان – مخطوط بدار الكتب، رقم 1416. ورقم 198. السيوطي: تاري الخلفاء ص398.

(5) Vatikiotis : Op Cit, p77.

(6) النعمان: الافتتاح ص 331.

الطاعة فارين من مراكزهم ومعتصمين بخارجها[1]، كما ظهر موقف أهل السنة واضحا وبخاصة مذهب المالكية من سياسة القائم وذلك عندما ساند، واشترك فعليا في حركة أبى يزيد بن مخلد الزناتي، معبرا عن سخطه ونفوره للمد الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب[2] غير أننا لا نبالغ إذا قلنا أن تلك الحركات التي عج بها عهد القائم كان سببها الوحيد تشدده في نشر دعوته بل تداخلت عوامل أخرى لتزيد من حدة الخلاف والهوة بينه وبين رعيته، إذ كان لسياسته المالية جزءا كبيرا في ظهور الشغب ضده[3].

وقد أسهبت المصادر السنية في وصف اضطهاد العلماء على أيام القائم وما يجعلنا نثق فيها إلى حد ما أنها هي نفسها التي وصفت سابقيه عند كل تعديل طرأ على سياستهم المذهبية اتجاه معارضيهم[4].

([1]) الوسياني: سير أبى ربيع ورقة 59. حسن محمود: قيام المرابطين، ص97.
Lewicki : Etude Ibadite, pp 49-50. Georges marcais: la berberie au IX siècle. P56. Charle André Julien : l'histoire de l'Afrique du Nord, p339.

([2]) الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص38.

([3]) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص122. محمود إسماعيل: الخوارج، ص284. سلميان بن داود: ثورة أبى يزيد مخلد الزناتي، 70. زاهر رياض: شمال إفريقيا، ص79. كلود كاهن: تاريخ الشعوب الإسلامية، م1، ص276.

([4]) الدباغ: المعالم، ج2، ص21-25-26.

فعندما اعتلى أبو القاسم الخلافة وأحكم أمره بها بدت سياسته العامة صورة لعهد عبيد الله المهدي[1]، وأن رأت بعض المصادر التاريخية أنها كانت أكثر شرا منه، وقيل أنه أمر بتكذيب كتاب الله تعالى، وحث المسلمين على حرق المصاحف والمساجد[2] مما يدل على أن خصومه لم يذكروا إلا سلبيات ومساوئ سياسته، إلا أن هناك من المؤرخين من ذكر أن القائم اهتم ببناء المساجد مثل مسجد أجدابية في طرابلس وكان آية في الجمال[3].

هذا علاوة على أن الرسالة التي بعثها القائم بأمر الله إلى أهل اليمن يدعوهم فيها إلى طاعته[4] تنفى ما جاء عند "ابن عذارى" و"القاضي عياض" أن هذا الخليفة أمر بتكذيب وحرق كتاب الله

([1]) الدوادار: زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، ج6 مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، برقم 27-24. ورقة 147 مجهول: الاستبصار، ص205.

([2]) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص513. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص398. الوزير السراج: الحلل السندسية، ص899. ابن النديم: الفهرست، ص265. مجهول: الاستبصار، ص205. سليمان بن داود: ثورة أبى يزيد، ص51. ابن عذارى: البيان، ج1، ص261.

([3]) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص15. إحسان عباس: تاريخ ليبياض، ص105.

([4]) أنظر الملحق رقم 2. الرسالة التي بعثها القائم بأمر الله إلى أهالي مالك اليمانية، مخطوط بالمكتبة الوطنية في الجزائر ضمن مجموعة تحمل رقم 604 من ورقة 140-145.

وسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والغاز (غاز الحراء) إذ هو كان يصلى على النبي ويذكر الصحابة بكل خير.

ويمكن القول أن شدة سياسة القائم تعزى إلى طبيعته العسكرية[1] إذ هو قاد جيوشا جرارة لإخماد ثورات بلاد المغرب داخليا[2] وخارجيا عند شنه لحروب ضد بلاد الروم[3] وعند محاولته لفتح بلاد المشرق[4]، وثورته أبى يزيد الزناتي التي اندلعت في عهد القائم لا يمكن أن تقيس بها سياسته المذهبية لأن قيامها جاء بعد مراحل استعداد كانت في عهد المهدي[5].

([1]) سنوسي: زناتة و الخلافة الفاطمية، ص192.

Arthur, Pellegrin : Histoire de la Tunisie, p146.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص238. النعمان: الافتتاح، ص 332. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص28. ابن عذارى: البيان، ج1، ص209. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص29.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص249. الذهبي: تاريخ الإسلام بالمكتبة العربية الصقلية، ص459. النعمان: الافتتاح، ص331. ابن ظافر: أخبار الدول، ص16. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص111.

([4]) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج13 مخطوط بدار الكتب رقم 1584 ورقة 186-190. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص149. ابن عذارى: البيان، ج1، ص171-181.

([5]) راجع في شأن الإعداد لثورة أبى يزيد الفصل 5 من بحثنا.

ولا يفوتنا أن ننوه بالدور الذي لعبه دعاة القائم عند استغلال مراكزهم في الاستخفاف بالشريعة، مما زاد من نفور أهل المغرب من حكم هذا الخليفة[1].

وقد سلكت السياسة الفاطمية المذهبية منعطفا جديدا في عهد كل من المنصور بالله والمعز لدين الله حيث طرأ عليها بعض الاعتدال، وبخاصة بعد أن قضى على ثورة أبى زيد مخلد الخارجي، والتي دفعت خلفاء الفاطميين إلى ضرورة تعديل سياستهم في تسيير بلاد المغرب[2].

فقد توصل الفاطميون إلى عقم سياسة التعصب المذهبي، ومن ثم جنحوا إلى أسلوب الملاينة والتودد[3].

فقد أظهر كل من المنصور والمعز النوايا الحسنة في التعايش سلميا مع المذاهب الأخرى[1]. لم تغفل المصادر السنية[2] مثل هذه

([1]) ابن نديم: الفهرست، ص265. الدباغ: المعالم، ج2، ص197. عياض ترتيب المدارك، ج3، ص321.

([2]) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص 183، نقلا عن كتاب تثبيت نبوة لسيدنا محمد، مخطوط باسطنبول في مكتبة الشهيد على باشا برقم 1575 ورقة 392.

De Geoje M.J. Memoires sur les carmethes de Bahrin et des Faitimides. Leiden P143.

([3]) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ص183.

هذه الحقيقة في تحول السياسة المذهبية في عهد هذين الخليفتين حتى ذهب المؤرخ والفقيه "الدباغ" وهو سني المذهب يصف وبكل موضوعية سياسة المنصور المذهبية قائلا ولم يزل المنصور هذا شأنه في حفظ المسلمين وتولية أهل الورع والدين ومحبة الفقهاء والصاحين"[3].

كما ذهب المنصور إلى تبيين حسن نواياه نحو الفقهاء والعلماء فضمن لهم تغيير سيرة من سبقه وأقسم أمامهم على ألا يتعرض لمذاهبهم[4]، وعن ذلك تحدث "القاضي عبد الجبار" أن المنصور أوفى لأهل السنة بما وعد، فعدل فيهم وتركهم على مذهبهم وأخذ غلاة دعاته فحلق لحاهم، ونفاهم وقال لأهل القيروان[5]. "من

([1]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399. النويري: نهاية الأرب، ج 26، ورقة 38. القاضي النعمان: الافتتاح، ص335. ابن خلدون: العبر، ج4، ص46.

([2]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399. ابن النديم: الفهرست، ص265-266.

([3]) معالم الإيمان، ج1، ص26.

([4]) ابن تغرة بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص308. عبد الجبار: تثبيت النبوة، ورقة 392. سليمان بن داود: ثورة أبي يزيد، ص 81. عبد المولى: القوى السنية في بلاد المغرب، ج1، ص491.

([5]) تثبيت النبوة، ورقة، 392.

سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاقتلوه فأني معكم ومن ورائكم"[1].

وأطلق المحدثين في الحديث والناس في إقامة التراويح[2] وأظهر تعظيما للشريعة[3].

وأيضا عفى وصفح عمن أشهر الحرب ضد الحكم الفاطمي[4]. – وكل ذلك بتحفظ شديد – وقد عين المنصور في القضاء جملة من علماء أهل السنة على الرغم أنهم كانوا يأتون أحيانا خلافا لمذهب الدولة في حل المسائل الفقهية.

وأسرف "ابن عذارى" في المبالغة عن سيرة خلفاء الدولة الفاطمية، فلم ينصف أحدا منهم، وقد بدا تعصبه واضحا حين أورد أخبارا عن المنصور لم يذكرها غيره من المؤرخين، وذلك أن المنصور حين أخمد ثورة أبى يزيد دخل القيروان وذلك في سنة

([1]) المرجع نفسه، نفس الورقة.

([2]) المرجع نفسه، نفس الورقة.

([3]) الدباغ: المعالم 3، ص 67-68. النعمان: الافتتاح، ص335. ابن حوقل: صورة الأرض، ص74. الداعي إدريس: عيون الأخبار: ج5، ص315.

([4]) الدباغ: المعالم، ج3، ص61.

336هـ/957م قتل من أهلها خلقا كثيرا وعذب أخرين "ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك"[1].

وإذا صح ما ذهب إليه "ابن عذارى"، فذلك لم يكن إلا من باب الانتقام ظنا منه أنهم على مذهب أبى يزيد وأعوان له في ثورته. كما أنه لم يقتصر العقاب على فئة دون أخرى بل أنها الحرب والحساب فيها شامل دون أن تحدد النوايا. وقد ظهرت سياسة الاعتدال أكثر وضوحا في عهد الخليفة المعز إذ أنه تجنب منذ توليته الخلافة أسلوب العنف في نشر دعوته، لأنه لم يجلب سلفه منه سوى المتاعب ونزوع أهل المغرب إلى الثورة في أي فرصة تتاح لهم، مما عمق شقة الخلاف بين السلطان الفاطمي ورعيته.

وسار المعز سيرة أبيه المنصور بالعفو عن مخالفيه محاولا استمالة زعماء القبائل البربرية، وكانت قبيلة زناتة من السابقين في إعلان عداءها للوجود الفاطمي، وذلك منذ أن وطئت أقدامهم أرض بلاد المغرب وقد دلت تلك الأحداث التي جمعت القوتين في سلسلة من المعارك عن الموقف الصريح إزاء الفاطميين[2].

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص220.

(2) ابن خلدون: العبر، ج3، ص95. ابن عذارى: البيان، ج1، ص153-160-162-198.

كما كانت قبائل جبل أوراس، ومن بينها بني كملان، وميلة وبعض بطون هوارة موالية ظهرها ورافضة الاذعان للفاطميين إلا أن المعز استطاع أن يكسب ودها وطاعتها[1].

ولعل فهم المعز للأوضاع الداخلية لبلاد المغرب وتخوفه من أهلها جعله يسلك اللين في بعض الأحيان ويبدى ضجره أكثر من مناسبة حتى أنه كتب مرة إلى مولاه جوذر يخبره بوفاة والده المنصور وفي نفس الوقت يبدي قلقه من مستقبل حكمه قائلا: "فامتحنني الله بفقده، والانفراد بعده في الديار الموحشة.. والبلد المشاقق بين كل عدو وفاسق"[2].

والملاحظ أن المعز لم يقتصر في معالجته للثورات الداخلية على العمل العسكري، ولكنه استعمل مختلف الوسائل، إذ استفاد من خبرات أسلافه، هذا إلى جانب التأليف بين القلوب إذ ما توسم

([1]) النعمان: الافتتاح، ص335. ابن خلدون: العبر، ج4، ص95.

([2]) سيرة جوذر، ص79.

النجاح في الإحسان إلى الخصم[1]، وأمر ولاته في الأقاليم البعيدة عن حاضرة الخلافة بالإحسان إليهم[2].

وفي هذا الصدد قال "ابن أبي دنيار": "كان عالما فاضلا جوادا. سمحا، شجاعا حسن السيرة ومنصفا للرعية"[3].

وقد غالت بعض المصادر السنية في الهجوم على سياسة المعز المذهبية حتى ذهبت إلى أن أمر المؤذن أن يقول:

"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن معدا رسول الله"[4].

وعلمنا أن الفاطميين برعوا في تنظيم أجهزة الدعاية حيث كانت دوما في تطور مستمر وذلك تبعا لتطور مختلف أمور الدولة الأخرى، فأصبح نشر الدعوة في عهد المعز جزءا من سياسته[5]

---

(1) الدرجيني: طبقات الاباضية، ج1، ورقة 148. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص57. البكري: المغرب، ص74. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص98. المقريزي: الخطط، ج1، ص351. ابن عذارى: البيان، ج1، ص221.

(2) النعمان: الافتتاح، ص335. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص211. النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقم 28. ابن خلدون: العبر، ج4، ص46.

(3) المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس، ص63. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399.

(4) ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج3، ص55.

(5) ابن عذارى: البيان، ج1، ص223.

فسن تنظيما صارما لتحقيق غايته فقد اعتمد في بث دعوته على دعاة امتازوا بحنكة دقيقة ومواهب خارقة[1].

فكثيرا ما كان المعز يزود دعاته بالنصائح حتى يسيروا على هديها في تبليغ رسالتهم[2]، وكانت شخصية القاضي النعمان كما أوردنا ذلك سابقا – خير مثال لهؤلاء الدعاة المخلصين للمذهب الإسماعيلي والدولة الفاطمية، حتى عرف بـ "المشرع الإسماعيلي"[3].

وقد أصبحت الدعوة الإسماعيلية في عهد المعز تنشر بعدة لغات نظرا لانتشار دعاته في مختلف الأقاليم يدعون لدولته ويبثون دعوته وقد دلت رسالة كان قد بعثها المعز إلى الحسن القرمطي يحذره مغبة التمرد، عن مدى دقة الدعاية الإسماعيلية في عهده. ونص الرسالة جاء فيها: "فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا لنا فيه حجيج ودعاة يدعون لنا ويدلون علينا ويأخذون تبعتنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات، واختلاف الألسن وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون"[4].

([1]) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص26-27.

([2]) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، ص236.

([3]) مصطفى غالب: المرجع السابق، ص26.

([4]) عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله، ص215.

وخلاصة القول أن السياسة المذهبية التي سلكها الخلفاء الفاطميون في المرحلة المغربية بصفة عامة جعلت نجاح الدعوة الإسماعيلية وتقوية السلطان الفاطمي، هو الهدف الأول والأخير، مما أعطى لهذه السياسة والصبغة الاستبدادية و"الميكافلية" أن اتخذوا أسلوب القهر والعنف في محاربة وطمس مذاهب أهل المغرب مستغلين مختلف الوسائل من أجل إزالتها وإحلال المذهب الإسماعيلية محلها، مما ترتب عن ذلك وضع داخلي مترد، وقيام ثورات متتالية ضدهم، بالرغم من تعدد واختلاف أسبابها وأهدافها وتباينها بين عهد خليفة وآخر من حيث القوة والضعف ومن حيث نتائجها، فإنها في مجموعها كانت تمثل رفضها وسخطا على سياسة الفاطميين العامة.

أما النظام الإداري الفاطمي فقد وضعت قواعده طبقا لما أتى به المذهب الإسماعيلي إذ بنيت أحكامه على الكتاب بتأويل شيعي، والحديث بالرواية الشيعة مما زاد من تدعيم شرعية فرقة الشيعة

الإسماعيلية في الخلافة[1] وبذلك فإن مسألة الخلافة هي أساس ظهورها وأن منصب الخلافة ظاهرة امتاز بها الحكم الإسلامي عن بقية الأنظمة الأخرى[2].

كما يعبر عنها أيضا بالامامة[3]. وقد تولاها الخلفاء الراشدون حين دفعت الضرورة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى اختيار ممثل عن المسلمين للسهر على مختلف مصالح الرعية[4].

وقد كانت الخلافة تعقد بوجهين أحدهما أن يتم اختيار بواسطة أهل الحل والعقد وهكذا تمت خلافة أبى بكر الصديق[5] والأخرى بما يعرف بالعهد وذلك أن يعهد الخليفة المستقر إلى من

---

(1) لقد رأت فرقة الشيعة أن الحق المشرع، هو في أحقية علي بالخلافة وجدارته بها بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة مستندين في ذلك على بعض الأحاديث النبوية منها أن قال النبي: أن هذا (يقصد بعلي) أخي ووصي وخليفتي فيكم". راجع النعمان: أساس التأويل الباطني مخطوط بدار الكتب. رقم 31-22 ب ورقة 188-189. عبد الحسين مشرق الدين: المرجعات، ص146. موسى الموسي: الشيعة والتصحيح، ص9-10.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص245. أحمد رمضان: الخلافة في الحضارة الإسلامية، ص4، د.م.أ. مقال الخليفة، ص418.

(3) وهي حمل كافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها، أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص244.

(4) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص5.

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص218-220.

يراه أهلا لذلك إذ توافرت فيه شروط الخلافة[1] وذلك مثل خلافة عمر الذي عهد إليه بها أبو بكر الصديق[2].

ويبدو أن الخلافة الفاطمية لم يكن لها في هذين الوجهين، فقد تولاها أصحابها بفضل دعاية محكمة لمذهبهم[3] وعصبية قوية من بلاد المغرب[4] وذلك مصداقا لقول "ابن خلدون" أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية[5].

كما ادعى الشيعة أنهم الورثة الشرعيون لعلي الذي عهد بها إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو وزير رسول الله في أمره

([1]) واتفق الفقهاء حول شروط منصب الخلافة: وهي العلم والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء واختلف حول النسب القرشي: الأحكام السلطانية، ص3- المقدمة، ج1، ص246. أحمد رمضان: الخلافة، ص49.

([2]) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص218-220-429. أحمد رمضان: المرجع السابق، ص54.

([3]) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص39. حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص102. دائرة المعارف الإسلامية، م9 مقال الداعي، ص94-95-96.

([4]) ابن الوردي: تاريخه، ج1، ص347. حسن حسني عبد الوهاب: شهيرات تونسيات، ص434. شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص22-74.

Gautier : Les siècles obscurs, p338. Djait, Talbi, Dachraoui Douib : Histoire de la Tunisie, p218. Savalier : Histoire de l'Afrique, p13.

([5]) المقدمة، ج1، ص158. جورج لابيكا: تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة شبيب بيضون، مقال مجلة دراسات عربية، مجلة فكرية اقتصادية، العدد 6، السنة 1986، ص96.

وظهيره على عدوه وغبة علمه ووارث حكمه، وولى عهده وصاحب الأمر من بعده[1]، مستندين في ذلك على حديث "غذير خم من كنت مولاه فعلى مولاة اللهم والي من ولاه وعادى من عاداه"[2].

فهم يرون أن الإمامة قضية أصولية، هي ركن الدين وليست من المصالح العامة التي يفوض فيها نظر الأمة وذلك بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم[3].

والنظام الحكومي في عهد الفاطميين لم يكن ليختلف عن سائر أنظمة العالم الإسلامي في العصور الوسطى، فهو نظام مطلق تجمع فيه السلطتان الروحية والزمنية معا[4].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص294، ص295-297. دعائم الإسلام، ج1، ص38. عبد الحسين مشرف الدين، المراجعات، ص145-146. محمد عبد الهادي الشريف: تاريخ تونس. كمال مصطفى: الفكر الشيعي والنزعات الصفوية، ص256. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص117. موسى الموسى: الشيعة والتصحيح، ص9-10-11.

([2]) وقد ورد تشكيك في سند هذا النص راجع الحديدي: في شرح نهج البلاغة المجلد الثالث، ص263.

([3]) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص195. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج1، ص89. ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص251. عبد الحسين مشرف الدين: المراجعات، ص150.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص98. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ص221. عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله، ص321. عطية مصطفى: نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، ص37.

إن نظرة الإسماعيلية إلى الإمام نظرة كلها تقدير وتبجيل وقد تصل أحيانا إلى درجة الألوهية[1] بإضفاء هالات من الكرامات والخوارق والمعجزات على شخصه[2] إذ رفعوه فوق مستوى البشر[3]، وعلى زعمهم أنه ظل الله في أرضه[4].

وقد اعتبر الإسماعيليون أن من لم يعرف أمام زمانه مات ميتة جاهلية[5] فالإيمان به ركن من أركان الإسلام، وطاعته واجبة "كما ذكر المعز الفاطمي أن طاعة الأئمة الفاطميين واجبة، وذلك حينما قال لجؤذر مولاه".

فقد فرض الله طاعتنا فجعلنا رغبة ورهبة"[6]. وقد كانت كتابات الشيعة الإسماعيلية نموذجا في تصوير مقام الإمام وذلك

([1]) النعمان: الافتتاح، ص313-325. السجستاني: كتاب الينابيع، ص11-12. حسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص256.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص12-13. النعمان: الافتتاح، ص313-329.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحات. السجستاني: المصدر السابق، ص11-12.

([4]) وتكشف سيرة الأستاذ جوذر عن هذه الحقيقة، فيصور عبيد الله المهدي، وخلفائه "بأنهم ينظرون بنور الله عز وجل في جميع أمورهم". الجوذري، ص34. المقريزي: الألفاظ، ج1، ص61.

([5]) الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص29.

([6]) الجوذري: سيرة جوذر، ص82، 144.

كما قال القاضي النعمان" وإن كانت درجة النبوة أعلى وأجل وفوق درجة الإمامة وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة.

فإن الطاعة واحدة موصلة فقد قرنها الله تعالى بطاعته، وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده ورضاه وسخطه علامة على رضى الله وسخطه على خلقة"[1].

وإن فرائض الإسلام قصد منها الشارع خدمة الإمام وطاعة على زعمهم[2].

ولا شك أن هذا ما جعل أهل السنة وكل الفرق الإسلامية يصفون الفاطميين بالإلحاد والكفر[3].

اتخذ الفاطميون ألقابا عديدة عند تعيينهم مثل أمير المؤمنين وصاحب الزمان، والسلطان، والمهدي، والقائم بأمر الله، والمنصور بالله، والمعز لدين الله[4] وقد جاءت هذه الألقاب تقليدا لسابقيهم في الخلافة[1] كما حذا حذوهم الأمويون في الأندلس[2].

([1]) كتاب الهمة، ص39.

([2]) سجلات حاكمية لأحد دعاة الفاطميين ورقة 7-32-33. مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم 1189

([3]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص391. ابن تغرى يردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص76. ابن غليون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ص22.

([4]) الخشنى: طبقات علماء إفريقية، ص167-168. أحمد رمضان: الخلافة، ص109.

اتصفت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بمظاهر العظمة إذ سن خلفاء هذه الدولة لأنفسهم سياسة الحكم المطلق، وحدوا من نفوذ بعض رجال الدولة[3]، وذلك مثل ما قام به المهدي عند تسلمه زمام كل السلطات، فتخلص على التو من الجيل الأول لدولته حينما شعر بخطرهم عليه[4].

ولم يحتكم الخلفاء الفاطميون السلطات السياسية فحسب بل سيروا شؤون الحربية[5]، فكثيرا ما قاد خلفاء هذا الطور الجيوش بأنفسهم لإخماد الحركات المضادة لحكمهم داخليا، كما خاضوا

Lewicki : Une chronique Ibadite, p264, ENCY . I.T3 Art El Mahdi-Ubaid-Allah, pp 125-126.

([1]) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين في مصر وسقوطها، ص92.

([2]) تسمى عبد الرحمن بأمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله وبذلك نافس الفاطميين في لقب الخلافة داخل الأندلس وخارجها. الضبى: الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ص18. ابن حيان: المقتبس، ج5، تحقيق شالميتا وآخرين نشر المعهد العربي الإسباني، مدريد 1979، ص243-244.

([3]) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي، ص255.

([4]) راجع ابن عذارى: البيان، ج1، ص163-165. الحنبلي الشدرات الذهبية، ج2، ص 227. النعمان: الافتتاح، ص 312.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص341. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص5

المعارك الحربية خارجيا[1]، إذ لم تنحصر مهمتهم في البلاط، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الخلفاء تفانوا في خدمة مذهبيهم بالدرجة الأولى، فاستخدموا كل الوسائل لرعاية مصالحهم ومصالح أتباعهم.
وذهبت المصادر الإسماعيلية في وصف الخلفاء الفاطميين عند السهر على رعاية شؤون أتباعهم، إذ ذكر "القاضي النعمان" أن عبيد الله المهدي كان يقابل الناس على اختلاف درجاتهم[2]، إلا أن الاهتمام هذا لم يكن يقصد به المصلحة العامة وإنما قصد به أتباعهم دون غيرهم وعن ذلك قال النعمان للمعز من باب النصيحة:

"ولا تستعمل إلا سيعتك منهم ثم أسبغ عليهم العمالات، ووسع عليهم في الأرزاق"[3].

واتصف خلفاء هذه الدولة بجدية محكمة عن بقية خلفاء المسلمين المعاصرين لهم[4].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص334. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 32-34. ابن عذارى: البيان، ج1، ص169. الدرجيني: طبقات الاباضية، ج1، ورقة 148. العماني: كشف الغمة ورقة، 379-380. مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم 3972.

([2]) الافتتاح، ص296-300-302.

([3]) دعائم الإسلام: ج1، ص358-359-378-379.

([4]) إن كتاب المجالس والمسايرات غني في تصوير أعمال خلفاء الفاطميين وبخاصة منهم المعز لدين الله.

فمن ذلك أن المعز الفاطمي كان يقضي فترات طويلة في تدبير أمور دولته وقد أورد "المقريزي" نصا بين فيه جدية المعز في إدارة أمور دولته وحثه على العمل والمواظبة عليه بين اتباعه ورجاله قائلا لهم:

"وإني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى، وإني لا أنشغل بشيء من ملاذ الدنيا. فافعلوا يا شيوخ في خلوتكم مثل ما أفعله"[1].

واستأثر الخلفاء الفاطميون في المرحلة المغربية بالحكم، وأبعدوا أقاربهم عن كل مجالات مناصب الدولة مما ترتب على ذلك عداوة بعض أفراد الأسرة الفاطمية لبعض، حتى ذهب المنصور بالله أن يصف بعض أفراد القصر حيث اشتد الخلاف معهم بالشجرة الملعونة في القرآن". وشبههم ببني أمية أعداء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعداء علي بن أبي طالب[2].

([1]) الخطط، ج1، ص352.

([2]) سيرة جوذر، ص64.

فشددت الرقابة على بعض عناصر القصر خوفا من حدوث الشغب مثل ما حدث في عهد كل من المنصور والمعز[1].

وصفوة القول، أن خلفاء الفاطميين أحاطوا أنفسهم بصفات من الأبهة والعظمة كما اختصوا ببعض مظاهر التقديس[2]، وأقروا لأتباعهم أنهم واسطة بينهم وبين الله، وذهب المعز لدين الله في تصريح أنه ما توسل إليهم متوسل إلى الله إلا وكانوا خير وسيلة لديه، وذلك حين تصح نيته، وتصدق طويته[3].

فاستبدوا بالحكم. ويأتي بعد الخليفة في الأبهة والعظمة ولي العهد. وحتى يكسب الفاطميون نظام ولاية العهد صفة شرعية فإنهم كانوا ينظرون إلى الخليفة الفاطمي باعتباره إماما يرث أباه عن طريق التعيين بالنص، ومن ثم فقد كان من الضروري أن يعين الخليفة أو الإمام ولي عهده قبل وفاته حتى لا يخلو العالم من إمام، ويظل عرشه شاغرا[4]، وفي هذا الصدد قال المعز الفاطمي:

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الجودي: طبقات قضاة القيروان ورقم 16. ابن أبى دينار: المؤنس في بلاد إفريقية وتونس، ص75.

([2]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص468-479. ابن عذارى: البيان، ج1، ص208.

([3]) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص138.

([4]) الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص28-29. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص276. أحمد رمضان: الخلافة، ص109.

"فلن يخلى الله أرضه وعصره في كل زمان من قائم بالحق شاهد على الخلق"[1].

"وأن تغلب فيها المتغلبون"[2].

ولم يختلف هذا النظام في تولية ولاية العهد عند الفاطميين عن أنظمة تلك الأزمنة، حيث عرفه كل من المشرق والمغرب على السواء إلا أن أسلوب تولية العهد قبل قيام الخلافة الفاطمية يختلف عنه بعد قيامها، فنجد قبل قيامها كان الإسماعيلي يولى العهد لأكثر من واحد وذلك بقصد تمويه الخصم، ويظل ولى العهد مجهولا عنده، وقد ولى جعفر الصادق العهد لأكثر من واحد وأظهر موت ابنه إسماعيل من باب التمويه على بنى العباس خوفا من عائلة القتل عندهم، فقد أوصى بالإمامة لعدد كير من أولاده وبذلك اختفى الأئمة وصيا بعد وصي[3].

أما بعد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب فقد انحصرت ولاية العهد في شخص واحد.

---

(1) ابن أبى دينار: المؤنس، ص81-82.

(2) النعمان: الافتتاح، ص1.

(3) الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص27-28. محمد حسن الأعظمي: عبقرية الفاطميين، ص64.

وما يمكن ملاحظته على هذا النظام أنه يختلف عند غيره في أنه ينتقل من الأب إلى الابن الأكبر محافظين على أني كون داخل نسل الإمام[1].

وإن كان أحيانا يخضع لحالات استثنائية أن يتولى شخص ليس عن نسل الإمام، إلا أنه سرعان ما يعود إلى طريقة الطبيعي في صاحبه الشرعي، وبهذا فقد أوجد الشيعة بما يعرف بالإمام المستقر والمستودع[2]، كما أن نقطة الاختلاف بين هذين الإماميين يتمثل في أن الأول يحق له أن يورق الإمامة في نسله، أما الثاني فليس له الحق في ذلك وأيضا لم يجز الشيعة أن تنتقل الإمامة إلى الأخ أو العم[3].

وكان لهذا الحسم في مسألة الولاية انعكاس في استقرار منصب الخلافة في بلاد المغرب إلا أن بعض خلفاء المرحلة المصرية لم يلتزموا بهذا المبدأ فالحاكم بأمر الله حرم ابنه منها وأسندها إلى ابن عمه عبد الله الرحمن[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص27.

(2) الشيال: الوثائق الفاطمية، ص20.

(3) الشهرستاني: المصدر السابق، ص27-28.

(4) الشيال: الوثائق الفاطمية، ص21.

وقد أسندت لولي العهد مهام عظيمة في إدارة أمور الدولة في مختلف جوانبها فقد كان بعض خلفاء المرحلة المغربية لا يولون ولي العهد اهتماما إلا في آخر حياتهم خشية من نفوذه، ومنافسته الخليفة، ومن ذلك أن المهدي لم يعين ولي عهده إلا في سنة 316هـ/930م رسميا[1]، بيد أن القائم بأمر الله عين ولى عهده قبل أن يدفن المهدي، وعن ذلك قال جوذر بأنه عندما توفي عبيد الله المهدي وأراد أن يدفنه القائم، أسر إليه وحده بإسناد العهد لابنه المنصور قائلا له:

"لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه... ولدي إسماعيل حجتي، وولى عهدي فاعرف حقه وأكتم أمره أشد كتمان حتى أظهره بنفسي في الوقت المناسب"[2] وأضاف

([1]) ذكر ابن عذارى أنه في هذه السنة بعث المهدي أبا القاسم على رأس حملة عسكرية لإخماد ثورات في المغرب، غير أنه رجع من طبنة فجأة لما بعث إليه بأنه يشاع بين الناس أن المهدي رشح ابنه أحمد المكني بأبي علي لولاية العهد، وقد صلى بالناس عيد الأضحى، البيان، ج1، ص193 إلا أن الداعي إدريس الإسماعيلي لم يرد حجة العودة لأبي القاسم فاكتفى بسرد الحدث وتعليله بيأس أبى القاسم من ملاحقة أبى خزر المغراوي في القفاز. عيون الأخبار، ج5، ص68-70.

([2]) سيرة جوذر، ص40، وما ذكره ابن حماد عن إسناد القائم ولاية العهد لابنه المنصور في شهر رمضان سنة 334هـ/946م كان من باب التأكيد على ولايته أخبار ملوك بني عبيد، ص32.

جوذر أن كلا من القائم والمعز لدين الله قد جعلا من ولاية العهد أمرا سريا، وكان هو بنفسه مستودع السر[1].

كما بدت سنة إخفاء موت الإمام عند أولياء العهد ظاهرة منتشرة في البلاط الفاطمي حتى يديروا أشغالهم وأمور دولتهم[2].

وخلاصة القول، أن ولاية العهد كانت من الأمور الأساسية في العقيدة الإسماعيلية ومن الأمور الخاصة بالإمام يسندها لمن شاء[3]. وقد قامت الخلافة الفاطمية على جهاز إداري دقيق إذ انحصرت الوظائف في اتباعهم ومعتنقي مذهبهم، وقد أقصوا منه كل مخالف لمذهبهم[4].

وقام هذا الجهاز على أنقاض النظام الأغلبي إلا أنه أدخلت عليه بعض التعديلات تتماشى وخصائص المذهب الإسماعيلي، إن استحدث الفاطميون وظائف جديدة لم تعرف عند غيرهم ممن حكموا بلاد المغرب، وذلك مثل وظيفة داعي الدعاة[5] وكثيرا جدا

([1]) سيرة جوذر، ص41.

([2]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص27. النعمان: الافتتاح، ص334. المقريزي: الخطط، ج1، ص351. الاتعاظ، ج1، ص74.

([3]) سيرة جوذر، ص41.

([4]) النعمان: الافتتاح، ص295-296.

([5]) دائرة المعارف الإسلامية مقال الداعي، م9، ص94-96.

ما كانت تضغم مع وظيفة قاضي القضاة ويسندان إلى شخص واحد[1]، وكانت من أرباب الوظائف الهامة الدينية، فله النظر في أهم الأمور الإدارية من جهة ونشر مبادئ المذهب الإسماعيلي وأخذ العهد على من يعتنقه من جهة أخرى[2]، كما كان يساعده في المهمة اثنا عشر نقيبا هذا بالإضافة إلى النواب المنتشرين في كل الأعمال[3]، فهو في مهمته يمثل رئيس الوزراء في الأنظمة المعاصرة.
وكذلك وظيفة حامل المنطقة[4]، وصاحب الستر[5]، وحامل سيف سيف الخليفة، وحامل قضية وصاحب التاج[6].

([1]) المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي: السيرة المؤيدة، ص121.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص298-299. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص479-480.

([3]) الشيرازي: السيرة المؤيدة، ص121.

([4]) لقد استعملها الخلفاء الفاطميون عند خروجهم حتى تحميهم من حر الشمس ويتولاها أحد خواصهم وعنها قال ابن حماد "والمظلة التي اختصوا بها دون سائر الملوك شبه درقة في رأس الرمح ومحكمة الصنعة، رائعة المنظر، ظرف من الصناعة والصياغة، ونظم الأحجار الغالية... يمسكها فارس من الفرسان" أخبار ملوك بني عبيد، ص26. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص468-479.

([5]) لقد كانت من وظائف الفاطميين التي أولوها أهمية كبيرة فقال عنها المقريزي أنها تتمثل في رفع الستار عن الخليفة إذا جلس على عرشه في مقابلة الأعيان والأنصار والعامة. الاتعاظ، ج1، ص97.

([6]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص468-479. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

ويرجع الفضل الأكبر في وضع أسس النظام الإداري الفاطمي في بلاد المغرب إلى أبى عبد الله الشيعي، وأن بدت أعماله فيه مؤقتة، وكان ذلك عند دخوله رقادة في سنة 296هـ/ 909م[1] واضعا اللبنة الأساسية له معلنا ميلاد الدولة الفاطمية، وإجلاء الأسرة الأغلبية عن حاضرتها، ونادى بالأمان، فاستتب الوضع فقام بتعيين الولاة وتدوين الدواوين إذ هو اهتم بوضع منهاج يعلن فيه عن كيان الدولة، وأسس بذلك القاعدة الاقتصادية والعسكرية التي سينطلق منها هذا الجهاز الحكومي.

وقام أبو عبد الله الشيعي بتوزيع دور مدينة رقادة على جنده وأنصاره من الكتاميين، فراعى ما كان لهم من فضل في إقامة هذا السلطان، فقد أحدث مصلحة لتركات "زيادة الله" والهاربين معه من سلاح وجوار وأموال، فقد عليها أحمد بن فروخ الطبني[2] وبهذا تأسس بيت المال الفاطمي. وولى على مدينة تيهرت أبا

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132. النعمان: الافتتاح، ص245-246. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص243-303. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36. المقريزي: الخطط، ج1، ص350 ابن عزارى: البيان، ج1، ص150-151.

حميد داوس بن صولات اللهيصي وإبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهواري، وكان يلقب بالسيد الصغير[1].

واعتمد أبو عبد الله الشيعي على نظام لا مركزي في تسير أمور دولته موفرا بذلك أعباءها على المهدي ومهيئا أمامه سلطانا عظيما كما يحتمل أن تكون هذه السياسة موجهة منه حتى يكون هو المباشر لتسير شؤون الدولة ويبقى الإمام مستورا، إذ واجه أبو عبد الله الشيعي المهدي حول تقويم قبيلة كتامة قائلا له: "لو تركتهم كما كانوا والي أن أباشرهم دونك آمرهم وأنهاهم وأقيمهم على ما عودتهم، وأجريهم على دأبى لهم وأبى حروبك بهم، دونك فيهم وفي غيرهم، فتكون وداعا في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم إليك ليكون ذلك أهيب لك وأشر لأمرك وأزجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه"[2].

وكان أبو عبد الله الشيعي يسمح لمجلسه من الأنصار مناقشة شرعية إصلاحاته[3] وكان يأمر الخطباء في المساجد أن يصلوا على

([1]) المرجع السابق، ج1، ص153.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص308.

([3]) المرجع نفسه، ص289. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36.

رسول الله، وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء[1]، وأمر بضرب السكة وأن ينقش على الوجه الواحد: "بلغت حجة الله. "وعلى الوجه الآخر "تفرق أعداء الله"[2].

والملاحظ هنا أن أبا عبد الله الشيعي "اعتمد على شعارات دقيقة تشد أهل بلاد المغرب نحوه وتحبب المذهب الإسماعيلي فيهم، وكان هدفه من ضرب النقود منذ اللحظات الأولى التي تأسست فيها الدولة هو إعلان الاستقلال المالي عن الدولة العباسية وتأكيد السيادة الفاطمية على بلاد المغرب[3].

ونقش على السلاح عدت لسبيل الله". وعلى خاتمه الذي يطبع به الكتب "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا"، ورسم في جلال الخيل "الملك لله"[4].

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132، ج8، ص17. النعمان: الافتتاح، ص249. النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 31. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.حسن حسنى عبد الوهاب: الورقات، ص436-437.

([3]) عفيفي إبراهيم: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية، ص240. يحتفظ متحف الباردو بهذا النقد الذي قام الأستاذ Farrugia بدراسته ونشر صورته في Revue Tunisienne 1948, p 107.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص36. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص19. النعمان: الافتتاح، ص250. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص88.

والدارسون يذهبون مذاهب شتى في تفسير ترتيبات أبى عبد الله الشيعي الأولى التي استولى فيها على رقادة إذ أنه لم يذكر اسم المهدي على علامة من علامات الملك التي رسمها في السكة والسلاح[1]، وتم رأى آخر وهو أن أبا عبد الله الشيعي حرص على إخفاء اسم المهدي من التنظيمات التي وضعها حرصا على سلامة صاحب السلطان، وهو في قبضة بني مدرار[2] ولكن لو جاز لنا الأخذ بالرأيين نجد أنه عقب سقوط الدولة الأغلبية كان لقب المهدي معلوما في أغلب مناطق المغرب وبخاصة في بلاد إفريقية وميلاد الدولة الفاطمية بدا لأهل المنطقة أمرا واقعا.

وقصارى القول، أن أبا عبيد الله الشيعي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية بفضل جهوده فقد نجح في إقامة الجهاز الإداري مستغلا بذلك كل العوامل التي يكمن بداخلها سر النجاح، فهب بإزالة الدويلات المستقلة والمختلة مذهبيا، فقد أزال كل المعضلات التي كادت أن تحول دون قيام هذه الدولة، وحين قدم المهدي إلى عاصمة ملكه وجد دولته قائمة تامة الشروط وبذلك

([1]) مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص113.

([2]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية، ص239-240. عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية، ص211-212.

تسلم مقاليد الخلافة بصورة رسمية فلاقاه أعيان القيروان وبايعوه البيعة العامة[1].

وأمر المهدي أن يدعى له بالخلافة على المنابر لما حضرت صلاة الجمعة في مختلف الأمصار[2]، كما بادر إلى وضع جهاز إداري

---

(1) ويغلب على الظن أن المهدي بويع بسجلماسة أولا، وعندما وصل رقادة تمت البيعة الرسمية له. وقد كانت أقدم عملة عن المهدي مؤرخة بسنة 297هـ/909، 910 وخالية من ذكر اسم المدينة التي تم الضرب فيها من جهة وأنها خالية من ذكر لقب أمير المؤمنين الذي وجد على عملة أخرى ضربت في القيروان في سنة 300هـ/912م. وهذه صورة للدينار الذي ضرب في سنة 909/297م، وكان من ذهب. الوجه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الوجه الثاني: -الله- محمد رسول الله- المهدي-

دائري: بسم الله، ضرب هذا الدينر لسنة سبع وتسعين ومئتين.

أما الدينار الذي ضرب في القيروان في سنة 300هـ/912م.

الوجه: عبد الله لا إله إلا الله وحده – لا شريك له- أمير المؤمنين.

الوجه الآخر: الإمام -محمد- رسول الله- المهدي بالله.

دائري: محمد رسول الله أرسله بالمهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله.

راجع ابن خلدون: ج4، ص36. حسن حسني عبد الوهاب. ورقات عن الحضارة العربية، ج1، ص436، 438.

Stanly lane poole : Gatalogue arabic coins kedivial, p 148. Lane poole, Gatalogue of oriental coins in the British museum vol 4, p2. Furigia de candia : Monnaies Fatimites du Muséer du Bardo, dans (Revue Tunisienne 1936, pp 343-344).

ملاحظة: حسب نقود عبيد الله المهدي، فقد تلقب بثلاثة ألقاب هي (أمير المؤمنين- الإمام – المهدي بالله- توجد هذه السكة بالمتحف الوطني للآثار القديمة في الجزائر.

(2) النعمان: الافتتاح، ص290. ابن عذارى: البيان، ج1، ص153.

وسياسي يكفل لدولته الفتية النهوض والنمو، فأقر كثيرا من أعمال أبى عبد الله الشيعي الإدارية، وقد أدخل تعديلا على بعض الوظائف باعتبارها تنظيمات عاجلة – كما أنه أبقى على بعض المصالح الإدارية التي وجدت في عهد بني الأغلب ما سهلت عليه استغلالها في حكم بلاد المغرب ومنها مصلحة البريد[1].

وقد أظهر المهدي تدبيرا دقيقا لدولته فجدد ما كان يراه لازما وعجل في إقامته وأقر بعض رجال الدولة في وظائفهم مثل القمودي[2] والقاضي المروزي[3] وأعاد المهدي تنظيم بعض الدواوين مثل ديوان الخراج الذي أحرق بعد خروج زيادة الله وأسندت مهامه إلى أبى القاسم ابن القديم[4]، ووضع ديوانا لبيت

([1]) ومن الدوادين التي وجدت في عهد بني الأغلب ديوان البريد، وهو من أقدم المصالح في الدولة الإسلامية وكان يتبع مباشرة لديوان الجيش غير أنه انفصل عنه لما اتسعت مهمة، فغدى يستعمل في نقل البريد العمومي من مراسلات حكومية، كما استعمل في نقل السجلات الإدارية بين ولاة بني الأغلب والخلافة العباسية في المشرق. وكان الحمام الزاجل وسيلة هامة فيه. حسن حسني عبد الوهاب بساط العقيق: ص 49–52– د.م.أ.م3 مقال البريد، ص609.

([2]) تولى هذا المنصب في عهد أبى عبد الله الشيعي. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

Dachraoui Farhat : Le califate fatimide, p403.

([3]) تولى هذا المنصب في عهد أبى عبد الله الشيعي. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151، 159. النعمان: الافتتاح، ص247.

([4]) لقد تخلص المهدي منه بتهمة الميل إلى أبى عبد الله الشيعي في حركته المضادة للحكم الفاطمي. النعمان: الافتتاح، ص303. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.167.

المال وعلى رأسه أبو جعفر الخزرى[1] وشكل ديوانا للعطاء وعلى رأسه عبدون بن حباسة، وكان المهدي قد أمر بإثبات الموالي وأبناء العبيد فيه[2].

ونصب ديوانا للكشف وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية[3] لم توضح ماهيته فإنه يرجح أن يكون وضع لمراقبة جباة الأموال[4] وقد ترأسه كل من أبي جعفر البغدادي مع اشتراك عمران بن خالد وذلك في سنة 295هـ/912م[5].

وأبقى المهدي على ديوان البريد الأغلبي وتولى أبو جعفر البغدادي مهامه وأن فوضت إليه عدة صلاحيات[6].

وأوردت المصادر التاريخية ضمن مصالح الإدارة الفاطمية مصلحة الخبر والتي وضعت للقضاء على المناوئين للحكم الفاطمي[7]، وقد تطورت في مهامها إلى أن امتازت بالقوة وبالدقة. كما عرف

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص303-304. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(3) قال عنه دون تحديد خصائصه: الافتتاح، ص303. البيان، ج1، ص162.

(4) Dozy : Supplement aux dictionnaires arabes T2, p471.

(5) ابن عذارى: البيان، ج1، ص162.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص196.

(7) الخشني: كتاب الطبقات، ص232.

جهازهم الإداري مصلحة الوثائق[1]، وقد كانت تابعة لأمور القضاء وقد أولى الفاطميون عناية شديدة لمنصب القضاء وحصروا فيه أتباعهم وأنصارهم كما حرصوا على تنظيمه وفق تعاليم مذهبهم الإسماعيلي ومصالحهم السياسية إذ أن المهدي عين على هذا المنصب مجموعة عرفت بتعصبها الشديد للمذهب الإسماعيلي وحرصها على مصلحة الدولة، ومن أشهرهم القاضي المروروذي، وإسحاق بن منهال ومحمد بن محفوظ القمودي، ومحمد بن عمران النفطي، كما وظّف عناصر اعتنقت مذهبه وأظهرت خدمات جليلة لصالح الدولة مثل محمد بن سيرين الذي كان حنيفي المذهب، وقد خرج مع أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة لتخليص المهدي من سجنه فولاه بعد ذلك المهدي قضاء برقة[2]، ويعتبر هؤلاء القضاء من أشهر قضاة الإسماعيلية في بلاد المغرب، هذا دون أن نغفل القاضي النعمان الذي تولى هذا المنصب في عهد الخليفة المنصور والمعز لدين الله. وعندما انتقل مركز الخلافة الفاطمية

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص204-205.

([2]) الجودي: طبقات قضاة القيروان، ورقة 43. الخشني: طبقات علماء إفريقية 231-232. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص345. ابن عذارى: البيان، ج1، ص153-188. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص29. ابن خلكان: الوفيات، ج5، ص415.

إلى ديار مصر فقد رافق النعمان المعز إليها، وانحصر هذا المنصب في عائلته بعد مدة[1].

ومما هو جدير بالملاحظة أن الفاطميين أسندوا منصب قاضي القضاة لأشخاص قد توفرت فيهم خصائص تتفق ومصالح سياستهم وأعطوا لجهازه أهمية من ذلك أنه ورد في كتاب دعائم الإسلام حيث لأولى الأمر على اختيار المعارف الكفوء لمنصب القضاء وذلك وفق مفاهيم خاصة، أن يكون القاضي من العارفين بمنزلة الحكم عند الله لأنه ميزان العدل بين الرعية، إلى جانب التأكيد على تعاهد أمر القاضي ومراقبته، وتوفير المال له حتى تقل حاجته ويستغني عن الطمع والرشوة[2]، ولكن هناك قضاة فاطميون لم يلتزموا بهذه القواعد، فكثيرا ما كان القاضي المرروذي والقاضي محمد بن عمران النفطي يرتشيان في أحكامها وينكلان بكل مخالف عن المذهب الإسماعيلي[3] وتجلت أيضا صلاحية قاضي القضاة في إثبات العدالة في الخلافات والمنازعات المدنية والجنائية. وكثيرا ما كان يحكم في القضايا التي تطعن في الدولة

---

(1) الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص588.

(2) النعمان: الافتتاح، ج1، ص368-369.

(3) الدباغ: المعالم: ج1، ص140. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3 ورقة 208-233-240. الجودي: طبقات قضاة القيروان ورقة 43. ابن عذارى: البيان: ج1، ص188.

والمذهب الإسماعيلي إذ وردت صور عديدة لهؤلاء الذين عذبوا وقتلوا على أيدي قضاة الفاطميين بتهم الطعن في الدولة بعد تلك المجالس الساخنة التي كانت تقام من أجل التناظر[1] كما امتد اختصاصه إلى ميادين أخرى مثل تنصيب نوابه في الولايات وذلك على منوال بني الأغلب، وقد أعطى له هذا الامتياز في عهد أبى عبد الله الشيعي حيث اجتمعت للقاضي المروروذي السلطة الكاملة[2].

وكان للقاضي الحرية الكاملة في تغيير أماكن قضاة النواحي وحق عزلهم منها أن اقتضت الضرورة كما كان له النظر في أهم الوظائف العامة مثل الحسبة ودار الضرب وبيت المال وبهذا الصدد قال القلقشندي: "ولا يتقدم عليه أحد أو يحتمي عليه وله النظر في الأحكام الشرعية ودار الضرب، وضبط عياره، وربما جمع قضاة الديار المصرية وإجناد الشام وبلاد المغرب لقاضي واحد وكتب له به عهدا واحدا"[3].

([1]) الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص198. الخشني: الطبقات، ص232. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص 247.

([3]) صبح الأعشى: ج3، ص482.

وقد يتولى قاضي القضاة أحيانا إلقاء بعض الخطب في المناسبات داخل المساجد الرئيسية في الحاضرة وبعض المدن الهامة[1]. وحينما تولى المعز الخلافة كان يوجه قاضي قضاته النعمان ويزوده بالنصائح من حين إلى آخر، وينقح ويعدل من الفتاوي والأحكام[2]، مما يوضح لنا أن صاحب هذا المنصب موجه من السلطة العليا عند إصدار القرارات، كما جرت القاعدة منذ عهد عمر بن الخطاب على تخصيص مرتبات للقضاة مقابل تفرقهم لهذا العمل، ومن ثم فإن القضاء كان مأجورا، وقد تراوحت قيمته في عهد الفاطميين حوالي ألف ومائتين دينارا شهريا[3].

وكثيرا ما كان الخليفة الفاطمي يخلع على قاضي القضاة من الخلع والهدايا في المواسم، وبهذا فقد كان منصب قاضي القضاة من أعلى المناصب الدينية عند الفاطميين، فسلطة صاحبه أقوى من سلطة المحتسب ودون مستوى صاحب المظالم فهذا الأخير

([1]) وذلك في المهدية والقيروان والمنصورية: حسن إبراهيم حسني وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص190.

([2]) المرجع نفسه، ص193.

([3]) حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص351-352.

يمتاز بقوة أكثر، فله حق استعمال الترغيب وحق استماع الشهادة سرا والاستماع للشهادة قبل سماع دعوى المدعي[1].

وقد نشأت هذه الوظيفة تبعا لمقتضيات الحال وفيها من خصائص القضاء والتنفيذ معا، فوالي المظالم قد يتعرض لحسم المنازعات التي يعجز عن نظرها القضاء، وعن هذا قال محمد أبو زهرة في تعريفه لولاية المظالم أنها كولاية القضاء وكولاية الحرب.

وكولاية الحسبة، جزء مما يتولاه ولي الأمر الأعظم، ويقيم فيه نائبا عنه من يكون فيه الكفاية والمهمة لأذائه، ويسمى المتولي لأمر المظامل ناظرا ولا يسمى قاضيا، وإن كان له مثل سلطان القضاء ومثل إجراءاته في كثير من الأحوال، ولكن عمله ليس قضائيا خالصا بل هو قضائي وتنفيذي[2].

وقد رأت الإسماعيلية أن عليا ابن أبى طالب أول من جلس لسماع مظالم الناس[3]، وقد تولتها شخصيات كبرى على مدى

([1]) الماوردي: الأحكام السلطانية.

([2]) نقلا عن كتاب السلطات الثلاث لسليمان محمد الطماوي من بحث الشيخ محمد أبو زهرة بعنوان: "ولاية المظالم في الإسلام. مقدمة إلى الحلقة الدراسية الأولى للقانون والعلوم السياسية التي عقدت بإشراف المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب الاجتماعية في القاهرة، أكتوبر، سنة 1960، ص498-499.

([3]) حسني إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص203.

تاريخ الدولة الإسلامية كالخلفاء والوزراء والأمراء حيث يتوفر فيهم القدر الجليل وكثرة الورع وقلة الطمع[1]، ولكن الفاطميين لم يتولوها على حقيقة شروطها وماهيتها إذ عذب المهدي أناسا لمجرد أنهم اشتكوا إليه ظلم الولاة وتعسفهم في نهب الأموال[2] على الرغم من أن القاضي النعمان ذكر أن المهدي كان يتولى المظالم بنفسه وينظر في الشكاوي المقدمة إليه وينصف أصحابها[3].

ويستخلص مما تقدم، أن الفاطميين استخدموا هذه المصلحة لتحقيق وتأمين أغراضهم السياسة والمذهبية كما كان شأنهم في كل الوظائف الإدارية الأخرى باستثناء مرحلة الخليفة المعز لدين الله الذي أنصف الرعية في بعض الأحيان من ذوي السطوة والبطش[4]، ومن جهة أخرى فإن الفاطميين أولوا اهتماما لوظيفة

---

(1) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص77.

(2) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص232.

(3) الافتتاح، ص305-306.

(4) سيرة جوذر، ص123-124.

الحسبة مقلدين سنة الأمم السابقة من بلاد المشرق والمغرب[1] وقد سخر الفاطميون الحسبة لمصلحتهم الخاصة، وإن صدرت منهم أعمال مخالفة في أساسها لمبدأ الحسبة، فزيادتهم في الأذان

"حي على خير العمل" من تباب النهي عن المنكر المتعلق بحقوق الله، وكذلك قطع صلاة التراويح في رمضان كلها مستحدثات التزام الفاطميون بها وعاقبوا تاركيها[2].

وبهذا فقد وضع جهاز الحسبة لتمكين المذهب الإسماعيلي بين رعاياهم فحصروه في مواليهم ومعتنقى لمذهبهم وكان المحتسب يعرف بصاحب السوق، ويتقلد وظيفته من قاضي القضاة[3].

كما استعان الفاطميون عند وضعهم للجهاز الحكومي بأشخاص لامعين وماهرين في مباشرة الأعمال وإن لم يتخذوا في مرحلتهم المغربية وزراء لهم بأن بقي منصب الوزارة من الناحية الرسمية

([1]) يعود تاريخ ظهور الحسبة في الدولة الإسلامية إلى عهد عمر بن الخطاب، فكان يقوم بها بنفسه، إذ كان كثير التجوال بين المسلمين ليلا ونهارا، وكان يوجههم للالتزام بأحكام الدين، وتميزت وظيفة المحتسب، وأخذت بها الدولة الأموية والعباسية في بلاد المشرق كما عرفها الجهاز الإداري في بلاد المغرب قبل الوجود الفاطمي فيه ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص280. موسى لقبال: الحسبة، ص20-40.

([2]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص19-27. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص240-243-244.

([3]) موسى لقبال: المرجع السابق، ص35.

شاغرا مدة عهد الفاطميين، أما من الناحية الميدانية فهناك شخصيات قامت بأعمال الوزراء[1]، فكثيرا ما تمركزت عدة صلاحيات عند شخص واحد وبخاصة تلك التي تقلدها البعدادي فهي بمثابة الوزارة ولم يترسم رسميا بذلك، إذ فوضت إليه أمور كثيرة في الدولة، ومن المهام التي مارسها البغدادي ودلت على حظوته عند المهدي هو وساطته ين الرعية والمهدي عند تسويه الأحوال العامة، ومن ذلك أن الفقيه ابن اللباد لما أدخله قاضي القضاة إسحاق بن أبى المنهال السجن، لم يطلق سراحه إلا بمساعي البغدادي[2] وكثيرا ما كانت ترفع إليه شكاوي الأهالي حتى يبلغها إلى المهدي، إذ رفع إليه صاحب الخبر تهمة أحمد بن موسى التمار أحد فقهاء المالكية أنه يطعن في الدولة فأمر المهدي بقتله[3]، والأبعد من هذا أن كان البغدادي يتدخل أحيانا في عزل وتولية من يشاء من الموظفين[4].

---

(1) الجوذري: سيرة جوذر، ص16. محمد عبد الحميد المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص25. هوبكنز: النظم الإسلامية، ص40.

(2) الدباغ: المعالم، ج3، ص23-29-30.

(3) الخشني: الطبقات، ص232.

(4) ابن عذارى: البيان، ج1، ص205. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص161. سيرة جوذر، ص35.

وهناك شخصيات أخرى نالت حظوة كبيرة في البلاط الفاطمي وتولت منصب الكتابة، وهي أعلى المناصب.

وقد كان خلفاء هذه الدولة لا يولون مثل هذه الوظائف إلا من يتوسمون فيهم الإخلاص للسلطان الفاطمي والدعوة الإسماعيلية ومثل ذلك الأستاذ جوذر وجوهر الصقلي[1].

وأن منصب الأستاذ جوذر كان أشبه ما يكون بمنصب وزير التنفيذ[2]، إذ هو تولى في عهد القائم بأمر الله منصب الكتابة ولما أسندت إليه وظيفة النظر في بيت المال وخزائنه، وقال جوذر على لسانة: "فجعلني سفيرا بينه وبين أولياءه وسائر عبيده وإذ أراد أمرا يكشفه في حضرته أنفذني فيه"[3].

كما نال نفس الحظوة عند الخليفة المنصور إذ هو كلف بالحل والربط في جميع الأمور[4]، حتى استخلفه المنصور على ملكه عند مطاردته لحركة أبى زيد بن مخلد ليصل جوذر أعلى المراتب أن

([1]) مرمول: السياسة الداخلية الفاطمية، ص200.

([2]) الجوذري: سيرة جوذر، ص39. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص25. المناوي: الوزارة والوزراء، ص26.

([3]) سيرة جوذر، ص39.

([4]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص161.

يتولى نيابة الإمامة[1] ويسر أحوال الرعية والغيار المؤقت للخليفة[2].

وقد اشتكى جوذر في يوم إلى المنصور أن العمال لا يريدون أن يتدخل أحد في شؤون عمالاتهم، فقال له الخليفة أن لا شيء يكون في المهدية كلها وفي كافة ما حوله من الأعمال مثقال ذرة إلا وأنت تعرفة وتعني به وتتحكم فيه[3].

وقد تمتع أيضا جوذر بنفس الاحترام والتقدير في عهد المعز حتى منحه السلطة على مراقبة أفراد القصر، فضيق عليهم حتى اشتكوا به إليه فلم يقبل شكواهم مخولا جوذر في المهمة قائلا له: "وعليك فيما قبلك بالاحتراس ما أمكنك والضبط ما استطعت منع هؤلاء القردة من الوصول إلينا والخروج من أبواب بيوتهم، فضلا عما سوى ذلك"[4].

---

(1) سيرة جوذر، ص48. ابن حماد: أخبار ملوك بن عبيد، ص35. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص314.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة، سيرة جوذر، الحاشية، رقم 11، ص35.

(3) سيرة جوذر، ص44.

(4) المرجع السابق، ص139.

وكان كذلك المعز يأمر أولاده وإخوته وجميع رجال دولته بالخروج لملاقاته وتقديم الطاعة والاحترام له[1]، وقد أسر إليه المعز يأمر ولاية العهد لابنه عبد الله الأصغر دون ابنه الأكبر تميم من بين سائر الناس، فكتم جوذر ذلك سبعة أشهر[2].

وحينما مرض جوذر كتب إليه المعز قائلا: "لو كانت العافية يوصل إليها بثمن من أعراض الدنيا وإن جل ما بخلنا بابتعاهها من النفيس الخطير من نعمة الله عندنا"[3].

وقد كان جوذر رفيق رحلة المعز إلى مصر إلا أنه توفى في الطريق ببرقة سنة 358هـ/973م.

وحظي أيضا جوهر الصقلي[4] بهذه المكانة في البلاط الفاطمي ليصل مرتبة كاتب في عهد المعز[1]، ولا شك أنه لم يصل إلى هذا

([1]) سيرة جوذر، ص199.

([2]) المرجع نفسه، ص108.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([4]) فهو من أصل رومي من أهالي صقلية، وقد جلب مع الأسرى والخدم إلى البلاط الفاطمي، وبفضل مواهبه السياسة والعسكرية بخاصة استطاع أن ينال حظوة كبيرة عند كل من المنصور والمعز فقال عنه ابن الأثير في أحداث سنة 348هـ/960م "عظم أمر أبى الحسن جوهر عند المعز بإفريقية، وقد صار في رتبة الوزارة كما أفرد له على إبراهيم حسن كتابا تحت باب التراجم عنوانه (تاريخ جوهر الصقلي) يتضمن حياة جوهر منذ أن وصل إلى أرض بلاد المغرب وحل بالبلاط الفاطمي إلى أن استقر في مصر على أثر فتحه لها مع خليفته المعز وما

المنصب إلا بعد أن ظهرت قدراته العسكرية النابة بصورة خاصة في كسر شوكة خصوم الفاطميين وتحقيق مطامح الفواطم في التوسع الداخلي والخارجي[2]، فقال عنه ابن خلدون بأن كان على رأس وزارته[3]، غير أن ابن دينار والوزير السراج ذكر أن جوهرا صار على رتبة الوزارة[4] ولم يقولا أنه أصبح وزيرا ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الحقيقة التاريخية لأن هذا المنصب كان مضمر الرتبة[5].

كما اعتبر جوهر الصقلي المؤسس الثاني للدولة الفاطمية لما قدمه من خدمات في المجال السياسي والعسكري.

وقصارى القول أن الفاطميين قد استغلوا في بلاد المغرب عن الوزارة بمنصب الكتابة وكانت أرقى المناصب في السلم الإداري عندهم، وكما تبين لنا أن عدم تجمع عدة صلاحيات في شخص

قدمه من خدمات لصالح هذه الدولة ودعوتها، راجع ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354.
القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص345.

([1]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص49. ابن خلدون: العبر، ج3، ص96.

([2])ابن الأثير: الكامل، ج6، ص954. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص345. ابن عذارى، ج1، ص222.

([3]) العبر، ج4، ص96.

([4]) المؤنس، ص64. الحلل السندسية، ج1، ص909.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354.

واحد في عهدهم وبخاصة في المرحلة المغربية، يعود إلى عدم ثقة هؤلاء الخلفاء في رجال الدولة حتى بأقرب الناس إليهم فضلا عن أن التشيع اتخذ اتجاها للعصبية العربية معتمدا على الموالي في تسيير أمور الدولة، وهي ظاهرة امتاز بها العالم الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية.

ونال عنصر الصقالبة[1] مكانة عظيمة عند الفاطميين في بلاد المغرب لفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها[2]، بأن نيطوا بالمهام الجسام، وتولوا تنفيذ الإجراءات الإدارية والمالية الهامة. فاتخذهم المهدي عند دخوله عاصمة ملكه في خدمته، ومما يؤكد ذلك قول جوذر أنه عندما مثل بين يدي المهدي كان معه جملة

([1]) إن كلمة "صقالبة" مقتبسة في الغالب من تسميتهم بسلاف، والتحريف صارت صقالبة وقد أطلقها العرب على الأرقاء الدين كانوا يجلبون عن طريق أوروبا الشرقية خاصة (بلغاريا- رومانيا، يوغسلافيا، تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، بروسيا، يبتاعون للخدمة في القصور أو في الجيش والإدارة. أما الإناث منهم يبتاعن كجواري في القصور. ابن حوقل: صورة الأرض، ص106. المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص201. ابن حيان: المقتبس، ص48. شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج1، ص46، ص48. سيرة جوذر، ص14.

([2]) ابن خلدون أورد تلحيلا في هذا عن "استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل صبيته بالموالي والمصطنعين". المقدمة، ج1، ص235-256.

من الصقالبة وغيرهم ففرقهم في خدمة خزائنه[1]. فضلا عن قيادتهم للجيوش[2] وتوظيفهم حراسا في داخل القصور[3].

ومما لا ريب فيه أنه كان لمواهبهم دور في تقريبهم إلى مثل هذه المناصب فضلا عن ثقة هؤلاء الخلفاء بهم أكثر من غيرهم الذين تحميهم عصبيات متنوعة أما هؤلاء الموالي فهم غرباء عن هذه البلاد فقد دخلها عبيدا وسيظلون كذلك وفق تربية محكمة، مما جعلهم مطيعين لأوامر أسيادهم ولو وصلوا إلى أعلى المراتب[4].

إن مبدأ الإسماعيلين يقوم في أساسه على النظام المركزي وفيه يظهر الحكم المطلق للخليفة في إدارة سلطاته العامة غير أن ضرورة الإشراف على أحوال دولته الشاسعة، استوجبت قيام نظام الولايات والعمالات حيث يتم اختيار الولاة حسب شروط معينة ودقيقة وذلك من طرف الخليفة وأسند للولاة والعمالات حيث يتم اختيار الولاة حسب شروط معينة ودقيقة وذلك من طرف الخليفة

---

(1) سيرة جوذر، ص35.

(2) المرجع نفسه، ص13. البيان، ج1، ص193. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص39-40. ابن خلدون: العبر، ج4، ص96.

(3) النعمان: الافتتاح، ص303-304.

(4) مرمول: المرجع السابق، ص122.

وأسند للولاة دور المشرف في إدارة النواحي البعيدة عن حاضرة الدولة وفقا لأوامر الخليفة[1].

فقد كانت الولايات في نظامها الإداري تشبه عاصمة الخلافة[2] ولم استقر بالمهدي قرار الملك قام بتعيين عماله على الأقاليم[3]، إذ هو نظم أمور سجلماسة الإدارية قبل إعلانه خليفة لهذه الدولة وعين عليها واليا وهو إبراهيم بن الأغلب المزاتي وترك معه حامية من كتامة عند سقوط دولة بني مدرار[4]، وبهذا يعتبر أول وال فاطمي في بلاد المغرب، وحين مر المهدي با "يكجان" وضع القاعدة الاقتصادية لخزينته المالية أن أمر بجمع الأموال بها[5]. ونقلها إلى رقادة[6] وقد عين أيضا على برقة حباسة بن يوسف

(1) النعمان: الافتتاح، ص302. المقريزي الخطط، ج1، ص350. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159.

(2) صالح مصطفى: برقة وطرابلس، ص128.

(3) النعمان: الافتتاح، ص302. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص91. الخطط: ج1، ص350. ابن الوردي: تاريخه، ج1، ص348.

(4) ابن عذارى: البيان، ج1، ص119.

(5) النعمان: الافتتاح، ص288-289. المقريزي: الاتعاظ، ص91. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133.

(6) المرجع نفسه، نفس الصفحة، النعمان: الافتتاح، ص292-293. المقريزي: الاتعاظ، ص92. ابن عذارى: البيان، ج1، ص158. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35.

وعلى طرابلس ماقنون بن ضبارة الأجاني[1] وعلى المغرب الأوسط عروبة بن يوسف ومقره تيهرت[2].

وقد اتبع الفاطميون سياسة صارمة مع ولاتهم، فكانوا يتدخلون في تعينهم وعزلهم كل ما مس ذلك بسلطانهم، إذ قام المهدي في سنة 298هـ/912م بعملية تطهيرية للجيل الأول من إدارته إثر مقتل أبى عبد الله الشيعي والمشتركين معه في محاولة الانقلاب ضد حم المهدي[3].

فإن التجريح في حق الدولة الفاطمية ذهب لا يغتفر[4].

فقام المهدي بعد ذلك بتعيين ولاة جدد حسب معايير خاصة، وفي الولايات الهامة وخصوصا التي تقع على الخطوط التجارية وعلى المسالك الرئيسية[5].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38. ابن عذارى: البيان، ج1، ص172.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص168.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص165.

([4]) Vatikiotis : The Fatimids Theory of State, p177.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. ابن خلدون: العبر، ص36. ابن عذارى: البيان، ج1، ص168.

كما عزل المهدي واليه على تيهرت عند ثبوت عجزه وقصوره عن الصمود والمقاومة لتلك الأحداث التي عجزت بها المدينة، إذ هو تهاون في الدفاع عن مصالح الدولة سياسيا وعسكريا[1] والجدير بالذكر هنا أن الفاطميين لم يترددوا في قتل رجال دولتهم بمجرد التقصير في أداء مهامهم، أو محاولة العصيان وذلك خوفا من نفوذهم. وكما لم يراع الفاطميون حق الرعية في اختيار الولاة ففي سنة 319هـ/932م حاولت أهالي تيهرت اختيار والي لها بعد أن أصبح المنصب شاغرا أثر وفاة يصل بن حبوس، فنصبوا علي بن مصالة وأعلموا المهدي بذلك ليتم موافقته الرسمية فجاء رده أن رفض تعيين الوالي المرشح، وعين بدله حميد بن يصل وحامية من جند كتامة ترافقه في أداء مهمته[2].

أما عملية تحديد عدد ولايات الدولة الفاطمية في بلاد المغرب فالمسألة ليس من السهل حصرها نظرا للتمدد والتقلص في حدود هذه الولايات تماشيا والظروف التي مر بها الفاطميون في بلاد المغرب. فكثيرا ما خرجت بعض المدن عن السلطان الفاطمي لفترة أكثر من مرة، وذلك مثل ولاية تيهرت وفاس وسجلماسة قد

([1]) المرجع نفسه، ج1، ص166.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص204.

تأرجح ولاؤهم بين الفاطميين والنفوذ الأموي وكثيرا ما كانت هذه الولايات تخضع للاستقلال الذاتي مما جعل حصرها عملية متذبذبة[1] غير أنه بإمكاننا أن نلمس العدد التقريبي لهذه الولايات في عهد المعز لأن حكمه يعتبر المرحلة الأخيرة للوجود الفاطمي في الأرض المغربية، والتي نظن أنها كانت عواصم للولايات، وهي مسيلة، وكان يديرها جعفر بن علي بن حمدون، وعلى باغاية وأعمالها نصير الصقلبي، وعلى أشير زيري بن مناد الصنهاجي وعلى فاس أحمد بن بكر، وعلي سجلماسة محمد بن واسول وعلى مدينة سرت بابيل الصقلبي وعلى أجدابية ابن كافي الكتامي[2].

ومما يلاحظ في خريطة المغرب الأوسط، تعدد الولايات بها ويغلب على الظن أن هذا التقسيم لولايات لهذه المنطقة جاء بعد أن أدرك الفاطميون ما للمنطقة من أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية من جهة، ومدى خطورتها لأنها موطن قبيلة زناتة من جهة أخرى.

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. ابن خلدون: العبر، ج4، ص46. ابن أبي دينار المؤنس، ص57. ابن الخطيب: أعمال الأسلام، ج3، ص146.

(2) ابن خلدون: العبر، ج3، ص46. ابن أبى ينار: المؤنس، ص57. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص 155.

وكثيرا ما كان خلفاء هذه الدولة لا يهتمون بالشكاوي التي ترفع ضد جور عمالهم في الأقاليم، وقد اعتبر ذلك طعنا موجها ضد سياسة الدولة بشكل غير مباشر[1].

وظهرت عيوب هذه السياسة حين استغل بعض الولاة نفوذهم في تشديد التعسف ونهب الأموال مستغلين مناصبهم الإدارية إلا أنه في فترة حكم المعز أولى اهتماما كبيرا في اختيار ولاته من أهل الكفاية والإخلاص لدولته ومذهبه الإسماعيلي[2] وإن كان الخليفة المنصور قد سبقه في هذا أن عين الحسن بن علي بن أبى الحسين على جزيرة صقلية مكافأة لبلاءه الحسن في قتال حركة أبى يزيد الخارجية[3].

كما أدخل المعز إصلاحا على إقليم الولايات في إشعار الوالي أن الدولة تناصره كلما التزم بسياسة قوية وتحاسبه إذ هو خالف[4]، وذلك بواسطة عيون منبشين في كل جانب، حيث استطاع المعز أن يراقب سلوك ولاته في كل الأنحاء، وبصورة مستمرة، فكان لهذا

---

(1) الخشني: الطبقات، ص232.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص45. البكري: المغرب، ص18. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص128.

(3) أماري ليبرح: مكتبة الصقلية، ص257.

(4) حسن إبراهيم حسن طه محمد شرف: المعز لدين الله، ص151-153-154.

الأسلوب أثره الإيجابي في ربط الولاية بالحاضرة مباشرة من جهة والسيطرة على المنشقين عليه من جهة أخرى وعلى هذا كان عهده أقل وطأة على الرعية من العهود السابقة.

ولم يهمل المعز واجبه نحو إدارته لبلاد المغرب غداة رحيله إلى مصر، فبادر بوضع الترتيبات اللازمة جاعلا من المنطقة جزءا تابعا لسلطانه في مصر فعين بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي[1]، إذ هو أول ملوك بني زيري بعد الخروج النهائي للفاطميين، وتوافرت فيه الدراية بأمور القيادة، فجعل منه المعز ليدن الله نائبا له في أرض المغرب وقد كله بمواجهة الخارجين عليه من زناتة لما لها من قوة وبأس، فضلا عن كونها حليفة للأمويين في قرطبة[2].

وقد جعل المعز مسألة تعيين أعمال الولايات من حقه وحده، بالإضافة إلى بعض المناصب الهامة في الجهاز الإداري، فولى على

---

(1) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص169. ابن الأثير: الكامل، ج7، ص145. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص76. ابن الوردي، تاريخ: ج1، ص411-412. ابن خلدون: العبر، ج4، ص49. ابن عذارى: البيان، ج1، ص228-229. المقريزي: الاتعاظ 101. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص49.

(2) Basset : Etude sur la zenatia de L'oriarisenis, p2. J.Burlot : la Civilisation Islamique, p134.

طرابلس وأعمالها عبد الله بن يخلف الكتامي[1]، وجعل على جباية الأموال زيادة الله بن القديم[2] وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني[3].

وجاءت هذه الترتيبات في هذا النحو، حتى يشغل المعز بلكين بن زيري الصنهاجي ويحد من طموحه في الخروج عن طاعة الفواطم[4].

وخلاصة القول، أن الخلفاء الفاطميين في المرحلة المغربية قد استأثروا بالحكم، ومن البديهي أن يحصروا وظائفهم الإدارية في اتباعهم ومعتنقي مذهبهم، وأبعدوا كل المخالفين لهم حتى أنهم أقصوا أقاربهم عن مختلف مناصب الدولة خوفا من محاولة الخروج عليهم وانفرادهم دونهم بالحكم وذلك عكس ما كان موجودا عند معاصريهم من الدولة الإسلامية.

([1]) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص169. ابن أبي دينار: المؤنس، ص75. ابن خلدون: العبر، ج4، ص39.

([2]) المرجع السابق، نفس الصفحة.

([3]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص75. ابن خلدون: العبر، ج4، ص49.

([4]) ابن ضياف: أتحاف أهل الزمان، ج1، ص131.

الفصل الثاني

السياسة العسكرية والمالية للفاطميين في بلاد المغرب

مظاهر اهتمام الفاطميين بالقوة العسكرية
التنظيم المالي عند الفاطميين وأثره في المجتمع المغربي

جاءت سياسة الفاطميين العسكرية صورة لمختلف النواحي الأخرى من مذهبية وإدارية ومالية. وتعتبر القوة العسكرية في أي دولة كيفما كان معتقدها فهي الأساس الذي يحفظ كيانها داخليا وخارجيا، وتعتبر الدولة الفاطمية إحدى النماذج التي سعت إلى تقوية جهازها العسكري منذ عهد أبى عبد الله الشيعي، الذي شكل أساسها على قاعدة قوية كما حرص على تكوينها على مختلف الفنون والمهارات العسكرية المعاصرة[1].

لقد اهتم الفاطميون بتقوية وتنمية الجيوش، فأخذ عددها يتزايد سنة بعد أخرى. وكانت فصائل قبيلة كتامة النواة الأساسية والأولى حين انضموا إلى دعوة أبي عبد الله الشيعي وفي أرض كتامة[2].

ولقد أولت الخلافة الفاطمية اهتماما كبيرا بالجيش البري وبنفس الأهمية اهتمت بقواتها البحرية وذلك بقصد حماية كيانها السياسي، وبث الأمن الداخلي وصد حركات خصومها في الداخل

([1]) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص131. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص20.
ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

Dachraoui (F) : Le califate fatimide, p218.

([2]) البيان: ج1، ص152. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص19. حورية عبده: علاقات مصر ببلاد المغرب، ص332.

والخارج وإخضاع المناطق البعيدة والإقليمية[1]، هذا زيادة على مهمة الأسطول الحربية والتجارية بين بلاد المشرق والمغرب، إذ كان البحر المتوسط مركزا للنشاط التجاري العالمي في تلك الحقبة التاريخية[2].

ومما لا شك فيه أن المؤسس الأول للجيش الفاطمي في بلاد المغرب هو أبو عبد الله الشيعي وقد أولى اهتماما كبيرا في الجانب العسكري، وذلك حين التقى بالعناصر الكتامية في أول لقاء له بهم سألهم عن خبرتهم في حمل السلاح[3].

وأخذ هذا الجيش الازدياد بمرور الزمن ولما كثر أصبح في حاجة إلى نظام خاص فقسمه أبو عبد الله الشيعي إلى فرق وكتائب حتى يكون بين فصائله نظام في العمل وتنسيق في الحركة.

وقد أورد القاضي النعمان في شأن هذا النظام نصا أوضح فيه جهود الداعي وأن "قسم كتامة أسباعا وجعل لكل سبع منها عسكرا وقدم عليه مقدما وأطلق بكل موضع داعيا وسمى المقدمين

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص38. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127.

Dachraoui (F) : Op cit, p365.

(2) ارشبالدر لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص7-30.

(3) ابن الأثير: ج6، ص127. النعمان: الافتتاح، ص38.

والدعاة "المشايخ" وإن كان فيهم من لم يبلغ السن...)[1]، وما يمكن استنتاجه من هذا النص المقدم هو تنظيمات أبى عبد الله الشيعي العسكرية الأولى داخل قبيلة كتامة، ولكن ما يدعو إلى التساؤل هو تقسمه لأفراد كتامة أسباعا، فهل الداعي راعى في ذلك رمزا للأئمة الإسماعيلين السبعة المستورين اقتداء بنضالهم؟ أم هو راعي في ذلك التوزيع الجغرافي لبلاد كتامة؟ هذا زيادة على أنه قسم أتباعه إلى سبعة أقسام وقدم على كل قسم مقدما بمثابة قائد عسكري وجعل إلى جانبه داعيا، وهو مسؤول سياسي، ولم توضح المصادر التاريخية أيهما كانت له المكانة العليا؟ وإن كانا متساويين في اللقب. كما تمتع كل منهما بحرية التصرف في حدود نطاق تخصصه.

لقد اهتم أبو عبد الله الشيعي بالناحية السياسية والعسكرية على السواء حيث كانت مهمة الدعاية السياسية تمهيدا للعمليات العسكرية عند كل فتح، كما أنه سلك هذا الأسلوب الثنائي العسكري والدعائي منذ وصوله أراضي كتامة[2]، إلى أن فتح

([1]) الافتتاح، ص124-125.

([2]) إن وجود بعض خصوم أبي عبد الله بين الكتاميين أنفسهم والذين لم يدخلوا مذهبه فرض عليه أن يربى أتباعه تربية خاصة، سياسيا وعسكريا حتى يتمكن من مواجهة خصومه بطريق المواجهة وبالجاسوسية. مرمول: تاريخ الشرق الجزائري، ص120.

رقادة[1]، فلا غرو أن عبد الله أدرك أن نجاح العمليات العسكرية يتطلب منه تمهيد السبيل دعائيا في المنطقة التي يريد فتحها وبذلك استطاع أبو عبد الله أن يكتسح المدن والقرى ويستولى عليها[2]، حيث كانت كتامة تستجيب لدعوته وتنقاد إليه، فكانت سيفه البتار الذي قاتل به خصومه وانتصر عليهم بالرغم من كثرتهم وتنوعهم، ومما لا شك فيه أن في مقدمة الأسباب التي جعلت هذه القبيلة تتصرف بتفان وإخلاص وصبر في القتال، قوة شخصية أبى عبد الله وما امتاز به من دهاء سياسي وعسكري استغلها لصالح دعوته[3].

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص168-246. ابن عذارى: البيان، ج 88، ص 140-149.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127-128. النعمان: الافتتاح، ض168-246. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص191. المقريزي: الخطط، ص349-350.

Marcel Peyrouton : Histoire général du Maghreb, p86. Janul M/Abu-Nasr : history of the Maghrib, p.p 80-81. ARTHUR. Pellegrin : Histoire de la Tunisie, p144.

(3) Keneth. J. Perkin : Grossroods of the Islamic and European words. ARTHUR, Pellegin, Opcit, p144.

وكان في دعاياته القتالية يستدل بالقرآن حينا وبالحديث حينا آخر مع الإشادة بقبيلة كتامة والتي لها ماض مجيد[1].

فأحسن الضرب على الوتر الحساس، يستقطبها حوله[2]، فدخل تحت امرته طبقات من الناس منهم من أراد بذلك وجه الله، وطلب ثوابه وأخلص له، وآثر بما عنده ومنهم من أراد بذلك الدين والدنيا وأن يدرك حظه من الآخرة والأولى، ومنهم من دخل في ذلك يبتغي به الفخر والشرف والذكر الرياسة ومنهم من صار إليه خوفا، وتقية ومداراة[3].

وكثيرا ما وعد أبو عبد الله أنصاره بذهب القيروان وما في قصور بني الأغلب[4] وذلك لإثارة حماسهم كوجه من الدعاية وإثارة حب الغنم عندهم[5].

([1]) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص77. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطمين نحو المغرب والأندلس: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مجلد 5، عدد1-2. سنة 1957، ص195.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص127.

([3]) النعمان: الإفتاح، ص117-118. ابن عذارى: البيان، ج1، ص138.

([4]) المرجع نفسه، ج1، ص150. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص87.

([5]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

وقد كان من نزاهة أبى عبد الله، وأمانته فيهم ما علموه وعظم في أعينهم أن أتبع فيهم قواعد الإسلام من أنصاف المظلوم ومعاقبة المخالف منهم ونبذة عن الجماعة حتى يخلص التوبة[1]، وكل هذه الدوافع جعلت أهالي البلاد ينخرطون أفواجا إلى أن أصبح عدد هذا الجيش الذي دخل به مدينة الأربس في فصل الربيع سنة 296هـ/909-910م مائتي ألف، وقد ازداد عدده عند دخوله رقادة نحو ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل[2].

كما صورت المصادر الإسماعيلية ما يدل على عنف عمليات الجيش الفاطمي لهذه المرحلة، إذ قال النعمان عن افتتاح الأربس أن دخلها الفاطميون بالسيف فقتلوا بها من الخلق مالا يحص، وانتهبوا ما بها[3]، كما أكد ذات الحقيقة ابن حماد عن مدى وحشية هذا الجيش وسفكه للدماء، ولو لم يكن صاحبه إسماعيليا لاتهم بالتحيز والتحامل[4]. وحسب المصادر التاريخية أن أبا عبد الله الشيعي كان يحذر جنده من نهب كل من رقادة والقيروان،

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص122-123.

(2) المرجع نفسه، ص 141. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص130-131. ابن عذارى: البيان، ج1، ص137-150. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص20.

(3) الافتتاح: ص232.

(4) أخبار ملوك بني عبيد، ص20-21.

برغم وعده لهم بإطلاق أيديهم فيها، حتى جاءه بعض زعماء كتامة يحتجون على ذلك، ويذكرونه بالوعود، فتلى عليهم قول الله تعالى "وآخرون لم تقدروا عليها قد أحاط الله لها"[1] وأضاف قائلا: "هي القيروان فقبلوا قوله وسلموا لأمره"[2].

وأن تنظيم الجيش في عهد أبى عبد الله الشيعي لم يكن يعتمد فيه على ديوان فهو يكتفي بضرب موعد اللقاء مع شيوخ القبائل[3]، ويحذرهم من أنهم لا يتخلفوا عن مواعيدهم[4]. وقد اتخذت "ايكجان" القاعدة الأساسية التي انطلق منها أولى عمليات هذه الدولة العسكرية، كما كانت مركزا لبث الدعوة في مختلف أنحاء المغرب وبها تجمعت قوة البربر من قبيلة كتامة[5] فكانت مركزا استراتيجيا بقصد السيطرة على ممرات جبال الأطلس الشرقية وذلك حتى يكون على أهبة الاستعداد في خوض المعارك في إفريقية وفي أي ظرف زمني[6].

([1]) سورة الفتح، الآية رقم 21.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

([3]) المرجع نفسه: ج، ص138. النعمان: الافتتاح، ص173.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص138.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج1، ص128- 130. النعمان: الافتتاح: ص 135-136. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص10.

([6]) محمود إسماعيل: الأغالبة، ص256-257.

فقد تطلع أبو عبد الله الشيعي إلى فتح بعض المناطق الهامة والمدن الرئيسية التي كثيرا ما هدت قاعدته الأساسية. فشرع أبو عبد الله الشيعي بفتح بعض المدن القريبة من "ايكجان" حيث فتح ميلة[1] معتمدا في فتحها على الجاسوسية، والتي كانت تشكل عنصرا هاما في إنجاح العمليات العسكرية فتوجه منها إلى سطيف[2]، فحاصرها مدة كبيرة من الزمن حتى مات وإليها علي بني عسلوجة إلا أن الأغالبة سيروا ضده جيشا يقوده أبو عبد الله الأحول فاستعادها منه[3] إلا أن أبا عبد الله تمكن من فتحها مرة أخرى في عهد أبى مضر زيادة الله[4] وبعدها اتجه نحو طبنة[5] وكانت قاعدة الزاب، وبها حامية أغلبية كبيرة فقوي جناح جنده بعد أن اندحر العسكر الأغلبي، واعتصم بأسوار المدينة ولكنهم لم

([1]) لها حصانة طبيعية، كما هي مدينة ساحلية ولها مرسى "جيجل" ومرسى "سكيكدة" أنظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص351. النعمان: الافتتاح، ص 140-165. ابن خلدون: ج4، ص34.

([2]) وتم الاستيلاء عليها نهاية سنة 291هـ/904. الافتتاح، ص140-165. ابن خلدون، ج4، ص34.

([3]) النعمان: الافتتاح، ص141-142. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص166. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص79.

([4]) النعمان: الافتتاح، ص167-168.

([5]) تقع جنوب بسكرة، أنظر: البكري: المغرب، ص51. اليعقوبي: البلدان، ص351. النعمان: الافتتاح، ص173. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص16. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35.

يلبثوا أن استسلموا بالامان، فقصد بلزمة[1] والتي كان أبو عبد الله الشعيي قد طرقها مرات عديدة على الرغم من أنه حاول معها سياسة الأرض المحروقة حين أخذ يقلع مزارع أهلها حتى يضعفهم اقتصاديا، ويضيق عليهم الحصار[2].

وقد كانت قوات أبى عبد الله قد تقدمت في الفنون العسكرية، فأصبحت تعرف فن الحصار وتستخدم الآلات اللازمة له كالدبابات[3].

فاضطر أهل بلزمة إلى الاستسلام بعد أن مات والي المدينة فقد فتحت عنوة واستبيحت على يد جنده، والملاحظ أن أبا عبد الله فضل أن يتوجه في فتوحاته الأولى شرقا نحو عاصمة بني الأغلب لإدراكه خطر بني الأغلب عليه[4]. وتجنب النواحي الغربية

([1]) لقد كان على كل من طبنة وبلزمة عامل واحد في عهد الأغالبة، وهو أبو المقارع، وأن فتحها كان في آخر ذي الحجة، سنة 293هـ/905م. البيان، ج1، ص141.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص178-179. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35. ابن عذارى: البيان، ج1، ص141

([3]) سميت بالذبابة لأنها تدفع فتدب، وتتخذ عادة لأحداث ثغرات في الحصون والتسلل إلى الداخل، وهي آلة تتخذ من جلود وخشب ويدخل في وسطها المقاتلون ويتخذونها أداة للهجوم، حيث تقيهم من ضربات العدو. ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص938.

([4]) Golvin : Histoire du Maghrib, pp 51-52.

خشية أن يقع بين شقى رحا الأغالبة من الشرق والرستميون وبنو مدرار من الغرب.

وقد رأى أبو عبد الله أن التغلب على خصومه أمر يسير إذا ما قضى على بني الأغلب بمواصلة عمليات فتح مدن أخرى مثل تيجس[1] وباغاية[2] بالتواطئ مع أهلها. وعاد أبو عبد الله إلى قاعدته مرة أخرى بايكجان وكان هذا الأسلوب يسلكه كل مرة ويبدو أنه يجدد فيه تعبئة جيوشه من المؤن وعدة حربية ومن أجل الاستراحة بعد عنف وقساوة تلك المعارك التي كان يخوضها في ظروف عصبية، وفي جولة جديدة فتح أبو عبد الله تيفاش[3] ثم تبسة[4] التي استولى عليها بجهود عيون له فيها، ومنها نحو بلاد

---

(1) تقع غرب الأربس. البكري، ص53. اليعقوبي، ص11. المقديسي، ص6. ابن حوقل، ص84. الإدريسي، ص57-118. ابن الخطيب، ص146. ابن الأثير، ج6، ص 130. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35.

(2) ذكرها البكري في الطريق من تبسة إلى مسيكانة، فبلزمة، المغرب، ص50. النعمان: الافتتاح، ص203.204. ابن عذارى: ج1، ص143.

(3) وصفت أنها مدينة أولية، وتسمى أيضا فيقاس، وتقع شرق صدارته البكري: المغرب، ص53. النعمان: الافتتاح، ص213-215.

(4) اشتهرت بكثرة أشجارها وثمارها وتقع شرق مسكياتة. البكري: المغرب، ص49. النعمان: الافتتاح، ص215.

قسطيلية، ففتح منها عدة مدن مثل قفصة ونفطة[1] ثم عاد إلى ايكجان ليستعد لاقتحام مدينة الأربس[2] وأخذ يعد العدة فجهز الأموال والسلاح لفتحها، فقد كانت ثغر إفريقية لموقعها الاستراتيجي فكانت الخط الدفاعي الأخير عن عاصمة ملك بني الأغلب، وقد أظهر بنو الأغلب تخوفا شديدا في هذه المرة إذ هم استعدوا لهذه المعركة بكل ما عندهم من الإمكانيات، وقد التحمت الجيوش، فأظهر كل منهما بسالة وشجاعة فائقة ولكن خطط أبى عبد الله الشيعي كانت أكثر تنظيما وأحكاما. فقد كان عليما بأدق فنون الحرب وبخاصة فن الحصار حتى لقب بالمحاصر "Poliorcette"[3] أن انتقى عشرة آلاف فارس من خيار الدعاة

---

(1) وهي من مدن بلاد قسطيلية. البكري: المغرب، ص14-84. النعمان: الافتتاح، ص215-216-217.

(2) نكرها ياقوت الحموي كورة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة الغرب وقال عنها ابن حوقل أنها إقليم واسع ولها سور حصين. وقال عنها البكري أنها ربض كبير واليها سار إبراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان، سنة 296هـ/909م ويختلف المؤرخون حول الخروج الأول لأبي عبد الله الشيعي إلى هذه المنطقة، فقال عن ذلك ابن الأثير أنه كان في سنة 292هـ/909 وجعله ابن خلدون في سنة 295هـ/908م، أما صاحب الافتتاح فقدره في سنة 295هـ وهو الأقرب إلى الحقيقة لأن الجيشان لم يشتبكا في هذه المرة إلى حين الاستيلاء على أهم المدن الرئيسية في بلاد إفريقية. فكانت الأربس أخر مرحلة للقضاء على الوجود الأغلبي في سنة 296هـ/910م راجع كتاب البلدان، ص349. المغرب، ص 46. صورة الأرض، ص86. الكامل، ج8، ص16. العبر، ج4، ص35. البيان، ج1، ص147. النعمان: ص 200-202.

(3) Vonderheyden Opcit, p305.

وأهل النكاية وضعهم في مقدمة الجيش وقدم عليهم أبا مدين بن فروخ اللهيصي، وبلغت جيوش أبى عبد الله الشيعي مائتي ألف رجل ما بين فارس واجل[1].

وأمر أبو عبد الله الشيعي بعض الجند أن يسلكو ناحية المسيلة يفاجئون منها جيش العدو، حيث تتجمع خيلهم، وتمكن من اقتحام المدينة عنوة وحكم في رقاب أهلها السيف[2]، وذلك في سنة 296هـ/910م.

وحاول إبراهيم بن الأغلب قائد الجيش المنهزم بالأربس أن يقوم بالأمر بعد فرار زيادة الله بن الأغلب، أن دخل القيروان ودعا الناس إلى طاعته ومقاومة أبى عبد الله الشيعي، ولكنهم شاروا ضده فلحق بزيداة الله، وبهذا انتهى عهد بني الأغلب في بلاد المغرب بغير رجعة والذي استمر من سنة 184هـ/800م إلى 296هـ/910م[3].

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص227-229. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص131. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص86. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35-36.

(2) النعمان: الافتتاح، ص230.

(3) المرجع نفسه: ص 237-239-240. ابن الأثير: الكامل، ج2، ص132. المقريزي:الاتعاظ، ج1، ص87. ابن خلدون: العبر، ج4، ص26. ابن عذارى: البيان، ج1، ص148.

وعندما كان أبو عبد الله يقود الجيوش أثناء المعارك ينادي مناديه في الرجال "ياخيل الله اركبوا"[1] كما اتخذ لقواته شعارات وآيات قرآنية كثيرة تتناسب مع دعوته الدينية[2]، وكتب على افخاد الخيل "الملك لله" و"كتب في بنوده" سيهزم الجمع ويولون الدبر"[3].

وحين اعتلى المهدي الخلافة برقادة وأمسك بزمام أمور دولته استبد بها مما كان لذلك أثره داخل عناصر بناة الدولة فاتسعت الخلافات بين المهدي وهؤلاء الذين حاولا قلب هذا النظام الجديد[4] والتخلص من المهدي غير أن تدبير المهدي كان أسرع فأودى بحياة هؤلاء جميعا وبخاصة أبا عبد الله وأخاه أبا العباس وأبا زاكي تمام بن معارك الأجاني[5]، وتعدى أثر ذلك النزاع إلى أوساط الجيش فترمد بعض أصاب أبى عبد الله الشيعي على

([1]) ابن حماد: أخبار بني عبيد، ص19. رابح بونار: المغرب العربي، ص17.

([2]) وذكر ابن حماد أنه حين دخل أبو عبد الله الشيعي رقادة كان بين يديه رجل يقرأ "هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر. "الآية 2 من صورة الدخان. أخبار ملوك بني عبيد، ص19-20. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150. راجع كتاب الحيوان للجاحظ، ص325.

([3]) سورة القمر: الآية رقم 45.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134.

([5]) المرجع السابق، ج6، ص135. ابن عذارى: البيان، ج1، ص165-166.

المهدي، وكانوا من أوساط قبيلة كتامة[1] وق اعتبر هذا التمرد الأول من نوعه في تاريخ الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب بعد قيام خلافتهم فيه، كما أن نشاط الجيش قد تزايد منذ بداية حكم المهدي فبالإضافة إلى نشاطه في الداخل، قام بتكثيف الحملات العسكرية خارج بلاد المغرب نحو مصر بخاصة فبدت مهمة هذا الجيش مزدوجة المهام داخليا وخارجيا منذ أن ثبتت قواعده الأولى[2].

وقد حظي أفراد الجيش والأسطول الفاطمي بامتيازات ورعاية طيلة عهد كل خلفاء المرحلة المغربية من حيث المنح والمرتبات والإقطاعات[3]، ولقد كانت الأموال التي أغدقت على الجيش أثناء فتحه لمصر صورة لما كان المعز يسبغه من صلات وأرزاق وكساء على أولياءه وعبيده[4]، كما أن الفاطميين اهتموا بالإنفاق على

([1]) سيرد تفصيل لهذا الحدث في الفصل الخامس من هذا البحث. أنظر ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. ابن عذارى: البيان، ج1، ص166-167. النعمان: الافتتاح، ص324. سيرة جعفر اليماني: ص122.

([2]) ابن الأثير: ج6، ص166، 191. ابن عذارى: ج1، ص181. ابن خلدون: العبر، ج6، ص24. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص182.

([3]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 295-296، ج2، ورقة 595. ابن أبي دينار: المؤنس، ص64. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص177.

([4]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 26-27.

ذويهم حين يموتوا بعض الأفراد في الحروب، فقد كان المعز يتعهد بالتكفل على الأسر التي تفقد أفرادها[1] وذلك حتى لا يرى عليهم أثر فقدانهم لهم[2].

والملاحظ أن خلفاء هذه الدولة عرفوا الضرب على الوتر الحساس عند إثارة حماس جندهم بإغداقهم بالأموال، وكما أنهم عرفوا كيف يداوون ذلك الانفصام والشغب الذي كثيرا ما كان يحدث بين فصائل الجند[3] مما أدى إلى الهزيمة أحيانا، فكان المعز يتعهد إلى جنده بتوزيع الهبات والعطايا جزاء إخلاصهم له[4].

كما كان أفراد الجيش الفاطمي في عهد المعز يتقاضون مرتبات عالية هذا زيادة على ظاهرة الإقطاع العسكري التي تفشت في عهده.

([1]) المرجع السابق، ورقة 26.

([2]) النعمان: دعائم الإسلام، ج1، ص368.

([3]) لقد أرجع بعض المؤرخين هزيمة الجيوش الفاطمية عند اقتحامها للإسكندرية في سنة 302هـ/916م في عهد حكم المهدي إلى خلاف القائم العام أبو القاسم وقائد الأسطول حباسة بن يوسف أن تلك الجيوش دخلت الإسكندرية وانصرفت عنها على التو بسبب خلافات أفراد جنده: راجع الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص257. عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، ص37.

([4]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج2، ورقة 596.

فقال "ابن أبى دينار" في هذا الشأن أن أعطى المعز لجنده من ألف دينار إلى عشرين ألف دينار حتى عماهم بالعطاء[1]، وهم في هذا لا يختلفون عن الأسلوب الذي سار في العالم الإسلامي آنذاك، إذ جعل أبو عبد الله لكل فرقة من فرقة السبع ديوانا أي بيت تمال للحرب تأتيه الأموال التي ينفق منها على الجيش عن طريق الغنائم، والتي كانت على أثر الانتصارات في المعارك وبخاصة عند إسقاط حكم الدويلات المستقلة، من الركائز الأولى لبيت المال الفاطمي[2]، هذا إلى جانب مداخيل أخرى التي سنها أبو عبد الله مثل ضريبة الفطرة والهجرة[3]، وقد جعل هذه الأموال بين أيدي المشايخ. وظل الحال على ضوء ما ذكر، أن هذا الديوان رصدت له أموال فاقت ما كان يصرف على أوجه الإنفاق الأخرى وذلك حتى يستطيع أن يؤدي دوره في الحفاظ على الأمن الداخلي والتصدي لكل هجوم أجنبي على التخوم[4].

([1]) ابن أبى دينار: المؤنس، ص64.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص108-109.

([3]) المرجع نفسه، ص189. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص210. سيرة جوذر، ص56، 167.

([4]) كانت عملية الإنفاق على الجيش الفاطمي أثناء مطاردة أبى يزيد الخارجي مثالا إلى ما وصل به حال الخزائن المالية، فقال عنها ابن الأثير كانت خالية من الصفراء والبيضاء. الكامل، ج8، ص150-158.

كما اعتمدت الدولة الفاطمية في نظام الجندية على عنصر الموالي منذ عهد المهدي، وكان لهم فيه دور حسن[1] مخالفا لدور الأغالبة الذين اهتموا بتجنيد العنصر العربي وتولية المراكز العليا في الجيش[2] ونجد أنه في عهد المعز قد قل الاهتمام بالعنصر العربي فتغلب العنصر الصقلي في مناصب قيادة الجيوش الفاطمية[3].

وعند تتبعنا نظام الجيش في عهد المعز نجده لا يختلف في تكوينه عن العهود السابقة، فهنالك جند في حالة استعداد دائم وعلى أهبة الاستعداد لخوض المعارك في أي ظرف في الداخل أو الخارج، وجند من المتطوعين كانوا يلبون نداء المعز ابتغاء الكسب الوافر وطمعا في النهب والسلب[4]. وكما أسلفنا سابقا، أن هؤلاء الخلفاء كانوا يتخذون من الأموال والهبات وسيلة لجذب الأنصار

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص51.

Vonderheyden Opcit, p197.

(2) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله الفاطمي، ص135-176.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص345. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص80. ابن عذارى: البيان، ج1، ص222.

(4)حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، ص176-179.

Dachraoui (F) : Opcit, p.p. 37-38.

إليهم خدمة لمصالحهم السياسية والعسكرية، وهذا ما يفسر لنا سبب انقياد جيوش الفاطميين لهم والتفاني في طاعة رؤسائهم[1].

كما أن المعز قدر مسؤولية العسكرية، فرفع منازلهم بين جنودهم، وكان يحث أفراد الجيش على طاعتهم والامتثال لأوامرهم حتى قرنهم بنفسه في وجوب طاعتهم والولاء لهم، وإن هؤلاء القواد ينوبون عنه في كل الأمور[2].

وكما أولت الأقاليم التابعة للجهاز المركزي اهتماما بالغا بالميدان العسكري، فقد كانت على أهبة الاستعداد لخوض نداء العسكرية إذ تطلب الأمر الدفاع وكبح جماع الثائرين على الحكم الفاطمي[3]. فقد وجدت بعض المقاطعات التي لعبت دورا كبيرا في النشاط العسكري في دوره الداخلي والخارجي معا وكثيرا ما اعتبرت بعض مدنها قلاعا وحصونا منيعة لإخماد حركات التمرد ضد الدولة

([1]) المرجع السابق، ص177.

([2]) المرجع السابق، ص179.

([3]) Dachraoui (F) : Op cit, p355.

الفاطمية فقد كانت قاعدتا تيهرت[1] وميزاب[2] من أهم المراكز الاستراتيجية لمراقبة خصومهم الزناتيين بصفة خاصة.

وما يلفت النظر في نظام الحكم الفاطمي هو طابعه العسكري بالدرجة الأولى وأن مثل هذا النظام كان أيضا على مستوى المدن والأقاليم فالدولة لم تضع فاصلا بين الوظائف الإدارية في الحاضرة والمدن، بل أن المقاطعة كانت صورة مصغرة لعاصمة الخلافة وعلمنا أن الفاطميين قد اهتموا عند تأسيسهم لقواتهم البرية على العناصر المحلية من بربر كتامة طيلة مرحلتهم المغربية، فعملوا على توثيق علاقتهم بهذه القبيلة واسترضائها لخدمة مصالحهم[3]، إذ كان

([1]) الإدريسي، ص54-60. الاصطخري، ص34. الاستبصار، ص178. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص50-52. ابن عذارى: البيان، ج1، ص196-198. ايف لاكوست: الجزائريين الماضي والحاضر، ص97.

([2]) لقد عرفت قاعدة ميزاب المحمدية، وهي تبعد عن المهدية عاصمة الخلافة الفاطمية بستة عشر مرحلة. وقد كان بناؤها على يد أبي القاسم في سنة 315هـ/929م لتكون بمثابة قلعة لانطلاق جيوشهم منها لإخماد حركات الثائرين وبذلك يوفرون على أنفسهم في المستقبل هناء لتجهيز الجيوش في المهدية وإرسالها لإخماد حركات التمرد والوقوف في وجه خصومهم الزناتيين بصفة خاصة، وقد توالت عائلة بني حمدون الإشراف على أعمالها. الاصطخري: المسالك والممالك، ص33. ابن حوقل: صورة الأرض، ص77-85-86. البكري: المغرب، ج6، ص195. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص24. ابن خلدون: العبر، ج4، ص39. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص72. ابن أبي دينار: المؤنس، ص27.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132. النعمان: الافتتاح، ص302-303. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

الكتاميون في طليعة العناصر التي حرزت امتيازات حيث أولوهم المناصب الإدارية والعسكرية بخاصة[1].

وقد بذل خلفاء هذه الدولة كل ما في وسعهم للمحافظة على علاقتهم التقليدية بالكتاميين كي يستغلوا إمكانياتهم القتالية[2] في ضرب خصومهم داخليا وخارجيا فضلا عن بسط النفوذ، وكما أنهم لعبوا الدور الأساسي في أحداث تاريخ الفاطميين في المغرب في المجال العسكري بالدرجة الأولى، ويعود إليهم الفضل الأول في تلك الانتصارات التي أحرزوها في بلاد المغرب وفي السيطرة على مصر والشام[3].

وقد كان دور كتامة في قتال أبى يزيد دورا أساسيا، سواء في الدفاع عن المهدية أو في فك الحصار عن القيروان وسوسة

---

(1) النعمان: الافتتاح، ص302-303.

(2) اشتهرت منطقة قبلية كتامة بحصانتها الطبيعية وبكثرة عدد رجالها وامتلاكهم للخيل والسلاح، وقد أحسن أبو عبد الله في اختيارها قاعدة لبث دعوته وشن حملاته العسكرية وذلك بعد أن اطمأن إلى إمكانياتها المادية والعسكرية. النعمان: الافتتاح، ص36-37-38. ابن عذارى: البيان، ج1، ص149.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص161. ابن خلدون: العبر، ج6، ص274. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص182. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص97. الخطط، ج1، ص352. ابن أبي دينار: المؤنس، ص64. ابن عذارى: البيان، ج1، ص181-188. موسى لقبال: أسرة ابن فلاح الكتامة، مجلة كلية الآداب، عدد 2 سنة 1970، ص37.

وغيرها في المدن التي استولى عليها[1]. وقد خاطبهم القائم حتى يثير حماسهم في قتال هذا الثائر قائلا "فأنتم كحوارى عيسى بن مريم، وأنصار محمد (صلى اللّه عليه وسلم) يا أبناء المهاجرين والأنصار الأولين السابقين المقربين"[2].

كما خاطبهم المنصور أيضا في سنة 336هـ/948م حين أعلن عن وفاة القائم بأمر اللّه بقوله "يا أهل دعوتنا يا أنصار دولتنا يا كتامة... اللهم أني أَبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك تعبدا لنا واعترافا بفضلنا وإرادة لما افترض اللّه على العباد لنا"[3] إلا أننا نجد المعز يهاجمهم ويصفهم بأبشع الصور وذلك من خلال جوابه على خطاب وجهه إليه جوذر بشأن نزاع بين رجل كتامى يدعى وبيع بن موات وبين وكيل لجوذر على ضيعة فتغلب الكتامى عليها فاستأذنه جوذر في دفع ما دعاه الكتامى فأجابه المعز بقوله: "فلان يكون العدل منك فيهم أولى من أن يكون من هؤلاء السفلة واللّه يثمر لك من خير ما ترضاه"[4] فلا غرو أن هذا التصريح يدل

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص303-305. ابن عذارى: البيان، ج1، ص215-218.

([2]) سيرة جوذر، ص55.

([3]) المرجع نفسه، ص59.

([4]) سيرة جوذر، ص122.

على أن الكتاميين فقدوا المكانة التي طالما تمتعوا بها من العهود السابقة[1].

وأن المعز وضع نصب عينيه مبدأ الاستفادة من أي عنصر توفرت فيه مميزات الكفاءة والإخلاص للدولة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية.

وقد أحدث المعز تغييرا في سياسة تجنيد الجيش أن أفسح المجال لغير الكتاميين ليلعبوا دورهم فيه وقدمهم على الكتاميين[2]، فجعفر بن فلاح الكتامي –فاتح بلاد الشام –كتامي الأصل[3]، جعله المعز تحت قيادة جوهر الصقلي إذ كان المعز يقصد بهذا التصرف تضييق المجال أمام جعفر الكتامي، فعندما كتب جعفر الكتامي من الشام إلى المعز بدون مراجعة جوهر، غضب منه الخليفة المعز، وأعاد خطابه مختوما لم يقرأه وأمر أن يكاتبه في المرة القادمة بواسطة جوهر قائلا له: "لقد أخطأت الرأي... نحن أنقذناك هناك مع قائدنا جوهر فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده... ولكنا لا نستفيد جوهرا مع طاعته

---

(1) مرمول: المرجع السابق، ص108.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص335. ابن عذارى: البيان، ج1، ص222. ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص56–59. ابن أبي دينار: المؤنس، ص63.

(3) الخطط المقريزية، ج1، ص378. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص305.

لنا"[1] ولا شك أن هذا الرد قاس، وبخاصة أنه كان لقائد عسكري لامع كجعفر بن فلاح. أما أن عين المعز يوسف بن زيري الصنهاجي[2] على بلاد المغرب دون أن يختار شخصية كتامية لدليل على مدى تخوفه من العناصر الكتامية.

واشتهر العنصر الصنهاجي ضمن طوائف الجيش الفاطمي، ويرجع الفضل في توطيد رابطة قبيلة صنهاجة بالفاطميين بدون شك إلى زعيمها زيري بن مناد ومواقفه العسكرية إلى جانب الدولة الفاطمية[3]، في حربها لحركة أبي يزيد الخارجية[4].

وقد يبدو أن المصلحة المشتركة، كانت العامل الرئيسي في هذا التقارب وانضواء قبيلة صنهاجة تحت لواء الفاطميين حتى يصدوا بهم قبائل زناتة بخاصة[5].

([1]) المقريزي: الخطط، ج1، ص378. موسى لقبال : أسرة بن فلاح الكتامية، ص37-40، وورد أيضا هذا المقال في مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 12، ص110.

([2]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص75. المقريزي: الخطط، ج1، ص378.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. ابن أبي دينار: المؤنس، ص63.

ENCY : SANHADJA, p.p 158-233.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص313.

([5]) وكانت قبيلة صنهاجة تجاور قبيلة زناتة من الشرق، واتسمت علاقاتهما بالطابع العدائي بسبب وجود احتكاك عسكري بينهما باستمرار من اجل توسيع النفوذ. راجع الاصطخري: المسالك والممالك، ص36. الإدريسي: وصف إفريقية، ص61. ابن خلدون: العبر، ج6،

وظهر هذا التضامن والمؤازرة حين قدم زيري بن مناد عونا ماديا وعسكريا للمنصور[1] مما دفع هذا الأخير إلى الخلع عليه[2]، وعقد له باسمه على قومه ومن اتصل بهم من البربر وذلك سنة 335هـ/947م[3]. وارتفع شأن هذه القبيلة أيضا في عهد المعز أن ساهمت مساهمة فعالة إلى جانبه عند خروجه إلى المغرب حيث ظهرت به اتجاهات مضادة للحكم الفاطمي في سنة 342هـ/954[4]. ولمع نجم زعيم هذه القبيلة زيري بن مناد حينما دخل مع جور الصقلي المغرب في سنة 347هـ/358م. وقد أبلى بلاء حسنا في القضاء على الثائرين به[5].

وقد أولى الفاطميون إلى جانب قواتهم البرية اهتماما شديدا بقواتهم البحرية في مرحلتهم المغربية[6]، وازدادت قوة وعددا

ص203. ابن عذارى: البيان، ج1، ص200. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص89. أطلس الجزائر والعالم، ص24-35.

(1) لقد اشترك زيري بن مناد الصنهاجي بعسكره إلى جانب الفاطميين ودخل في طاعتهم عند موضع حمزة. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص220-221. ابن خلدون: العبر، ج6، ص313.

(2) الداعي إدريس: عيون الأخيار، ج5، ص221. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص39.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. ابن أبى دينار: المؤنس، ص63.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن عذارى: البيان، ج1، ص222.

(6) العبادي وعبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص23.

ومسكت بناصية الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد تظافرت عوامل عديدة في تقوية الأسطول الفاطمي منها الموقع الجغرافي الهام لبلاد المغرب الذي يستلزم أسطولا بحريا قويا إذ كانت سواحله من طنجة غربا إلى خليج برقة شرقا عامرة بالموانئ البحرية[1]، وفي مقدمة ذلك المهدية والسوسة وتونس وبونة. وبما أن الاهتمام بالأسطول يقتضي الاهتمام بلوازمه أيضا، فجعل الفاطميون في أهم الموانئ دورا لصناعة السفن والأسلحة الحربية، وذلك أنهم أمام عدوين بحريين قويين البزنطية والأموية في الأندلس، وعرف هذا الشريط الساحلي بالثغور[2]، ولذا أنشئت مصلحة فرعية تابعة لقيادة البحر تعرف بولاية الثغور يتولاها قائد خبير بأمور البحر له النظر في مختلف المحارس والقلاع البحرية. وقد كثرت هذه المحارس والثغور، مثل سبتة مليلة ووهران وجزائر بني مزغنة وبجاية وجيجل وسكيكدة وبونة وبنزرت وتونس وسوسة والمهدية وسفاقس وقابس وطرابلس وبنغازي[3]. كما اتخذ

([1]) Dachraoui (F) : Op cit, p387.

([2]) البكري: المغرب، ص 37-55-64-65-82-85. حسن عبد الوهاب: البساط العقيق، ص52.

([3]) الإدريسي: وصف إفرقية، ص62-83. ابن عذارى: البيان، ج1، ص84.

الفاطميون نظام أبراج المراقبة على طول الساحل وذلك لنقل الأخبار عن طريق استخدام النار المشتعلة فوق القمم[1].

وهذا يمثل درجة من الوعي الكامل بما يتطلبه النشاط البحري. فضلا عن استعمال الحمام الزاجل لنفس الغرب بين هذه الثغور عند إرسال واستقبال الأخبار العسكرية[2].

عندما أحكام المهدي أمور دولته اهتم بالمسالك البحرية حتى يؤمن دولته من الغزوات الخارجية، فأضاف إلى البحرية الإسلامية قوة جديدة سيطرت على غربي البحر المتوسط، ولم يكن يهدف فقط لصد هجوم الأمم النصرانية بقدر ما كان يحترس من قوة أموى الأندلس التي تعتبر هي الأخرى قوة لها وزنها في تلك الأرجاء[3].

وفرض المهدي بسرعة مذهلة إرادته بإخضاع الإمبراطورية بأكملها، حين تمكن من تكوين جيش قوي وخزينة حرب يستطيع بهما استئناف العمليات الحربية نحو بلاد المشرق[4]. كما

---

(1) ارشبالدرلويس: القوى البحرية، ص254. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص190.

(2) حسن حسني عبد الوهاب: البساط، ص52. محمد صابر دياب: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ص107.

(3) التجاني: رحلته، ص322.

(4) Laroui : L'histoire du Maghreb, VI, p120.

أنشأ المهدي عاصمته (المهدية) متخذا إياها قاعدة لأسطوله[1]، وبني ترسانة بحرية لبناء السفن[2]، إذ لم يكن المهدي يهدف إلى اختيار مكان ساحلي لبلاد المغرب الأدنى حتى استقر على مكان يتوسط أجزاء دولته[3]. وكان المهدي بهذا الاختيار شديد الثقة بقدرته في السيطرة على البحار[4] وخوض العمليات الحربية[5].

وكانت عملية بناء الحواضر على السواحل قد عرفها العهد الإسلامي، وكان الغرض منها هو بناء حصن منيع تدار فيه كل

---

(1) يرى ابن الأثير أن المهدي بدأ في بناء المهدية سنة 303هـ/ ولكن الرأي القائل بأنه شرع في بنائها سنة 301هـ/914م فهو الأقرب إلى الحقيقة لأنه رأى جمهور الباحثين. أنظر الكامل، ج6، ص151. البكري: المغرب، ص30. القزويني: أثار البلاد، ص226-227. وقد انتقل المهدي إليها سنة 308هـ، راجع الإدريسي: وصف إفريقية، ص79. ابن حماد، ص28-29. ابن حوقل: صورة الأرض، ص73. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص50. ابن الأبار: الحلقة، ج1، ص192. النعمان: الافتتاح، ص327-328-329.

ENCY-I-T4 ART. Mahdi-Ubaid-Allah, et ART Mahdia, pp 126-127. Georges marçais : l'Architecture musulmane, p.p 78-79.

(2) زاهر رياض: شمال إفريقيا في العصور الوسطى، ص76.

(3) التجاني: رحلته، ص320-321. البكري: المغرب، ص30. حسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص203.

(4) جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص27. العبادي، سياسة الفاطميين، ص200.

(5) ارشبالدرلويس: القوى البحرية، ص245.

Golvin : Op cit, p52.

أمور الدولة، وهو في ذلك يشكل قاعدة حربية محكمة البناء ومع تطور العمران بما فيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية تتحول من قاعدة عسكرية إلى مدينة شاملة للعناصر الحضارية.

وأن الفاطميين قد ورثوا أسطولا بحريا قويا من الأغالبة، فقد كان من الصعب جدا على دولته حديثة النشأة، وفي ظروف صعبة أن تكون مثل ذلك الأسطول القوى بإمكانياته والذي شن حملاته على مصر منذ وقت مبكر في سنة 301هـ/915م[1] بقيادة أبى القاسم،وكانت هذه الملة برية وبحرية، إذ تمكن من دخول الإسكندرية سنة 302هـ/916م. كما كان حباسة على رأس هذه الحملة التي بلغ عدد مراكبها نحو مائتي مركبا[2] مما يدل على كثرة السفن التي غزا بها الفاطميون مصر رغم حداثة عهدهم.

وقد تواصلت تلك الحملات على مصر سنة 306هـ/920م وكان في أغلبها برية وبحرية معا وكان للكتاميين دور فيها وكما وجهوا حملاتهم أيضا ضد بلاد الروم طيلة مرحلتهم المغربية، وقد كانت

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص 147. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص192. ابن الوردي: تاريخه: ج1، ص350-351. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص31-32. الذهبي: دولة الإسلام، ص183. السراج: الحلل السندسية، ج1، ص896. ابن عذارى: ج1، ص181. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38-39

([2]) سعيد بن عريب: صلة تاريخ الطبري، ص36.

مع بداية عهد المهدي الذي انطلقت حملاته من المهدية ومن صقلية. ففي سنة 315هـ/929م[1] توجهت حملة بحرية من المهدية بقيادة صابر الفتى عدتها أربعة وأربعون مركبا نحو صقلية وشنت غاراتها على مدنها فقتلت منهم خلقا كثيرا، وغنمت وأعادت الكرة في السنة التالية بقيادة صابر الفتى، فافتتح أماكن عدة في الجزيرة، كما أجبر بعضها على الصلح، ودفع الجزية من أموال الديباج وثياب[2]، وتكررت هذه الحملات وكثيرا ما كانت تنقلب بالظفر والغنيمة[3]، وبذلك فقد سن المهدي إلى خلفه سنة توجيه الحملات البحرية من المهدية فأضحى الأسطول الفاطمي صولة في الجزء الغربي للبحر المتوسط في عهده، ولم يكن لأوروبا سلطان عليه خلال القرن الرابع الهجري، فكان بحرا عربيا، وكان لا بد لمن يريد أن يقضي لنفسه أمرا أن يكسب ود العرب، ويبدو أن اهتمام الفاطميين قد تزايد مع تمرسهم في ميدان الملاحة البحرية، ففي عهد القائم استفحل خطر الفاطميين على الأساطيل البيزنطية إذ ضاعف الأسطول الفاطمي

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص192.

(2) المرجع نفسه، ص 193. النويري (بالمكتبة العربية الصقلية، ص436).

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص182. ابن خلدون: المقدمة، ص12- 313. ابن عذارى: البيان، ج1، ص190.

من حملاته ضدهم من الثغور والموانئ المغربية والموانئ صقلية[1]، وكثيرا ما تعود عليها بالنصر[2].

وقد أشاد شعراء الفاطميين بقوة الأسطول وبخاصة في عهد الخليفة القائم بأمر الله فوصفوه بأعذب الشعر[3].

بينما قل نشاطه في عهد المنصور ضد بلاد الروم وذلك بسبب ثورة أبى يزيد في بلاد المغرب وما ترتب عنها من اضطرب في الأوضاع العامة[4].

ومما تقدم يتبين لنا مدى عناية الفاطميين بأمورهم البحرية ومدى سيطرتهم الكاملة على الجزء الغربي للبحر المتوسط وتضييقهم الخناق على الأساطيل البيزنطية من جهة والقوة

([1]) ابن عذارى: الكامل، ج6، ص249. المقريزي: الاتعاظ،ج1، ص108. النعمان: الافتتاح، ص331. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر (بالمكتبة العربية الصقلية، ص407).

([2]) ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص312-313.

([3]) قال على ابن الأيادي في ذلك (وافر).

أعجب لأسطول الإمام محمـــدولحسنه وزمانه المستغرب

ليست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب

حسنى حسنى عبد الوهاب: البساط العقيق، ص50-51. مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص99. محمد يعلو: شعراء معاصرون للدولة الفاطمية: حوليات الجامعية عدد 10، ص95. وما بعدها سنة 1973.

([4]) ارشبالدرلويس: القوى البحرية، ص235.

البحرية الأندلسية من جهة أخرى، إذ امتدت سيطرته ما بين جبل طارق إلى بيروت[1]، وقد كانت عناية الخليفة المعز في هذا المجال أكثر من سلفه وذلك نظرا للهدوء النسبي الذي عرفته بلاد المغرب في عهده[2]، مما دفعه للاهتمام بالأسطول، فاتخذ من مدينة المهدية وسوسة ومرسى الخزر وغيرها مرافئ للتحرك[3]، ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا أن المعز استطاع أن يجعل من غربي البحر المتوسط بحيرة فاطمية لأن أسطوله أخذ زمام المبادرة دائما في الهجوم على الخصم في عقر داره، إذ هاجم أساطيل الأمويين في الأندلس والبيزنطيين في صقلية، وأرغمهم على دفع الجزيرة بعد الصلح والهدنة[4].

---

(1) العرادي وسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص76-77.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص65-74. ابن عذارى: البيان، ج1، ص221-225. المقريزي: الخطط، ج1، ص351. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 148. ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج3، ص57. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ص98، ج2.

(3) البكري: المغرب، ص30. العبادي وعبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص67-71-72.
Golvin : Op cit, p91.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص184. قضية اقريطش في عهد المعز. نشر فرحات دشراوي: حولتيات الجامعة التونسية عدد 2، سنة 1965، ص28.

كما أن اهتمام المعز بالأسطول البحري بدا واضحا حيث أراد أن يجعل من حاضرته المنصورية ميناء ثالثا من حيث الأهمية بالنسبة إلى المهدية وسوسة فقد نقل صاحب كتاب المجالس والمسايرات قول الخليفة المعز بهذا الشأن: "لئن امتد المقام هنا – أي في المنصوية– لنجر بين البحر بحوله الله وقوته إليمتا في الخليج تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا[1].

وإن النشاط البحري لم يقتصر في بلاد المغرب على مواجهة الأخطار الخارجية بل استعمل أيضا في مقاومة الحركات المضادة داخليا[2]، وتمكين النفوذ الفاطمي في أرض المغرب، بحيث ساهمت الأساطيل في إخماد حركات محلية منها حركة طرابلس سنة 300هـ/911م، والتي استطاع أبو القاسم ولي العهد أن يخضع هذه المدينة ثانية إلى الولاء الفاطمي وذلك في ضربه الحصار عليها بحريا[3]، وقد أخمدت ثورة أبى يزيد بدقة الخطة الحربية البحرية حين استغل الفاطميون المدن الساحلية للإيقاع به[4].

([1]) النعمان: ج2، ورقة 185.

([2]) Golvin : Op cit, p52.

([3]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص 28-30. ابن عذارى: البيان، ج1، ص168.

([4]) ذكر صاحب كتاب أخبار ملوك بني عبيد أن المنصور كتب إلى أبى يعقوب ابن خليل فأتاه بخمس وعشرين مركبا وصل بها إلى مرسى الدجاج وتمادي على حصاره لأبى يزيد ومحاربته، ابن حماد، ص44

وكان حصار مدينة سوسة أثناء هذه الثورة من أشد حصار عرفته المنطقة خلال هذه الحقبة الزمنية، إذ أن المنصور بعث بالأساطيل من المهدية إلى سوسة مشحونة بالمد مع رشيق الكاتب ولما وصلت المؤن والأقوات إلى أهل سوسة اشتدت عزائمهم في مقاومة خطر أبى يزيد فتمكنوا من إيقاع الهزيمة به[1]. ولقد اعتمد الجيش الفاطمي في بلاد المغرب على أساليب قتالية تقليدية وذلك حينما كان قليل العدد من توسيع نطاق عمله في البداية كي يفرق عنه قوات الخصم فاتبع أسلوب الكر والفر[2]. وعندما تطورت مختلف الأسلحة وتوفرت لديه، أصبح يسلك في قتاله أسلوب المواجهة والحصار وحفر الخنادق وتقسيم الجيش عند القتال إلى فرق، وبذلك برهن عن مدى فهمه للإستراتيجية العسكرية ولما اشتد ساعد هذه الدولة في كل الميادين تطور معها الأجهزة العسكرية[3].

(1) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص162-166.

(2) النعمان: الافتتاح، ص100-101-102.

(3) التيجاني: رحلته، ص327. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص190.

كما تنوعت الأسلحة الثقيلة في عهد الفاطميين من المنجنيقات والدبابات التي تستعمل لنقب الأسوار واقتحام مراكز العدو أو محاصرته[1] ومن أسلحة الحصار أيضا الستائر والأبراج[2].

أما الأسلحة الخفيفة التي استعملها الجيش الفاطمي فإنها متنوعة وكانت في مقدمتها السيوف، وهي أنواع منها المسقولة وتعرف بالصمام، والمحدبة[3].

وأيضا توفرت الدروع والتروس للوقاية من ضربات العدو[4]، وأنشأ الفاطميون مصانع حربية لصنع هذه الأسلحة في المدن الرئيسية مثل المهدية[5] والقيروان[1] وصبرة[2].

([1]) ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص938. الداعي إدريس: عيون الأخبار: ج5، ص164-165.

([2]) ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج1، ص218. العبادي وعبد العزيز: تاريخ البحرية الإسلامية، ص142.

([3]) حسن حسني عبد الوهاب: البساط العقيق، ص23. عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ج1، ص211. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص158.

([4]) العبادي وعبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص140.

([5]) ومن المرافق الصناعية بالمهدية مرساها التي توجد شرق قصر عبد الله المهدي، وقال عنها البكري أنها كانت مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس والترسانة البحرية وتقع في شرق قصر المهدي ولا شك أنه يوجد بها صناعات أخرى على اعتبار أنها مكان لجلب وتصدير مختلف المواد الأولية والمنتجات الصناعية، المغرب، ص30. ابن الأثير: الكامل، ج6،

وكما لم يعتمد الفاطميون في حروبهم على حد السلاح بل تنوعت وسائلهم في صد خصومهم، وفق مقدمتها سلاح الحرب النفسية في كثير من معاركهم داخليا وخارجيا[3] وذلك في بث البلبلة وإثارة الشكوك بين صفوف الخصم، كما استعمل الفاطميون أيضا عنصر المال في حروبهم من أجل شراء الذمم وتفريق الصفوف، ومعرفة أسرارها وللاطلاع على جوانب قوته وضعفه مثل ما فعل المنصور حيال ثورة أبي يزيد فقد اعتمد على المال بالدرجة الأولى[4]، واستعمل المعز أيضا أسلوب التخذيل وزرع البلبلة بين

ص151. التجاني: رحلته، ص322-323.

Georges Marçais : l'architecture musulmane, p91.

([1]) البكري: المغرب، ص25. المقريزي: الخطط، ج2، ص289. الاتعاظ، ج1، ص90. الحموي: المعجم، ج5، ص231.

([2]) البكري: المغرب، ص25. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص226. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص33. ابن حوقل: صورة الأرض، أنظر، ص84. العقباني التلمساني: كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر، ص14. الإدريسي: وصف إفريقية، ص80. القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص94. ابن عذارى: البيان، ج1، ص219. حسن حسنى عبد الوهاب، بساط العقيق، ص25-30. حسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص206.

Georges Marçais : Op cit, p79.

([3]) عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ص126-127.

([4]) الداعي إدريس: عيون الأخبار: ج5، ص 144-194.

صفوف الخصم حيث قضى على ثورة الخوارج الوهابية سنة 358هـ/969م بفضل الرشوة والدس بين جماعة قبيلة مزاتة[1].

وصفوة القول أن الفاطميين أعطو للحرب النفسية أهمية وكانت هذه مهمة داعي الدعاة والغرض منها هو تهيئة الأهالي لمساندة الدعوة وتأييدها والتعاون مع الجيش في أداء المهمة العسكرية[2].

وخلاصة القول، أن سياسة الفاطميين العسكرية لا يمكن أن نفصلها عن الميادين الأخرى، فحين وضعوا قواعد جهازهم العسكري ضاعفوا من نشاطهم الحربي محليا وخارجيا، كما لم يقتصر دوره في رد الهجومات فقط بل حاولوا كسب مراكز جديدة[3] وكان هدف الفاطميين من هذه السياسة تكوين إمبراطورية قوية ذات قواعد عسكرية برية وبحرية لأخذ زمام المبادرة عند التوسع وحماية سلطانهم من كل خطر بعيد كان أو قريب.

وجعلتهم هذه السياسة يولون عناية كبيرة بتنمية قواتهم البرية وأساطيلهم البحرية على السواء، من حيث تدريبهم على مختلف

([1]) الدرجيني: طبقات الاباضية: ج1، ورقة 148-150-151. العماني: كشف الغمة، ورقة 379-380.

([2]) عبد الله عنان: مصر الإسلامية، ص126-127.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص249. ابن عذارى: البيان، ج1، ص190-193.

فنون القتال المعاصرة وتهيئتهم تهيئة جيدة من العدد والعدة، فضلا عن أغداقهم بالأموال والهبات وإقطاعهم الإقطاعات الواسعة بقصد بعث روح الحماس في نفوسهم، ومما لا شك فيه أن مثل هذه المجهودات تتطلب أموالا كثيرة الأمر الذي جعل الفاطميين يعملون على تنويع مواردهم المالية[1].

ولا مناص للباحث في ميدان دراسة أسباب حركات المعارضة في بلاد المغرب في عهد الفاطميين من وضع العامل الاقتصادي ضمن العوامل الرئيسية في تحريكها. وكثيرا ما كانت تلك الثورات تنطوي على أبعاد اقتصادية كامنة وإن ظهرت بطابع متميز فقد كان لهذا العامل أثره الفعال في دفع أهل بلاد المغرب إلى الثورة على الفاطميين، ويشهد على ذلك سوء الأحوال الاقتصادية التي أوردتها كتابات المؤرخين.

وكما أنه لا يمكن اعتبار فترة الحكم الفاطمي في بلاد المغرب قد اتسمت بالرفاهية والعدالة، فإذا كان هذا ما يقاس على حياة خلفاء والولاة وأعوانهم، فإن وجودهم لم يجن منه الأهالي سوى الخراب ودمار وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية، إذ تتالت الحركات والثورات تحت ضغط المغارم والجبايات الثقيلة التي

---

(1) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص168-169.

فرضتها السياسة المالية على الآهالي، ومن ذلك عدو لهم عن النظام والقوانين الإسلامية التي طبقت في العصور السابقة، ناهيك عن أطماع رجال الدولة بخاصة عند إسرافهم في طلب المال بأساليب ووسائل متنوعة إرضاء لوجه الخلفاء أحيانا وإشباع لنهمهم في أحايين أخرى. وقبل التعرض إلى تفاصيل ماقترفه هؤلاء الفاطميون من أساليب متنوعة لأجل مصالحهم العامة، فلسوف نحاول دراسة سياستهم المالية وذلك منذ أن وضعت أولى قواعدها إلى حين مغادرتهم بلاد المغرب إلى ديار مصر.

لقد اعتمد الفاطميون في إنشاء جهازهم الإداري عنصر القوة، فكان من الطبيعي إسناد الوظائف إلى مسؤولين يعتقدون في أصول المذهب الإسماعيلي ويحملون الولاء المفرط للدولة[1]، ولذا حينما وضع أبو عبد الله الشيعي أسس جهاز الدولة، أقصى منه بعض العناصر من بنى الأغلب عن المناصب الإدارية برغم أن عمله في هذا المجال كان مؤقتا، كما أن عبيد الله المهدي، لما قدم من سجلماسة دون الدواوين بصفة نهائية فأبعد بعض الموظفين الذين تم تعيينهم في عهد أبى عبد الله الشيعي، وعين آخرين

(1) الحبيب الجناحي: السياسة المالية للدولة الفاطمية، مقال في مجلة الأصالة سبتمبر–أكتوبر، 1977، عدد 49–50.

جددا[1]، ومن بين هؤلاء صاحب بيت المال والذي يعتبر منصبه من أولى المناصب في جهاز الدولة الفاطمية نظرا لخطورته ولأهميته.

فإن المصلحة المالية[2]، هي عصب الدولة كيفما كانت نزعتها الدينية والسياسية نظرا لأهمية هذه المصلحة في قوة سلطة الدولة وضعفها فضلا عن كونها مؤسسة إدارية مهمتها تكمن في تحصيل مداخل الدولة العامة.

وإننا نرى أن نقطة الانطلاق في بحث الواقع التاريخي والحضاري للسياسة المالية عند الفاطميين هي معرفية أسسها داخل عقيدتها المذهبية، وكما تقدم يتجلى لنا أن الدولة الفاطمية امتازت بطابعين عقائدي واقتصادي[3]، إذ بدت السياسة المالية لها مستوحاة من مبادئ مذهبها الإسماعيلي[4]. وقد كان كل من

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

([2]) "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك" هكذا عرفها ابن خلدون، إذ ظهرت فكرة إنشاء بيت المال في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين برزت فكرة المال الجماعي، وقد أخذت طابعها العملي في عهد الخليفة عمر بن خطاب عندما دون الدواوين واتسعت مجالات هذا البيت على مراحل متواصلة للدولة الإسلامية، وأصبحت من الوظائف الضرورية لحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج. المقدمة، ج1، ص301، 302. دائرة المعارف الإسلامية، ج3، مقال بيت المال، ص374-375.

([3]) Laroui : Op cit, VI, p 122.

([4]) Dachraoui : Op cit, p327. Abu Nasr : History of the Maghrib, p83.

كتاب "الهمة في أتباع الأئمة و"كتاب" دعائم الإسلام" نموذجين في تصوير ذلك أن بدأت عملية استنابط السياسة المالية من العقيدة الإسماعيلية مع كبار الدعاة[1]، وذلك بالاعتماد على التأويلات للآيات القرآنية المتعلقة بالزكاة والصدقة، والغنيمة[2]، فقد رأت فرقة الإسماعيلية أن الله قد خص أئمتهم بمهمة توزيع الأموال والغنائم على من هم أهلا بها[3].

ولقد أظهر أبو عبد الله الشيعي حكمة عالية في تسيير أموره المالية تماشيا وأحوال المنطقة من جهة ومراحل نشره للدعوة الإسماعيلية من جهة أخرى[4]، فارتكز في الخضوع لأصول النظام الجبائي في الإسلام[5] ولبعض أسس الإسماعيلية أيضا، فقد فرض

([1]) النعمان: كتاب الهمة، ص 68-69. دعائم الإسلام، ج1، ص366.

([2]) "إنما الصدقات للفقراء والمساكن والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليهم حكيم" سورة التوبة الآية 60. "واعلموا إنما غنمتهم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. سورة الأنفال الآية، 41.

([3]) كتاب همة، ص69-70. الشراوي محقق كتاب الافتتاح للقاضي النعمان، ص125-حاشية1. ابن قتيبية: الإمامة والسياسة، ج2، ص109.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134-135. ابن عذارى: البيان، ج1، ص141-142-164-165.

([5]) المرجع نفسه، نفس الصفحات.

على أنصاره عند دخوله أرض كتامة دينار الهجرة[1] ودرهم الفطرة[2].

وكان لهذه الخطورة حين استغلها زيادة الله الثالث في تأليب الأنصار ضد أبى عبد الله أنه سنة شريعة غير شريعة الإسلام[3]. غير أن أبا عبد الله أظهر فطنة في تبرير مواقفه عند تتبعه باهتمام شديد السياسة المالية في عهد الأغالبة متخذا إياها نقطة أساسية تعامله مع أهالي بلاد المغرب ولذا أيدته في حربه ضدهم لما شاهدوا تصرفاته المالية والتي لم يقصد بها أول الأمر سوى الدعاية لاستقطاب الأتباع.

وتتبع تطورات الجهاز المالي الفاطمي منذ أن وضع أبو عبد الله الشيعي قواعدة نجده يقوم على رصيد الخزينة الأغلبية فجمع منه حملا من المال في كل حمل ستة عشر ألف مثقال[4] كما أنه أمر

([1]) ويرجع بداية فرض هذه الضريبة إلى القرامطة حين فرضوها على أنصارهم وهو دينار على كل رأس أدرك. الحبيب الجناحي: السياسة المالية للدولة الفاطمية، ص51.

([2]) لقد حث عليها الخليفة المنصور، وهي في معناها عند أهل السنة والشيعة معا تقربوا إلى الله في يومكم بأداء فكرتكم التي هي زكاة صومكم "سيرة جوذر"، ص56-167. النعمان: الافتتاح، ص183. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص210.

([3]) الافتتاح: البيان، ج1، ص148.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص148.

يجمع ما انتهب من الأموال برقادة والقيروان[1] برغم عده لكتامة بإطلاق أيديهم فيها[2]. وعلى نفس المنوال جرى أسلوبه في حجز أموال المدن المفتوحة فما أن دخل أبو عبد الله مدينة حتى أصدر عهدا بالأمان، وكان هذا رأيه في كافة مدن إفريقية[3]، كما كانت خزانة مدينة سوسة[4] من الكنوز التي لعبت دورا في إنشاء قاعدة بيت المال الفاطمي حين أعلن عن الخلافة في بلاد المغرب[5]، فلم يحدث أبو عبد الله الشيعي تغييرات أساسية حين شرع في تنظيم جهازه المالي[6]، ويتضح ذلك من إغفاله لذكر اسم المهدي من السكة[7]، والتي سميت بالسيدية[8]. وكان أبو عبد الله الشيعي

([1]) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص87. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص267-218. ابن عذارى: البيان، ج1، ص150.

([3]) المرجع نفسه، ج1، ص149-150.

([4]) وهي بين الجزيرة والمهدية، وهي مدينة ساحلية، وقد أسسها الفنقيون وحاليا هي تابعة للجمهورية التونسية، ابن حوقل. صورة الأرض، ص 74. ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية، ص27.

([5]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص148.

([6]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص17. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([7]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص17. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص63.

([8]) نسبة لأحد ألقاب أبى عبد الله الشيعي في كتامة وهو السيد. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151. حسن حسني عبد الوهاب: الورقات، ج1، ص436. صالح بن قربة المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، ص268. عفيفي ابراهيم: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية، ص239-240.

يطمئن أهل المدن التي يفتحها ويعدهم بإسقاط الضرائب غير المنصوص عليها في الكتاب[1]، وحينما تغلب على بلزمة[2]، وطبنة[3] في سنة 293هـ/907م ودخلها بالأمان استولى على مختلف المصالح بها وفي مقدمة ذلك قطاع المالية، فحين جاءه الجباة بما في أيديهم من الأموال سأل أحدهم عن المال الذي قدمه له فقال بأنه من العشر[4]، فقال له أبو عبد الله الشيعي: "إنما العشر حبوب وهذا عين وأمر بإعادة تلك الأموال إلى أصحابها حيث أضاف قائلا: "اذهبوا بهذا المال فليرد على كل رجل ما أخذ منه وأعلموا الناس أمناء على ما يخرجه الله عز وجل"[5]. فلا غرو أن هذا هو الأصل في جمع العشور. كما أمر أبو عبد الله

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص141. شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص74.

A.Bel ; Op cit, p159.

(2) مدينة ذات حصانة طبيعية وأغلب أهلها من بني تميم، وقد فتحها أبو عبد الله عنوه بعد حصار شديد غير أن صاحب البيان قال بعكس ذلك فأورد أن هذه المدينة دخلها أبو عبد الله بالأمان، والأرجح ما اتفقت عليه المصادر التاريخية أنه ضرب عليها الحصار فيئس أهلها من المقاومة فاستسلمت اليعقوبي: كتاب البلدان، ص375. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35. النعمان: الافتتاح، ص178-179. ابن عذارى: البيان، ج1، ص141.

(3) اليعقوبي: البلدان، ص351. ابن خلدون: العبر، ج4، ص35. النعمان: الافتتاح، ص173.

(4) العشر هو فيما سقت السماء والعيون. محمد أمين صالح: النظم الاقتصادية، ص47.

Georges Marçais : Op cit, p142.

(5) ابن عذارى: البيان، ج1، ص141-142.

الشيعي برد مال الخراج الذي أخذ من المسلمين قائلا: "هذا مال لا خير فيه ولا قبالة[1] ولا خراج على المسلمين في أموالهم لأن أرضهم أرض عشر". فقد جعل بهذا جباية الخراج وفق أحكام الشريعة، ورفض تلك الأموال التي لم يراع فيها الكتاب والسنة.

فقد حرص أبو عبد الله على أتباع أسلوب الحذر عند التصرف في الأموال بحيث أبقى عليها بأيدي زعماء قبيلة كتامة حتى لا يهز وضع هؤلاء داخل المجتمع[2] إلا أن هذه السياسة قد ضرب بها عرض الحائط على إثر خروج الداعية أبى عبد الله إلى سجلماسة، فأطلق نوابه العنان في فرض المغارم الباهظة على الأهالي[3]، فلم يلتزموا بتلك القواعد التي رسمها أبو عبد الله في جمع الأموال. وكان هدف أبى عبد الله من وراء هذه السياسة تأليف القلوب حوله[4]، غير أنه سرعان ما تغيرت هذه السياسة في عهد المهدي إذ اشتد في سياسته المالية[5] مما فتحت عليه أبواب المعارضة بعد أن فطم زعماء كتامة في ذلك[1].

([1]) وهو نوع من الضمان ويعرف بالالتزام أيضا. ابن حوقل: صورة الأرض، ص124.

([2]) ولم يكن للداعية أبى عبد الله الشيعي مما كان يقبضه من أموال النعمان: الافتتاح، ص125.

([3]) سيرة جعفر: ص 123. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص127-141-142. Abbas Hamdani : The Fatimids, p9.

([5]) سيرة جعفر، ص123. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص123.

وصفوة القول، أن أبا عبد اللّه الشيعي كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون على حد قول أحد المؤرخين[2]، مما كان لسياسته ثمار طيبة عادت على المجتمع أنصاره[3]، فاستطاع بفضل حنكته السياسية أن يحول مصالح القبائل التي مدت له يد العون في كل انتصار حققه إلى مصالح عامة فسار وفق المذهب الإسماعيلي إذ تذوب فيه مصلحة الفرد والقبيلة معا[4]، كما أغدق أبو عبد اللّه في العطاء لأصحابه[5]، فزادت مواقفه هذه من مكانته بينهم، وانتشر فعله في جميع نواحي إفريقية، وأقبلوا على دعوته[6] —وكما سنرى في حينه أن سياسة أبى عبد اللّه الشيعي لم يستمر العمل بها، وقد اعتبرت هذه الناحية من الأمور التي أذكت الخلاف بين أبى عبد اللّه وعبيد اللّه المهدي الذي تخلص منه سنة 298هـ/910م[7].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص125.

([2]) السراج: الحلل السندسية، ج1، ص290.

([3]) النعمان: الافتتاح، ص122.

([4]) مرمول: تاريخ الشرف الجزائري، ص110.

([5]) النعمان: الافتتاح، ص168.

([6]) المرجع نفسه، ص ط 11-118-119.

([7]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134-135. البيان، ج1، ص146-165.

Perkin K.J, Tunisia, p35.

وعندما وصل المهدي إلى الخلافة بدت سياسته المالية مخالفة لتلك التي عهدتها الأهالي في عهد أبى عبد الله، فاشتط في جمع الأموال وتفنن في زيدتها عقب دخوله القيروان حيث استقبلته جموع القيروان خارج المدينة[1] فأمنهم على أنفسهم وذرريهم عدا أموالهم[2]، غير أن المصادر الإسماعيلية قد بررت تصرف المهدي في هذا الأمر إلا أنه أمر بإحضار الأموال التي كانت بحوزة الدعاة وزعماء كتامة لأنهم توهموا بأنهم سيأمرون ويقبضون ويبسطون كما وعدهم أبو عبد الله فكان ذلك أول ما أحال قلوبهم نحو المهدي[3].

وأمسك المهدي بضروبà الجباية وأدخل تغييرات على ديوان بيت المال فأقر بعض الموظفين فيه وأدخل عناصر جديدة، كما أمر بإحياء ديوان الخراج، وعين على رأسه أبا القاسم بن قديم[4] بعد بعد أن أحرق غداة هروب زيادة الله الثالث وأنشأ ديوانا عرف بديوان الكشف للإشراف على جباية الأموال والتي يتم جمعها

([1]) سعيد بن مقديش: نزهة الأنظار، ص123.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133. ابن خلدون: ج1، العبر، ج4، ص36.

([3]) النعمان: الإفتتاح، ص279.

([4]) المرجع نفسه: ص 303. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159-167.

بواسطة العمال[1]. ونصب ديوانا عرف بديوان أموال الهاربين من الأسرة الأغلبية وكون أيضا ديوانا للعطاء وأمر بإثبات الموالي وأبناء العبيد ومن سارع إلى الرزق[2].

والملاحظ، أن خلفاء الفاطميين أولوا عناية شديدة لبيت المال بحيث كان الخليفة يشارك صاحب بيت المال الرأى والعمل في الدخل والخرج وأن هذا المنصب إنما كان من اختصاص الخليفة يعين فيه من يشاء لينفذ تعليماته ويدل على ذلك ما ذكره "المقريزي" عن المعز أن استدعى صاحب بيت المال وكان في ذلك الوقت أبو جعفر وبين يديه ألوف صناديق وطلب منه أن يرتبها ويتولى أمرها[3].

كما علينا أن ننوه أن الخزينة المالية في عهد الفاطميين قامت قاعدتها على إنقاض أربع خزائن مستقلة، وهي الأغلبية والإدريسية والمدرارية والرستمية[4] إذ سيطروا على كل مصادرها ومن هنا ندرك مدى الثروة التي تجمعت لديهم في مرحلتهم

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص803.

([3]) الخطط، ج1، ص352.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133. ابن عذارى: البيان، ج1، ص140-150. 153-212.

المغربية، ويزكى هذا كثرة الأموال التي أخذها عبيد الله المهدي من ايكجان أثناء توجيه نحو رقادة سنة 297هـ/909-910م[1].

ونلاحظ، أن الفاطميين قد عملوا على توسيع نطاق مواردهم الاقتصادية للدولة فحرصوا على ملء خزائنهم بالأموال مستغلين كل الوسائل من أجل تثبيت أقدامهم ببلاد المغرب وتحقيق أهدافهم التوسعية[2].

وهذا ما دفعهم إلى جمع الأموال وشراء الأسلحة[3]. وكلما اتسعت رقعة دولتهم ازدادت مداخلهم المالية[4].

فقد ذكر "ابن حوقل" على لسان صاحب بيت المال الفاطمي أنه دخل المغرب في سنة 336هـ/948م من جميع وجوه أمواله وسائر كوره عن خراج وعشر وصدقات وجوال ومراصد وما يؤخذ عما يرد من بلد الروم والأندلس...

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133.

(2) ارشبالدرلويس: القوى البحرية، ص254.

Georges Marçais : la berbrie, p 143. A.Bel : la Religion musulmane, p159. Laroui : L'histoire du Maghreb, VI, p120.

(3) ارشبالدرلويس: المرجع السابق، ص254.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

فيكون من سبعمائة ألف دينار إلى ثمانمائة ألف دينار وأضاف قائلا ولو بسطت يدى فيه لبغ ضعفه "[1].

ولقد تمتع صاحب هذا المنصب بنفوذ واسع[2]، وعن ذلك قال الأستاذ جوذر المكلف بخزائن بيت المال في عهد القائم أنه تولى النظر في بيت المال وخزائن البز والكساء بعد وفاة المهدي[3].

كما فوضت لصاحب هذا الديوان تنظيم الأموال وعدها بنفسه[4].

والجدير بالتنويه أن الدعوة الإسماعيلية كانت غنية بأموالها الطائلة قبل قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ويدل على ذلك كثرة الأموال التي كانت للمهدي بسليمية[5].

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([2]) ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص302.

([3]) سيرة جوذر، ص39.

([4]) إن نص جوذر يوضح ذلك في عهد القائم حين أمر أحد خدمه: "ادع لنا جوذر، فحين دخل عليه الرسول في بيت المال وحده يعد الأموال حتى أنه لم يجد إلى القيام سبيلا من كثرة انشغاله بها. سيرة جوذر، ص42.

([5]) النعمان: الافتتاح، ص126-127. سيرة جعفر الحاجب، ص108. الأعظمي: عبقرية الفاطميين، ص68.

فقد تضخمت ثرواتهم بمرور الزمن إلى حين استخدمت للتغلب على الخصم، إذ لعبت الرشوة دورها الحساس في فرار المهدي من المشرق إلى بلاد المغرب[1].

وكلما كثر الأتباع ازدادت ثروة الفاطميين إذ كانت خلايا دعوتهم منبثة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي[2].

عملون من أجل كسب الأنصار وجمع الأموال لشراء المعدات اللازمة لهم بالإضافة إلى نشر الدعاية لمذهبهم[3]. والدارس في تاريخ الحركة الإسماعيلية أول ما يشد انتباهه هو الجدية وروح التكافل بين أتباع هذه الدعوة أينما وجدوا كانوا والتفافهم حول زعيمهم[4].

([1]) الكندي: كتاب الولاة، وكتاب القضاء، ص258-262. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج3، ص145. المقريزي:الاتعاظ، ج1، ص27.

([2]) لقد استفاد الإسماعيلية من أخطاء الحركات السابقة مثل العلوية فانفكوا يبثون دعوتهم في مختلف أرجاء العالم الإسلامي يكسبون الأنصار ويؤسسون المراكز، ولما رأوا أنه لا ينجح لهم سعي في الحجاز والعراق خرجوا بدعوتهم إلى كل من اليمن وفارس والشام ومصر واستقروا في بلاد المغرب فوضعوا كيانا سياسيا، وهكذا نجحت دعوتهم في هذه الأراضي بفضل دعاتها المهرة. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص218-224. النعمان: الافتتاح، ص3-26.

([3]) محمد كامل حسن: في أدب مصر الفاطمية، ص38-39-40.

([4]) إن كتاب افتتاح الدعوة غنى بتفاصيل حول تضامن الدعاة من الشيعة الإسماعيلية ومدى نصرتهم لإمام الزمام، ص3-14-126-131.

فقد بالغوا في الطاعة له حتى خصوه بخمس دخلهم قصد تمويل الدعوة[1]، وهو واجب في كل الأحوال، وعلى هذا فالإسماعيلي مهما بعدت دياره عن إمام الزمان – والذي يعتبر ركن الدين- فإنه موجود بكيانه وماله ويواظب في دفع ما هو عليه واجب، من نفقات الدعوة الإسماعيلية ومصاريف الخلافة[2] ويتم جمع ذلك بواسطة الدعاة والنواب المنبثين في الأرجاء[3].

وقد استمرت عملية دفع خمس دخل المنخرطين في المذهب الإسماعيلي قبل قيام الخلافة الفاطمية وبعد قيامها في بلاد المغرب لينالوا بذلك رضى الخليفة عنهم[4] وبهذا لقد لعب هذا المورد دورا هاما في تموين الخزينة المالية. وقول الله تعالى:

"فإن الله خمسه"[5]، فمعناه عند الإسماعيلية إنما يراد به وجه الله وثوابه وللرسول إذ كان حيا فلما قبضه الله إليه عاد ذلك إلى

([1]) النعمان: كتاب الهمة، ص69-70-131.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص130-131. سيرة جعفر الحاجب، ص109. عبد الله عنان: الحاكم لأمر الله، ص126.

([3]) الافتتاح، ص126-130. حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله، ص168.

([4]) الافتتاح، ص131-132. سيرة جعفر الحاجب، ص109.

([5]) "اعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل" الأنفال، آية 41.

الأمام من أهل بيته الدين من بعده[1] يعطى منه قرابته وأهل بيته الدين يراهم لذلك أهلا ويضع فيه ما أحب[2].

وكان الخراج[3] أيضا موردا من موارد بيت المال الفاطمي، أما إذا حاولنا تتبع تطويره في بلاد المغرب نجد أنه حتى نهاية القرن الثالث للهجرة كان الخراج ضريبة متميزة عن تلك التي تعرف بالجزية التي فرضت على أهل الذمة[4]. وحينما قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب كان سكانه قد اعتنقوا الإسلام منذ زمن، وراجت فيه مذاهبه، وبهذا فإن فرض الخراج على أهله من المسلمين مخالف لمبادئ الإسلام وقوانينه المالية. وقد علمنا أن أبا عبد الله الشيعي قد استنكر كل جباية لم تطبق فيها الأحكام

---

(1) النعمان: كتاب الهمة، ص68-69.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحات، أنظر إلى نظرية القاضي النعمان في ذلك أن يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات "وذلك باعتماد على التفسير الإسماعيلي للآيات المتعلقة بالزكاة والصدقة والغنيمة وبخاصة هذه الأخيرة، فقد صير معناها كل ما كيسبه المرء – لا ما يؤخذه من العدو فقط فعلية أن يدفع خمس من دخله إلى امام زمانه.

(3) وأما الخراج فهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، ويكون في الأرض التي صولح عليها المشركون يستغلوها ويدفعوا عنها مقدارا ماليا معينا كل سنة للدولة الإسلامية وتقدير ذلك المبلغ يقف على اجتهاد أئمة العصر. أما الأرض التي أسلم أهلها فلا خراج عليها. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص146. ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص339.

(4) هوبكنز: النظم الإسلامية، ص85-86.

الشرعية للكتاب والسنة حين أدخل عليه الجباة ضروب المغارف من مدينتي بلزمة في سنة 293هـ/907[1].

وإن كانت هذه السياسة سرعان ما اتخذت منعطفا آخر مع خلفاء الفاطميين فقد فرضوا الخراج على بعض سكان المغرب مع أنهم مسلمون، ويدل على ذلك ما أورده الخشني عن أحد علماء القيروان الذي امتحنه المهدي وأخذ الخراج منه[2]. مما يبين أن هذا الخليفة قد ابتكر من الوسائل والحيل لجمع الأموال، واستحدث من الأساليب في فرض الضرائب ما يكفل له أكبر قدر ممكن من أموال الجباية[3] إذ لم يكن ليرضى إلى ذلك النظام الذي أقامه أبو عبد الله الشيعي.

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص141-142.

(2) طبقات علماء إفريقية، ص174. ابن عذارى: البيان، ج1، ص173. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص118.

(3) ومما استحدثه المهدي من مغارم تلك التي عرفت باسم التضييع أو التقسيط وضريبة الفطرة. راجع سيرة جوذر، ص56. الخشني: الطبقات، ص194. ابن عذارى: البيان، ج1، ص173. هوبكنز: النظم الإسلامية، ص79-80-85-86.

وكانت الجوالي[1] إلى جانب الخراج موردا لبيت المال الفاطمي وقد ذكرها "ابن حوقل" في عدة مواضيع وقد عدها من موارد الدخل عند الفاطميين[2].

ودلت المصادر التاريخية أن المعز حاول فرضها على قبيلة كتامة فامتنعت، فتنازل عن طلبها[3]، وهذا يعكس لنا أن قواعد فرض الضرائب لم تكن محكمة عادلة بل كان الفاطميون يرون أن أي سبيل يمكنه توفير الأموال لهم يطبقونه على الفور. وكم تنوعت مصادر بيت المال الفاطمي، فمنها ضرائب قلدوا فيها سنن الأمم السابقة ومنها ضرائب استحدثوها، ومنها التي اشتاطوا في تطبيقها تلك الضريبة التي حرص المهدي على أخذها في سنة 309هـ/923م على السلع التي تدخل المدن المغربية[4] إذ كانت عساكره من العبيد السود تقوم بوظيفة جمعها، وكانت تفرض

([1]) والجوالي هي الضريبة التي يدفعها أهل الذمة عن الجزية المقرزة على رقابهم في كل سنة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص458. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص142. هوبكنز: المرجع السابق، حاشية 4، ص62.

([2]) صورة الأرض، ص94-124.

([3]) المقريزي: الخطط، ج1، ص305. الاتعاظ، ج1، ص97-98-99.

([4]) وقد عرف هذا النظام "بالجوازات" في عهد الأمويين وباسم المراصد في بلاد المغرب (جمع رصد) ويعنى الطريق وبالمعنى الأصح مركز جمركي كما يطلق عليه حديثا، راجع تاج العروسي، ج2، ص253. مادة رصد. ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

بخاصة على المدن الواقعة على أهم الخطوط وفي غاية الأهمية والخطورة لبعدها الاقتصادي مثل تيهرت[1] وسجلماسة[2] وكما فرضت أيضا على مناطق عبور كل من طرابلس وبرقة[3] والغالب

([1]) يربط تيهرت بالقيروان أهم مركز تجاري في المغرب العربي وقدرت هذه المسافة بستة وثلاثين مرحلة. وهنالك طريق آخرلا يربط تيهرت بفاس في غاية الأهمية مرورا بتلمسان. ومن تيهرت إلى سجلماسة مرورا بمدينة أوزكا فالمتدبر لهذه المسالك يتضح له أهمية موقع تيهرت، إذ هو واسطة تستفيد منه القوافل التجارية المتوجهة من القيروان نحو فاس، بعدها نحو المشرق فهي تعبر أراضي تيهرت للاستراحة ولذلك عرفت تيهرت بباب المنازل فيها فنادق وحمامات ينظل بها القاصدين من تجار وسياح. راجع ابن خردادبة: المسالك، ص88. الاصطخرى: المسالك، ص37. المقدسي أحسن التقاسيم، ص246. البكري: المغرب، ص76-78. اليعقوبي: البلدان، ص102-104. ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص80.

Vanacker Claudette : Géographie économique de l'Afrique du nord selon les auteurs du IX siècles in A.E.C 28ème année n° 3 Mai-Juin 1973, p660.

([2]) لعبت سجلماسة دورا هاما في الميدان التجاري، فهي تقع على أهم خط تجاري المؤدى إلى بلاد السودان، وهي من المداخل الضرورية نحو غانا وكوكو. وتقدر المسافة بين سجلماسة وأودغست حوالي عشرة أيام وهذه المدينة من أهم المراكز التجارية، وقد ذكر ابن حوقل إنها مدينة غاصة بالتجار المشارقة. صورة الأرض، ص96. الإدريسي: وصف إفريقية، ص 378. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص219-231. البكري: المغرب، ص156-159. الإصطخري: المسالك، ص37.

([3]) ولعبت كل من طرابلس وبرقة دورا هاما في حركة التجارة مع بلاد المشرق بخاصة، فالقوافل التي تأتي من بغداد والبصرة أو غيرها إلى بلاد المغرب فهي تمر على ديار مصر ومنها إلى برقة وأحيانا تقصد القيروان عن طريق طرابلس. ابن خرذانبة المسالك، ص72-85. ابن حوقل: صورة الأرض، ص72. المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص347-351-354.

على الظن أن هذه الضريبة كانت تجبى على القوافل في الاتجاهين فذكر "ابن حوقل" أنها كانت تدفع على السلع الصادرة والواردة البرية منها والبحرية من بلاد الأندلس وبلاد الروم ومصر والسودان[1] حيث أن رواج تجارة التبر قد بعثتا بدون شك نشاطا كبيرا في اقتصاد بلاد المغرب فكان سببا في انتعاش تلك التجارة والتي شارك فيها الأندلسيون والمشارقة[2] وكما ساهم فيها اليهود أيضا[3]، بيد أنه لم تقتصر الضريبة على السلع فقط بل أحدث الفاطميون غرامة على من أراد الحج، وقد سنها عبيد الله المهدي وجعل عاصمته المهدية لتكون الطريف وأن لا يتعدى أحد ذلك أنه احتكر بعض الغلاة الجيدة وتحكم في تصريفها وبيعها والتي كان

([1]) لقد هيمنت على هذه المسالك التجارية فرقة الخوارج فاحتكرت هتان البضاعتان من العبيد والذهب وعجز الفاطميون في السيطرة عليها. الإدريسي وصف إفريقية، ص98. ابن صغير: أخبار الأئمة، ص33 ابن خلدون: العبر، ج6، ص203. الحموي: ج2، ص12-13. الوسياني: ورقة 39. الجناحي: دراسات مغربية، ص68. زيايدية عبد القادر: مملكة سنغاي، ص188. ارشبالدرلويس: القوى البحرية، ص255. الفيلالي: جوانب من العلاقات التجارية بين الأمويين والرستميين في الأندلس، مجلة الأصالة، عدد 3 ماي 1989، ص 36.

Lombard-Maurice : l'or musulman annales. ECO, SOC, Civil, n° = p.150.

([2]) لقد عاشت أقلية يهودية في دولة بني مدرار بخاصة وهيمنت على مناجم الفضة في درعة وتجارة الذهب مع بلاد السوادن. راجع الاستبصار، ص2028.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص186-187. ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص341.

فقهاء المالكية يمتلكونها[1]. وفي ذلك يقول "البكري" أنه كان من مدينة بسكرة أجناس التمور... جنس يعرف بالكسيا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف باليارى أبيض أملس، وكان المهدي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه[2].

وأرغم أهل البراري على بيع محاصيلهم في المهدية بأثمان زهيدة ثم فرض عليهم رسوما باهظة. ونستشف هذا من قول المعزل لدين الله حيث ذكر أنه في أيام المهدي كان قوم من أهل البوادي قد باعوا غلتهم في المهدية وقد وقع في أيديهم مال كثير فجعلوا يحسبونه ويذكرون ما لزمهم من الأذى عليه..[3].

([1]) لقد ضمت الخريطة الاجتماعية للمالكية على أرستقراطية بيروقراطية تربعت على مناصب هامة في القضاء والإفتاء كما كانت هنالك أرستقراطية زراعية تمتلك الضياع الخصبة وبخاصة الباستين والغروس المثمرة وقد أدلت بهذه الحقيقة المصادر السنية أن ذكر المالكي أن كان لسحنون بن سعيد أملاكا بسوسة تقدر باثنى عشر ألف عود زيتون. كما احتكرت هذه الفرقة التجارة في إفريقية هذا بالإضافة إلى وجود عناصر من نساك ومرابطة. أنظر المالكي. رياض النفوس، ج1، ص265. الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص36. محمود إسماعيل: محنة المالكية في إفريقية، ص69.

([2]) المغرب، ص52 وذكرها أيضا الورثيلاني: رحلته، ص93.

([3]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، رقة 186-187.

وقد اتبع الفاطميون أيضا في جباية الضرائب المقدرة على الأرض الزراعية نظام القبالة ويشمل جميع أنواع الإيرادات من مصائد الأسماك مثلا تعرض على متقبلين بمبالغ مالية معينة.

وهنالك خطأ ورد عند "ابن حوقل" حين ذكر أن نظام القبالة لم يظهر في بلاد المغرب أثناء الفاطميين إلا في مدينة برقة[1].

غير أنه تمت دلائل تنفي ذلك، فقد ذكر جوذر أنه كثيرا ما كانت الرعية تثور نتيجة ثقل نظام القبالة الذي كان يتبع في مدينة المسيلة بإشراف واليها جعفر بن علي الأندلسي[2].

ونستخلص مما ذكر أن نظام القبالة كان يسود في أنحاء أخرى من بلاد المغرب.

وكان من موارد بيت المال الفاطمي مصادرة أموال بعض الأفراد لنقم الخليفة الفاطمي عليهم لأسباب مختلفة كثيرا ما كان الحق فيها بجانب القوة، وكثيرا ما صادر المهدي أموال أهل السنة بعامة والمالكية بخاصة لموقفهم العداي لمذهبه الإسماعيلي وسياسته المالية الجائرة التي ارتكبها في حق الرعية[3] —وهاك أمثلة عن

([1]) صورة الأرض، ص124.

([2]) سيرة جوذر، ص129-130-140.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

ذلك أن أحد علماء القيروان من المالكية يعرف بالوكيل، كان من ذوي المال الوافر وحين مات في صدر دولة المهدي صودرت أمواله وكان بحوزته أربعين ألف مثقال من البز والجوهر بعد أن نكل بابنه[1]. وقد تم تصفية أموال عديدة من التجار الأندلسيين في القيروان مثل أبى جعفر محمد بن خيرون الأندلسي، صاحب المسجد العريق وذلك بسعاية القاضي المرورذي[2].

وصودرت أيضا أموال أبو العباس بن السندي الشافعي المذهب[3].

ويببدو أن الفاطميين لم يكتفوا على قضاء نفوذ مخاليفهم في المذهب فحسب بل وعلى مركزهم المالي على السواء، إذ كان المهدي يأمر قضاته بمصادرة أموال الأحباس وتجريد الصون الساحلية من المال والسلاح[4] نظرا لخطورتها الاستراتيجية على دولته.

([1]) الخشنى: الطبقات، ص175. الدباغ: المعالم، ج2، ص290.

([2]) الخشنى: الطبقات، ص283. ابن عذارى: البيان، ج8، ص169.

([3]) الخشني: الطبقات، ص283.

([4]) المالكي: رياض النفوس، ج4، ورقة 31. الدباغ: المعالم، ج2، ص296. ابن عذارى: البيان، ج1، ص171.

لقد كان للعامل الاقتصادي دور في تفسير موقف أهل السنة من الفاطميين إذ اتخذت دعوتهم ذريعة لإنشاء سلطان قوى، كما يبين هذا العامل ذلك الصراع غير المتناهي بين الشيعة الإسماعيلية والمالكية من أهل السنة إذ كان موقف هؤلاء مرتبطا بأسلوب الجباية التي تمسك بها الفاطميون والتي كان لها أثر على وضعيتهم الاجتماعية.

ولم يفلت كذلك من أذى الدواوين رجال الدولة الفاطمية أنفسهم حين كانوا يشكلون على الدولة خطرا، فوضعت مراقبة صارمة عند عزلهم من أعمالهم حيث تم مصادرة الإقطاعات والأموال التي جمعوها أثناء خدمتهم[1].

ومما لا شك فيه أن الطليعة الأولى من الدعاة وبناة الدولة حين سببوا الشغب ضد حكم المهدي، فقام هذا الأخير بمصادرة أموالهم ومن جملة هؤلاء أبى عبد الله الشيعي وأخيه أبى العباس وأبى القاسم صاحب الخراج[2]، وكما تم تكشيف القاضي المروروذي على إثر عزله من منصبه في سنة 301هـ/913م برقادة لمدة عامين

([1]) عفيفي إبراهيم: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمي، ص20.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النعمان: الافتتاح، ص315. سيرة الحاجب جعفر: ص 132. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159.

حتى يقدم للمهدي قائمة أسماء من أودع عندهم تركاتهم إلا أنه امتنع فقتل[1].

وتم استلام تركة أبى الفضل محمد بن عبد السلام سنة 305هـ/917م متولى جباية طرابلس وتونس[2].

وحين عزل المهدي نسيما – أحد فتيانه– عن عمالة القيروان في سنة 314هـ/926م قبض على أمواله وتم حبسه[3]. وهنالك ما يدعو إلى الشك أن خلفاء هذه الدولة قد تعمدوا إلى قتل أثرياء المنطقة وأصحاب النفوذ من أجل مصادرة أموالهم إذ لجأ هؤلاء الخلفاء إلى استصفاء الإقطاعات إذ ما علموا بخروج المقطعين عن طاعتهم كما حدث مع جفعر بن علي الأندلسي عندما انتزع الخليفة المعز ناحية المسيلة وإعطاها لبلكين بن زيري الصنهاجي[4]. وقد كان لنظار المواريث دور حين تعدوا حدود الإرث الشرعي لمن يتوفى بلا وارث يرثه إذ تذهب تركته للخليفة[5]. وحين مات عبد العزيز بن شيبة –وهو أحد المالكية–

---

(1) المالكي: رياض النفوس، ج2، ورقة 31. الدباغ: المعالم، ج2، ص199–244.

(2) ابن عذارى: البيان، ج1، ص180–181.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص191.

(4) عفيفي إبراهيم: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية، ص20.

(5) عبد المولى: القوى السنية في بلاد المغرب، ج1، ص318.

لم يكن له وارث فحجز على أملاكه، وتركاته وسلمت للمهدي وقد كان يملك هذا الفقيه مسجدا بجوار داره وفندقا، على الغرم من أن المساجد لله، فإن المهدي ضمها إلى أسلابه[1]، حتى أصبح موت أحد الأغنياء نكبة لأهله ولكل من يتصل به مما لجأوا أحيانا إلى أن يسترون ويتمنعون من تسليم الوصية للحكومة حتى لا يهتدي مكان التركة[2].

وقد استمرت عملية مصادرة التركات حتى فيعهد المعز حين صادر كتب الفقيه أبى محمد عبد الله بن هاشم بن ميسور التمتمي المعروف بابن الحجاج وكان من المالكية بعد موته وقد ذكر "الجودي" أنها كتبت بخط يده وكانت تزن سبعة قناطير حيث منع الانتفاع بها[3].

واتسمت السياسة المالية في عهد الفاطميين بصبغة ميكافيلية لا يهتم الخليفة بالوسائل التي كانت تتخذ حين تجمع الأموال ما دام ذلك يشبع نهمه. وحين ولى المهدي قضاء مدينة القيروان محمد بن عمران بن عمران النفطى، قام بجمع أموال من الارتشاء

---

(1) قام عمال المهدي بغلق باب المسجد وتوصيله بالدار والفندق: البيان، ج1، ص190.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص161.

(3) تاريخ قضاة القيروان، ورقة 47.

والأحباس وعندما رفعها إلى بيت المال لم يهتم المهدي بالوسيلة[1]، إذ كان همه هو العمل على تنمية موارده بشتى الطرق بقطع النظر عن أسلوب تحصيلها، وأن أصبحت وسيلة لنيل الحظوة لدى الخليفة فكثيرا ما استغل أعوان المهدي وولاته في الأقاليم ذلك فكانت لهم وسيلة إليه[2].

وهذه السياسة لم يكن الخلفاء وحدهم فيها المسؤولين بل الدعاة والولاة وللجند يد فيها، فكانوا مصدر قلق على الرعية[3] فالقاضي المروروذي فضلا عن أسلوبه المذهبي العنيف فإن سياسته المالية لم تكن لتختلف عن ذلك فكان يقابل رفض الرعية عن أساليبه التعسفية بالحجز عن أموالها وكثيرا ما أخذ أموال المؤسسات الخيرية عنوة من أصحابها[4].

ولعل ما ذكره ابن حوقل خير شاهد على ما نقوله خصوصا وأنه شاهد ما ذكره بعين المكان وذلك أن أصحاب الأعمال كانوا يستأثرون من الأموال الزائدة عن القوانين واحتكارهم لها[5].

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص188.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة. الجناحي: السياسة المالية للفاطمين، ص56.

(3) الخشني: الطبقات، ص309.

(4) المالكي: رياض النفوس، ج2، ورقة 31-32. الدباغ: المعالم، ج2، ص99.

(5) صورة الأرض، ص 94.

وزيادة على ما تمتع به بعض الموظفين من مكانة إدارية داخل البلاط الفاطمي فقد كانوا يتمتعون أيضا بأملاك واسعة وعقارات وتجارة. وهذا يبين لنا مدى الثراء الفاحش الذي تمتع به بعض رجال الدولة الفاطمية بالمغرب، وما كان للأستاذ جوذر من عقارات كثيرة وتجارة كبيرة قرينة جزئية عن ذلك[1]. وكثيرا ما كان الولاة يصلون إلى تلك المناصب الإدارية بالارتشاء، إذ كان يتم تعيينهم بعد اتفاق مسبق مع الخليفة حول تقديم مقدار من المال في السنة[2]، الأمر الذي نستنتج منه وجود تعسف وظلم في جمع الأموال حتى تكون وسيلة لتعيينهم على الأقاليم.

ولا ريب في أن سار الدعاة على منوال سياسة خلفائهم. ففي عهد المهدي انشغل الدعاة بأمور الجباية عن مباشرة مهام الدعوة، والمصادر الإسماعيلية لا تخلو من إشارات تؤكد ذات الحقيقة. فقد ورد في كتاب "المجالس والمسايرات" على لسان المعز أن أحد الدعاة في عهد المهدي افتتاح مدينة فلم يصب فيها كير شيء ما

([1]) سيرة جوذر، ص 161-167.

([2]) لقد رفع المعز كتابا إلى جوذر قائلا له: "لقد احتملنا مالو ما كان بين أيدي أقل عبيدنا لكبر عبيهم وقد علم الله أن ذلك ليس هو لفقدنا إلى أحد منهما جميعا بل لو شئنا استبدال بهما لوجدنا كثيرا يبذلون على ذلك الأموال العظيمة". وكان ذلك عندما وقع خلاف بين جعفر ابن علي الأندلسي والي المسيلة وبين بلكين بن زيري والي أشير. سيرة جوذر، ص101-130.

حزن لذلك وأرسل إلى خاصته من الجيش الذي كان معه فقال لهم: "أي مصيبة أعظم مما نحن اليوم فيه". فقالوا له: "قد أصبنا غنائم كثيرة فتحت نضمها كلها إليك فتأمر بيعها تبعث بأموالها"[1].

فقام بجمع بعض المال وبعث به إلى إمامه المهدي" فكان المهدي يشكو فعله ويحمد أمره وأن لم يكن ممن يرع في الدين من المؤمنين"[2].

كما أنه كثر امتداد أيدي العسكريين إلى نهب غنائم الرعايا[3] وكل ذلك يحدث والمهدي تصله أخبار النهب والسلب من هؤلاء، وكثيرا ما كان بعضهم يتعرض لقصاص المهدي حين ينهبونها لأنفسهم[4]، فلا غرو أن المصادر الإسماعيلية لم تغفل مثل هذه الحقائق من أن المهدي كان يسوف جنده في إطلاق أيديهم على النهب طالما كانوا يشبعون نهمه في الأموال.

وقد تمت سلسلة أحداث في عهد المهدي تبين من خلالها تلك الأعمال التعسفية التي اقترفتها جيوشه أثناء نشاطها، وفي سنة

([1]) النعمان، ج2، ورقة 518-519.

([2]) المرجع نفسه، نفس الورقات.

([3]) سيرة جوذر، ص43.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص186.

298هـ/910م-911م خرج أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب فحارب مواطن زناتة وقتل منهم خلقا كثيرا ونهب الأموال[1] وكما تعرضت مدينة سجلماسة لأكثر من مرة للنهب والسلب على يد عساكر المهدي[2]، لقد كانت هذه المدينة محل طمع لغناها بالثروات من الفضة والذهب هذا فضلا على أنها منطقة تجارية هامة، وقيل أن المهدي تحصل من التبر ومن الحلى وقرمانة عشرين حملا عند دخولة رقادة[3].

وقد لقي يهود سجلماسة بصفة خاصة على أيدي رجال المهدي عنتا شديدا فتعرضوا لشتى أنواع العذاب اعتقادا أن لهم يدا في الوقيعة بين المهدي واليسع بن مدرار، فقتل أثرياؤهم ونهبت أموالهم[4] كما نهبت أيضا مدينة تيهرت عندما دخلها أبو عبد

---

(1) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص25. ابن عذارى: البيان، ج1، ص162.

(2) مجهول: الاستبصار، ص201.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(4) لقد عرج أبو عبد الله في طريقه إلى سجلماسة لتخليص المهدي من سجنه على تيهرت وكان حال الدولة الرسمية قد شاخ وهرم فدانت له دون مقاومة تذكر فضلا على أن التشيع كان قد دخل المدينة، بفضل البعوث التي نفذها أبو عبد الله الشيعي لأجل هذه المهمة حتى يسهل له قيادتها، مما أكد ذلك قول ابن الصغير وصاحب سيرة علماء الاباضية أن خطباء تيهرت كانوا على منابرهم لا يستعملون إلا خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب خلا خطبة "التحكيم". ابن عذارى: البيان، ج1، ص153. ابن خلدون: العبر، ج6، ص118. الدرجيني: طبقات علماء الاباضية، ج1، ورقة 42. أبو زكرياء: سيرة الأئمة وأخبارهم، ص83-84.

الله الشيعي في سنة 297هـ/909م-910م[1]، وكثيرا ما شرقت أهال بالقيروان من أفعال جند الفاطميين، إذ قاموا عليهم في سنة 299هـ/911م-912م.

بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار أهل القيروان فلما دافعوا عنه الخطر أنصاره شهروا عليهم السلاح وأرادوا نهب الحوانيت[2].

وقد اعترف الخليفة القائم بهذه الحقيقة عند حملته على مصر أن عساكره كانت ترتكب المناكر من نهب الأموال[3].

ولا غر وقد اعتادت الجيوش الفاطمية على الحرية التامة في أتباع أساليب جمع الأموال في المناطق التي يفتحونها، إلا أننا لا نبالغ في أن سلوك هؤلاء الجند في النهب كان يآمر أولياءهم وإنما فرضته طبيعة قيام هذه الدولة[4]. فكثيرا ما كان أبو عبد الله الشيعي ينكر على جنده النهب والسلب[5].

([1]) ابن عذارى: البيان، ج8، ص166.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج8، ص166.

([3]) سيرة جوذر، ص43.

([4]) الحبيب الجناحي: السياسة المالية، ص43.

([5]) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص87.

وقد عرف عهد الفاطميين في مرحلتهم المغربية بتأجج الثورات الداخلية وكثيرا ما تم التغلب عليها، وكانت عملية إخمادها يجنى الفاطميون من ورائها أموالا طائلة[1]. وقد اعترف "النعمان" بذلك حين ذكر حادث مقاقبة المهدي لشيوخ القيروان لما وقفوا ضد أساليب جند كتامة، فأعرض المهدي عنهم ولم يعجل بالعقوبة ثم أخذ أموالهم نكاية فيهم[2].

وما يمكن استخلاصه أن السياسة المالية التي انتهجها الفاطميون في بلاد المغرب قد أدخلتهم في نمط اقتصادي احتكاري[3] مما كان له انعكاسه على أحوال العامة للرعية، ودافعا للثورة على الأوضاع العامة.

فكثيرا ما قامت عدة حركات معارضة للوجود الفاطمي في بلاد المغرب وكان للعامل الاقتصادي أثر كبير في تحريكها[4]، إذ ارتفعت الأسعار بشكل واضح في الأسواق المغربية في عهدهم، وذلك ليتمكن الباعة من تسديد ما عليهم من ضريبة الجمارك وروسم

([1]) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص220.

([2]) الافتتاح، ص323.

([3]) محمود إسماعيل: مغربيات، ص69.

([4]) Georges Macais : Op cit, p.p 143-144. Dachraoui (F) Op cit, p337.

المرور وغيرها من الضرائب[1]. وذكر "ابن عذارى" أحداث بدت فيها شدة تأزم أحوال الرعية، أن في سنة 316هـ/928م و317هـ/929م كان في القيروان وأعمالها وباء وغلاء في السعر حتى بلغ قفيز قمح بالكيل القرطبية مثقال ذهب[2].

وأشار أيضا المؤلف أن في هذا التاريخ قام أبو يزيد ضد الفواطم وكان يتحسب الناس ي كثير من أفعال الخلفاء وعلى جباة الأموال[3]. ووصف "الناصري" أيضا الأحوال الاقتصادية في بلاد المغرب وبخاصة فترة حكم المهدي أن سادت بلاد المغرب مجاعات كثيرة وأوبئة وغلاء "بالإضافة إلى ما خلفته أثار تلك الحركات التي قامت ضد الحكم الفاطمي من أزمات عامة"[4].

وتجدر الإشارة أن السياسة المالية في عهد الفاطميين سارت على خطة مالية موحدة تولها خليفة بعد آخر وإن كانت أحيانا تخضع لظروف سياسة معينة[5]، فنجد الخليفة المنصور خفف من الجباية لفترة مؤقتة لأسباب اقتصادية عرفتها البلاد أثناء حركة أبى يزيد

---

(1) Georges Macais : Op cit, p 144.

(2) البيان: ص 194.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) الاستقصا، ج1، ص191-192-193.

(5) الحبيب الجناحي: السياسة المالية للدولة الفاطمية، ص54.

بن مخلد الخارجي، فقام بإسقاط نظام القبالات[1] على رعيته حتى صلحت أحوالهم عدا أهالي برقة انتقاما منهم لثأر قديم العهد[2]. وبهذا فقد جاء هذا التعديل في السياسة المالية عند الفاطميين مؤقتا يخضع للأحوال العامة[3].

ولعل ما ذكره "ابن حوقل" عن مالية المغرب في سنتي 336هـ/948م و360هـ/971م خير شاهد لتلك الثروة التي تجمعت لدى خلفاء هذه الدولة فقال عن القيروان وكان فيها ديوان جميع المغرب واليها تجبى أموالهم وبها دار السطان.. وسمعت أبا الحسن بن أبى علي الداعي المعروف... وهو صاحب بيت المال بالمغرب يقول في سنة 326هـ/938م دخل المغرب من جميع وجوه أمواله وسائر كوره ونواحيه واصقاعه عن خراج وعشر وصدقات وجوال ومراصد وما يؤخذ عما يرد من بلاد الروم والأندلس..." [4] فتبين أن بيت المال الفاطمي ظهر محكم الصنعة بما يدخله من موارد عديدة على الرغم من أن ظروف هاتين الفترتين كانت تعج

([1]) الدباغ: المعالم، ج1، ص26.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص26.

([3]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94. العماني: كشف الغمة ورقم 375. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 118. ابن أبى دينار: المؤنس، ص56. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص304-305.

([4]) صورة الأرض، ص94.

بالاضطرابات الداخلية كاد بعضها أن يقوض الوجود الفاطمي نهائيا من المغرب لولا تمت ظروف قوية أزالت ذلك الشبح وبددت شمله، وقد أشار البكري أن المنصورية وحدها كان بها خمسة أبواب يدخلها يوميا ستة وعشرون ألف درهم[1]، وأن خزائن المعز عرفتع رخاء لم تعهده خزائن أسلافه وذكر المقريزي أنه اجتمع له من الأموال ما لم يجتمع لآبائه، فتور لديه منها أربعة وعشرون بيتا اتفق أكثرها على مصر إلى أن تم فتحها[2].

وظهرت سياسة المعز أقل وطأة من سياسة أسلافه نظرا لحنكته إذ قلت الثورات، فتوفر الأمن في الداخل وأمنت طرق التجارة، كما اتهم بالتبادل التجاري محليا وخارجيا فراجت في عهده التجارة بنوعيها المحلي والخارجي[3].

لقد كان المعز يعتمد في إمداد خزائنه بالأموال على ما يفرضه من ضرائب جمارك على السلع الواردة بخاصة إلى موانئه المختلفة

---

(1) المغرب، ص25.

(2) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص230. راجع أحوال مصر قبل الوجود الفاطمي فيها عند حسن إبراهيم حسن، المعز لدين الله، ص276. سيرة إسماعيل كاشف. مصر في عصر الأخشيديين، ص381-384. جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص5.

(3) ابن خلكون: الوافيات، ج4، ص313. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج3، ص169. المعز لدين الله، ص168-169. علي إبراهيم حسن: جوهر الصقلي، ص23. حورية عبده: علاقات مصر ببلاد المغرب، ص337.

حتى بلغ من تساهله مع التجار الأجانب أن أصبحت السفن تغدو وتروح في مياه الفاطميين الإقليمية دون أن يجدوا عنتا في هذه الدولة الشيعية[1] وليس معنى هذا أن المعز ألغى نظام الضرائب وإنما اعتدل في فرضه مراعيا في ذلك مصلحة دولته، فكثيرا ما عاقب ولاته وجباته عند اشتطاطهم وأسرافهم في جمع الأموال بدون حق شرعي[2].

وعلينا أن ننوه، أن فترة حكم المعز عرفت نهضة عمرانية كبيرة كانت خزائنه هي المول الرئيسي لمثل هذه المشاريع الضخمة والمتمثلة في بناء القصور والبساتين والميادين الواسعة والفوارات الجميلة والصهاريج والقنوات التي اعتبرت أعوجبة زمنه[3]، وقد ورد ذكرها في كتاب "المجالس والمسايرات" بكل دقة وذلك حينما اعتزم المعز لدين الله على توصيل مياه عين أيوب إلى عاصمته المنصورية وذلك في سنة 348هـ/959م[4].

([1]) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص165-169.

([2]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

([3]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 172-173، ج2 ورقم 590-591.

([4]) المرجع نفسه، نفس الورقات.

وقد كان هذا المشروع محل دراسة ونقاش في عهد أسلافه ولكن الظروف حالت دون إنجازه في أيامهم[1].

وبما أن هذه المنجزات الضخمة تتطلب أموالا كثيرة، فكانت الرعية تتحمل نفقات ذلك في هيئة ضرائب متنوعة ملزمين بدفعها بصورة منتظمة. وإن كانت هذه المصالح أقيمت لخدمة الدولة بالدرجة الأولى.

كما أن المحاولات العديدة التي قام بها الفاطميون لأجل فتح مصر والمجهودات التي بذلوها في هذا السبيل مالية وبشرية[2] من تجنيد الجيوش الجرارة وتجهيزها بالأسلحة وتمويلها بالأموال

---

(1) لقد حاول الخليفة القائم استغلال ماء عين أيوب التي تقع بالقرب من القيروان ونقل مائها في القنوات إلى المدينة، إلا أن ثورة أبى يزيد حالت دون تحقيق ذلك وكذلك لما تولى المنوصر بالله الخلافة فكر في إنجازه غير أن كثرة تكاليفه المالية جعلته يحجم عنه، ولما استقر المعز في ملكه واستتب الأمن وامتلأت خزائنه بالأموال بادر في إنجاز المشروع: رحلة الورثيلاني: ص 169. النعمان: المجالس والمسايرات، ج2 ورقات، 590-591.

(2) ابن خلكان: الوفيات، ج4، ص314. ابن تغزي بردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص42. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص169. النويري: نهاية الأرب، ج22، ورقة 130. ابن خلدون: العبر، ج4، ص49. المقريزي: الاتعاظ، ص37. أحمد بك الطرابلسي:المنهل العذب، ص100.

الطائلة وما يتطلب ذلك من مصاريف اعتمدوا فيها على رعاياهم في بلاد المغرب[1].

وحين عول المعز على الدخول إلى مصر كانت الخزينة المالية لبلاد المغرب خاوية وبتعبير دقيق قد استنزفت عن آخرها[2]. وأنه كثيرا ما كانت ترفع الأموال إلى الديار مصرية أثناء محنتها الاقتصادية[3].

وكثيرا ما حاولت المصادر الإسماعيلية أن تبرر السياسة الجبائية لهؤلاء الخلفاء أن تلك الأموال خصصت للإنفاق على الدولة والنهوض بالدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب. فيتم بذلك صرفها على رجالهم الدين يرزقهم ويرجون عليهم[4] وكثيرا ما كان المعز يحاول التظاهر بالتقشف حتى يبعد الشكوك عن مصادر

([1]) وقد قال ابنهانئ لما رحل جوهر بجيشه من القيروان إلى مصر:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعنى يوم من الحشر أروع

غداة كأن الأفق ما كنت أسمع فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

أنظر ديوان الشاعر، ص192-200.

([2]) المقريزي: الاتعاظ، ص97.

([3]) حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله، ص273. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الأخشيديين، ص380-381-384. جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ص5.

([4]) النعمان: دعائم الإسلام، ج1، ص266.

تلك الثروة التي كانت بين يديه[1]، لكن مظاهر الأبهة التي كانت تقام داخل قصوره إحدى القرائن التي تدل على رفاهية حاشيته ومواظفيه. وهاك شهادة رسول ملك الروم لما زار المعز بمصر. وكان قدزاره من قبل في المغرب "لقد زرتك بقصرك في المهدية فرأيت من عظمته في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نورا عظيما عطى بصرى ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقا فلو قلت لي أنك تعرج إلى السماء لتحقق ذلك.

ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئا[2]، وحسبك أن تعلم أن مظاهر العظمة التي تمتع بها خلفاء الفاطميين في المغرب أكثر منها في مصر على الأقل في عهد حكم المعز وذلك حسب هذه الشهادة.

كما حرص المعز في سياسته المالية على الدقة الكاملة أن استغل كل موارد بيت المال وبخاصة أن رقعة الدولة الفاطمية في عهده تختلف عنها في عهد المهدي إذ أصبح النظام الضرائبي أكثر

([1]) المقريزي: الخطط، ج1، ص352. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص239.

([2]) المرجع نفسه، ج7، ص69. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص226. ابن أبى دينار: المؤنس، ص63.

تعقيدا في مداخل الدولة الذي رافقه في مدى تقلص وتوسع في جغرافية الدولة داخليا وخارجيا[1]، مما كان لهذا أثر طيب من جهة حيث يرتفع ما الخراج إلى حاضرته بالمنصورية بواسطة عاملة في الأقاليم[2] ولهذا تمسك المعز بالإشراف المالي عند انتقاله إلى مصر حتى لا يستبد به نوابه في بلاد المغرب[3].

ومن جهة أخرى لم يكن لدى حكومته المركزية فكرة واضحة على أما لأراضيه من قدراته على حمل الضرائب، فكانت هذه مهمة السلطات الإقليمية[4] وتحويلها إلى دار المحاسبات[5].

فكانت تشكل هذه الأخيرة إدارة مالية مركزية. ولقد ترتب على هذا النظام عشوائية العمل إذ هو لا يستطيع قياس وتقدير الدخل مقدما أو حتى التقريب بالنسبة المرجوة عند دفع الضريبة[6].

ومن خلال ما تقدم نرى مدى تنوع ضرائب الفاطميين في مرحلتهم المغربية والطرق التي استعملوها لجمع الثروة وتوسيع

---

(1) Dachraoui (F) : Opcit, p.p 334-335.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص156.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص169. ابن أبى دينار: المؤنس، ص85.

(4) هوبكنز: النظم الإسلامية، ص99.

(5) البكري: المغرب، ص30.

(6) هوبكنز: المرجع السابق، ص99.

نطاقها وحرصهم المبالغ فيه على ملء خزائنهم بالأموال لاستخدامها في تثبيت مذهبهم الإسماعيلي فيكون وسيلة لدعم سلطانهم السياسي في بلاد المغرب.

الفصـــل الثالث

الاتجاهات المضادة لرجال الدولة الفاطمية

الحركات المعارضة في بلاد إفريقية
الحركات المضادة في المغربيين الأوسط والأقصى

وقفت عدة حركات معارضة في وجه النظام الفاطمي منذ أن وضعت قواعده في بلاد المغرب، وإن المتأمل للسياسة الداخلية التي نهجها الخلفاء الفاطميون في المرحلة المغربية بصفة عامة يجدها تتماشى وسياسة الغاية تبرر الوسيلة، وقد سلك الخلفاء الفاطميون هذا الأسلوب مع خصومهم وكذلك مع أكبر دعاتهم وقوادهم وولاتهم في بعض الأحيان، إذ لم يخلو عهدهم من الدسائس والمكائد وتقلب في أهواء بعض رجالات هذه الدولة حين رخص الفاطميون كل شيء من أجل الحفاظ على سلطانهم، وقتل حتى الدين كانوا الطلائع الأولى في بناء صرح دولتهم في مختلف المجالات.

وفي هذا الشأن سنعمد إلى عرض وتحليل أسباب قيام حركات رجال الدولة الفاطمية من دعاة وقواد وولاة منذ أن أعلن عن قيام الخلافة في بلاد المغرب إلى تاريخ نقلها إلى ديار مصر، وذلك على ضوء ما نقلته المصادر التاريخية على اختلاف الروايات وتباينها وعلى ما وصت إليه الدراسات الحديثة من نتائج.

وأول ما يسترعى الانتباه أن المهدي عقب نزوله في قصر الصحن ونزل ابنه القاسم في قصل الفتح انصرف الناس إلى شؤونهم وانتهت بذلك المرحلة الأولى في تاريخ الحركة الإسماعيلية في بلاد

المغرب التي خطط لها والده الإمام الحسين في سلمية وأشرف عليها ابن حوشب في اليمن ونشر نفوذها في كتامة وبلاد المغرب أبو عبد الله الشيعي الذي أسدل الستار عن مهمته كداع، تمهيدا لتصفية نفوذه كقائد سياسي في بداية المرحلة التالية التي استهلها عبيد الله المهدي بحملة من الإجراءات الجذرية، أن مهد لاصطناع وجوه جديدة لا ترتبط بالداعي أبى عبد الله الشيعي بأي رباط مصلحي، أو عاطفي ولم يسبق لها الاتصال به. هذا إلى جانب أن أبا زاكي وأبا العباسي فقد بقيا خارج الإطار الرسمي مع أنهما كانا مستخلفين على الولاية كلها. ويلاحظ أن تصرفات المهدي وإجراءاته، قد وضعت بذرة الشك وهيأت لحركة المعارضة بين أقرب رجاله وأنصاره.

وتعتبر محاولة أبى عبد الله الشيعي الداعية الإسماعيلية في الثورة ضد حكم المهدي، هي من أولى حركات رجال الدولة ضد السلطان الفاطمي في بلاد إفريقية.

فمن هو الداعي؟ هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء كنى بأبى عبد الله، وعرف بعدة ألقاب تدل في مجموعها على

شهرته ومكانته، وتنوع نشاطه، ومنها الشيعي[1]، وهو أشهرها ثم الصنعاني[2] نسبة لصنعاء باليمن وهي مسقط رأسه في بعض الأراء وبهذا اللقب كان يشهر بحركته، ويدعى عليه من على منابر القيروان ورقادة وغيرها[3] وعرف بالمحتسب[4] لممارسته خطة الحسبة في سوق الغزل بمدينة البصرة[5]، أو في غيرها من مدن

---

(1) البكري: المغرب، ص51. ابن عذارى: البيان، ج1، ص125. الدباغ: المعالم، ج2، ص177. ابن الوردي: تاريخه، ص250-251. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص55. القضاعي: عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق، أورقة 176-177، مخطوط بدار الكتب، رقم 1779. ابن الكثير: البداية والنهاية، ج1، ص116. ابن خلكان: الوفيات، ج1، ص443-444.
ENCY.I- Art Abou-Abdallah TI p 76.

(2) ابن عذارى: البيان، ج1، ص125. السمعاني: الأنساب، ص355. ابن أبى الضياف إتحاف أهل الزمان، ج1، ص118.

(3) النعمان: افتتاح الدعوة، ص31-33-34، ونص الدعاء: "اللهم إن هذا الكافر الصنعاني قد استشرى أشره واستمرى مرتعه كافرا لأنعمك مبدلا لدينك مخالفا لكتابك اللهم فالعنه لعنا وبيلا وأخزه خزيا طويلا وأرح منه عبادك وطهر منه أرضك وبلادك.

(4) ابن خلدون: العبر، ج4، ص31-34. ابن الكرديوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء ورقة 368 مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 18593، ويوجد في معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم 900. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص51. المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص181-187. الناصري: الاستقصاج، ج1، ص79. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص85.

(5) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 19. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص85.

العراق[1]، والمعلم[2] لأنه كان لقنا عارفا بأساليب التعليم، والدعوة لمذهب الإمامة في بدء حياته، قبل أن تعتنق المذهب الإسماعيلي في الكوفة بتأثير الإسماعيلية، ولقلقه من استمرار غيبة محمد بن الحسن العسكري، وعرف بالصوفي[3]، لتقشفه في الحياة ومداومته على لبس الخشن من الثياب مع ما اشتهر به من صفاء النفس والورع والأمانة، وإنما عرف في بيئة إفريقية بالإهوازي[4]، لأن مدينة هرمز التي قبل أنه ولد فيها من نواحي خوزستان، أو الأهواز[5]، وقد اطلعه عليه أحد شيوخ كتامة من باب التقية، قبل قبل أن يشتهر خبره بين عامة فروع كتامة الذين عرفوه بصاحب البغلة الشهباء[6]، أو البلقاء[7]، وبالمشرقي[8] لمجيئه من المشرق، المشرق، وقد سمى كل من مال إلى رأيه متشرقا، ويقال عنه أنه

([1]) ENCY.I – Art Abou-Abdallah TI, p76.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص31-34. ابن عذارى: البيان، ج1، ص125.

([3]) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص186-187.

([4]) النعمان: الافتتاح، ص31-33.

([5]) المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص186-187. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص51، هامش 3.

([6]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص125- 126.

([7]) النعمان: الافتتاح، ص 31-33.

([8]) نفسه، نفس الصفحات. ابن عذارى: البيان، ج1، ص124-125. ابن الوردي: تاريخه، ص250-251

(تشرق) أي تشيع ومن ثم كان لقب المشرقي في إفريقية يرادف في مدلوله لقب الشيعي[1]. وعرف بالسيد[2] أيضا وتعنى صاحب الأمر والمعظم بين اقوم، وكان مساعده إبراهيم بن محمد لزبيدي اليمنى، يعرف بالسيد الصغير تمييزا له عن أبى عبد الله، وأحيانا يوصف بالهوازي أيضا[3].

وعرف أبو عبد الله في بعض المصادر الاباضية بمولى عبد الله وبلقب الحجاني[4] أو الايكجاني، وهو لقب أطلق عليه كما خلع على أحد أتباعه[5] لاتخاذه قلعة ايكجان مقرا ودار هجرة، وقد بدا لبعض الباحثين خطأ أن يكون لقب الحجاني، منسوبا لأجانة[6] وهي فرع من فروع كتامة، لأن الأقرب هي نسبته إلى قلعة ايكجان أو إلى فرع بني سكتان الذين أقام بينهم في هذه القلعة.

([1]) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية، ص223 وما بعدها.

([2]) النعمان: الافتتاح ص 31-32. أنظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، ص345 وما بعدها. اليماني: سيرة الحاجب جعفر، ص 125.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص125.

([4]) الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ص232-293. أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، ص169 وما بعدها.

([5]) اليماني: سيرة جعفر، ص125-129.

([6]) André Negre : La fin de l'Etat Rustomide, p18.

ومهما قيل حول هذه الألقاب، ودلالتها المختلفة على شخصية صاحبها فالذي يهم أن أبا عبد الله الداعي، لما اتصل بإمام الزمان في سليمية[1] ورآه على حظ من الذكاء واللقانة والنشاط، ضمه إلى سلك دعاته، ومنحه ميزة حضور مجالس الدعوة في سلمية، لفترة قبل أن يرسله إلى مركز تكوين الدعاة الماهرين في بلاد اليمن حيث يوجد داعيها الكبير منصور اليمن الذي رحب به وأكرمه لسابق تعارفهما وتركه مجالسه[2] ويطلع على دقائق أعماله ويشاركه في نشاطاته في سائر أنحاء اليمن بحيث صار من كبار خواصه وهيأته إمكانياته الكبيرة في جزيرة كبرى من جزائر الدعوة حسب رأى الإمام، وداعيه في بلاد اليمن، الذي اغتنم فرصة سماعه بموت الحلواني، بعد أبى سفيان وأرسله حسبما رسم الإمام إلى أرض كتامة من بلاد المغرب.

([1]) هو محمد الحبيب في نظر ابن خلدون: العبر، ج4، ص 31-34. ومحمد بن جعفر عند المقريزي: الاتعاظ، ج 1، ص51-52. وهو أحمد بن عبد الله ابن ميمون الحجة عند ابن ايبك الداواداري: زبدة الفكر، ورقة 20. وقد سكت النعمان عن تعيين اسم الإمام. أنظر افتتاح الدعوة، ص31-34. بينما ذكر قبل ذلك جعفر الصادق بالنسبة للداعيين قبله، وهو محمد بن إسماعيل عند صاحب الاستبصار، ص202-203. وينفرد برواية جديدة عن كيفية اتصال الداعي بالغمام على شاطئ نهر دجلة.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص31-33.

واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقضي على إمارة بني الأغلب ويعلن قيام الخلافة الفاطمية، وإذ رفع شعاراتها وطبق مذهبها ووضع الأسس الأولى لإدارتها في مختلف المجالات فضرب العملة ونظم القضاء ودون الدواوين، وعين الولاة، ورسم الخطوط العريضة لسياستها الداخلية في مختلف المجالات من إدارية وسياسية وقضائية وغيرها وحين أقر الأمن والنظام ووطد أمور الخلافة توجه نحو سجلماسة وأطلق سراح مولاه عبيد الله المهدي وسلم إياه الملك، ويبدو أن المهدي لم يعمل لجهود أبى عبد الله الشيعي وزنا، والذي أوجد عرشا من العدم، رغم كثرة الأعداء وتنوعهم.

فتجاهل كل الاعتبارات وعصف به حيث شعر بخطورة مركزه القوي على سلطانه.

وقد تضاربت الآراء بين المؤرخين بشأن الأسباب الحقيقية لقتل الداعية أبى عبد الله الشيعي، فبعضهم أرجع ذلك الحدث لمحاولة أبى عبد الله الشيعي الثورة على المهدى لما رآه انحرف عن المبادئ العامة للمذهب الإسماعيلي: وهؤلاء هم الذين أنكروا صحة نسب عبيد الله المهدي إلى آل البيت[1] فأولوا حادث مقتل

(1) إن قضية النسب الفاطمي شائكة ومعقدة وكثيرا ما تناولها الباحثون دون الوصول إلى نتيجة مقنعة وقطعية بشأنها، ولكن يحتمل أن يكون خصوم الفاطميين حينما عجزوا عن مقاومتهم عسكريا لجأوا إلى الطعن في صحة نسبهم إلى آل البيت كما جعلوا من أعمالهم دليلا على عدم

أبى عبد الله إلى أسباب دينية وأخلاقية أن كان أبو عبد الله يهدف للقضاء على الفساد الذي أخذ المهدي يمارسه علانية بالقيروان حيث أباح من المحرمات، كشرف المسكر، ورخص الغناء مما جعل أبا عبد الله الشيعي ينكر عليه ذلك مذكرا إياه: "ما على هذا خرجنا"[1].

ولمثل هذا السلوك، كان أبو عبد الله الشيعي قد منعه حين أمر ابن خنزير[2] بالقيام بعملية تطهيرية في القيروان وذلك بقتل كل من خرج ليلا أو شرب مسكرا أو حمله أو وحد عنده[3].

صحة نسبهم ومن هؤلاء الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص254-255. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص61. وابن عذارى: البيان، ج1، ص158. ابن النديم الفهرست، ص279. غريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، ص36-57.

Ivanov (w). The Alleged Founder of Ismailisme p, 11, Ismaili-tradition Concerning the Rise of the Fatimids, pp 36-37, Mamour (Prince) Polimics on the Origin of the fatimi caliphs pp 43-92 Bernand Lewix : The Origins of Ismailism, pp 42-52.

([1]) عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري، ص37.

([2]) الحسن بن أحمد بن على بن كليب المعروف بابن خنزير أحد وجوه أهل ميلة من عرب ربيعة و يعتبر أول وال للدولة الفاطمية على القيروان. النعمان: الافتتاح، ص135. ابن عذارى: البيان، ص151-152. وقد تولى ابن خنزير في سنة 297هـ ولاية صقلية وقلوية. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص27، حاشية 32.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

وفي سنة 297هـ/911م خرج أبو عبد الله الشيعي إلى أرض المغرب بأمر المهدي لما ظهر فيه من الشغب، وفساد الطرق وقيام القبائل على عمالهم[1]، فأوقع بمن فيه فصلحت أحوال تلك البلاد[2]، وحين هم راجعا نزل بمدينة تنس[3] بموضع يعرف بالثور[4]، وجمع إليه وجوه من قبيلة كتامة وشككهم في أمر المهدي أن طعن لهم في الغمامة وأدخل فيها الشبهة[5] لسوء أعماله وعمل معهم على خلعه وذلك لأن أفعاله لا تشبه أفعال

([1]) انتهى أبو عبد الله الشيعي إلى طبنة ووافى بها ابن خزر الزناتي زعيم مغراوة في قبائل كثيرة فهزمهم وأعاد طاعة ولاية تيهرت إلى حظيرة الفاطميين وكان عند كل فتح يبعث ينبأ النصر للمهدي: الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص26-27-28. ابن عذارى: البيان، ج1، ص160.

([2]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص28.

([3]) وهي مدينة ساحلية من مدن الجزائر حاليا، وهي محصنة طبيعيا، لها أبواب عدة وكثيرة وكانت تقصدها مراكب الأندلسيين في حركتها التجارية، كما تبعد عن وهران بمسافة تقدر بحوالي مائتي ميل وهي مدينة غنية بالمحاصيل الزراعية. الإدريسي: وصف إفريقية، ص57. ابن حوقل: صورة الأرض، ص 78

([4]) لم أعثر هن هذا الموقع في القواميس الجغرافية، ويبدو أنه ضاحية صغيرة من تنس.

([5]) النويري: نهاية الأرب، ورقة 34. النعمان: الافتتاح، ص308-309. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134 ابن ضياف: اتحاف أهل الزمان، ص122.

المهدي الذي كان يدعو إليه[1]، وحمل نفسه مسؤولية ذلك وقال لهم: "أخشى أن أكون قد غلطت فيه".

وأضاف قائلا: "أن الدعاء لأهل بيت رسول الله واجب وأن الغمام المهدي حق وأن الزمن مجهول عندي، وكنت ارتبت في والده عبيد الله فكيف لا يرتاب فيه"[2].

كما ادعى أن المهدي صاحب الحق له علامات مميزة بين كتفيه كما هو مكتوب بين كتفي النبي –صلى الله عليه وسلم–[3] ويبدو أن أبا عبد الله كسب الأنصار بكل الطرق، ومحاولا في هذا زرع الشك في مهداوية المهدي من جهة أخرى.

واتفق أبو عبد الله الشيعي مع وجوه كتامة على امتحان المهدي حينما يصلون إلى القيروان[4] وبذلك نجده يحسب اختيار الظروف

([1]) الطرابلسي: المنهل العذب 5، ص 97. مجهول: الاستبصار، ص117. السراج الحلل السندسية، جا، ص896. Levi -Provinçal: Histoire de l'Espagne V2 pp 85-86.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص161. مجهول: الاستبصار 1178. القرماني: كتاب أخبار، ص189.

([3]) النويري: نهاية الأرب، ج 26 ورقة 34. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد ص 23، هامش رقم 2. ابن عذارى: ج1، ص161. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 230-231. Levi – Provinçal : Op.cit, pp 85-86.

([4]) ابن عذارى: ج1، ص 161-162.

للإيقاع بحكم المهدي عندما ألب زعماء كتامة ضده وذلك عند إخماده للثورات التي قامت ضد الوجود الفاطمي[1].

وعاد أبو عبد اللّه من بلاد المغرب ظافرا، ولكنه يكن في نفسه الإطاحة بالمهدي[2] إلا أن أخبار هذا التدبير قد تسرب إلى المهدي بواسطة أحد زعماء كتامة الذي كان في الظاهر أحد عناصر المعارضة وفي حقيقة أمره كان عين المهدي تطلعه على كل ما يحاك في الخفاء ضده[3].

وذهب فريق آخر من المؤرخين[4] أن محاولة أبى عبد اللّه الانقلابية على نظام حكم المهدي، إنما تعود لأسباب شخصية ولطموح هذا الداعية في السلطان وذلك أن المهدي حين استقر به قرار الملك استحوذ بين يديه على السلطتين الروحية والزمنية،

([1]) راجع تفاصيل خروج حملة أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب سنة 297هـ عند الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص26-27. ابن عذارى: البيان، ج1، ص160.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص161.

([3]) مجهول: كتاب العيون والحدائق في كراسات تونس، عدد 79-80، سنة 1972، ص90. النعمان: الافتتاح، ص312.

([4]) كتاب العيون والحدائق، ص91. النعمان: الافتتاح، ص312-317.

Mercier, Ermet : Histoire de l'Etablissement des arabes dans l'Afrique septentrionale. Pp 105-109. Garette, Recherches sur l'origine et les migrations de principes Tribus de l'Afrique, p 111.

فهو رئيس الحكومة، وزعيم الأمراء، والقائد الأعلى للجيش وله النفوذ الفعلي في تصريف أمور دولته، فله الولاية والعزل[1].

وقام المهدي يحد من نفوذ أبى عبد الله الشيعي وكف يده ويد أخيه أبى العباس عن الأمر والنهي ولهذا أراد أبو عبد الله الشيعي لكونه زعيم هذه الدعوة والواضع لقواعدها قبل ظهور شخصية المهدي[2] أن يسترد نفوذه الذي فقده مع أنصاره بظهور زعامة عبيد الله المهدي وفي هذا الشأن قال أبو العباس:

"والله لا تركنا بناء بنياه أتعبنا فيه أبدلننا وذهبت فيه أعمارنا يسكنه غيرنا ونحن من وراء أبوابه حتى نخل في أعاليه أو نلحقه بأسافله"[3].

([1]) عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص81.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص137. ابن الأبار: الحلة، ج7، ص194. ابن خلون، العبر، ج4، ص 37. الدرجيني: ج1، ورقة 43. الطرابلسي: المنهل العذب، ص96. ابن أبى دينار: المؤنس، ص 56. الناصري: الاستقصا، ج1، ص182. حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص96. العبادي: في تاريخ العباسي والفاطمي، ص 230-231. عبد العزيز سالم: المغرب، ص515. رابح بونار: تاريخ المغرب العربي، ص 166. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص 64.

Perkin (K) : Tunisia, p35. Janul, M.Abou Nasr : Histoire de la Tunisia pp 214-215. Dachraoui (F) : le califate Fatimid pp 129-130.

([3]) النعمان: الافتتاح، ص ط31.

ولكن لا يمكن الاستسلام إلى هذا الرأي كلية، لأن أبا عبد الله الشيعي كان يعمل لتشديد ملك وإقامة دولتنه وخلق خلافة، غير أنه لم يطمع في رياستها، فحين تم له ذلك سلمها لمولاه المهدي[1].

بعد أن أحضره من سجنه سجلماسة.

وهناك من الدراسات التي أرجت حادث مقتل أبى عبد الله الشيعي إلى حتمية الظروف، والتي تضاربت فيها سياسة المهدي الاستبدادية ومطامح الداعي السياسية مما عجل في ظهور الخلاف بين الشخصيتين[2]، كما أكد أنصار هذا الرأي على أن بقاء زعامتين لكل منهما سطوة – "خاصة" هي أزمة في حد ذاتها[3].

---

(1) طه شرفه وحسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص120.

(2) طه مشرفه وحسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص 265. العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي، ص230، سياسة الفاطميين، ص 199. أحمد سعيد: تاريخ الدول الإسلامية، ج1، ص132. صالح مصطفى برقة وطرابلس، ص115. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص64.

Mercier Ermet: Histoire de l'Etablissement, p 109.

(3) شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص75. إحسان حقي: تونس العربية، ص 58.

Levi- Provençal : op.cit, V2, pp 85-86.

وذهب المؤرخ الحديث "عبد الله العروي" عند معالجته للحادث أن أزمة الدولة الفاطمية في مقتل عبيد الله المهدي لداعيته أبى عبد الله الشيعي قد سبق وأن طرحت في عهد إرساء عرش بني العباس، والسبب يعود إلى تنوع الانتماءات الإيديولوجية لدى عناصر الدولة، بين حاكم متشدد وسياسي معتدل[1].

وذكر أحد المؤرخين المحدثين[2] أيضا خبر تخلص عبيد الله المهدي من أبى عبد الله الشيعي وأخيه أبى العباس، ولم يتحر فيما نقل بهذا الصدد، إذ قال أن المؤرخين القدامى على اختلاف نحلهم ومذاهبهم يتفقون كلية في ذكر أسباب حادث مقتل أبى عبد الله الشيعي وأخيه العباس وأنهم يعزون ذلك أن أبا عبد الله الشيعي أراد القيام بثورته حين عرفه أخوه أبى العباس أن المهدي ليس بإمام حقيقي، وإنما هو إمام مستودع، فخشى المهدي عاقبة هذه الإشاعة فبادر إلى التخلص منها، ومن ذهب مذهبهما[3]. ولهذا الرأي وجاهته، لأن أبا عبد الله الشيعي لم يعرف عبيد الله

([1]) Laroui : Op.cit VI, p120.

([2]) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص56.

([3]) حسن إبراهيم حسن: عبيد الله المهدي، ص120.

المهدي من قبل[1]، وإنما التقى به حين خلصه من السجن في سجلماسة[2]، أما أبو العباس فكان يعرفه جيدا[3]، إذ هو صاحبه في رحلته من بلاد المشرق حتى وصلا إلى طرابلس وهنالك افترقا[4].

غير أننا أمام حقائق تعكس هذه الرواية وتجعلنا نأخذها بحذر شديد وذلك أنه كيف يترك أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس ملكا جاهدا حياتهما في سبيل إقامته ويسلمانه بعد ذلك إلى يهودي الملة كما أشاعت بعض المصادر التاريخية عنه؟[5] كما أنه لو كان الشك في شخص الإمام عبيد الله المهدي عند أبى عبد الله الشيعي وأخيه أبى العباس لما سكتا على الأمر مدة تزيد عن سبعة شهور؟.

([1]) مجهول: الاستبصار ص 117. القرماني: كتاب أخبار الدول، ص189.

- Mamour : Polimics on the origin of the Farimi caliphs pp 115-116.

([2]) اليماني: سيرة جعفر، ص 123. النعمان: الافتتاح، ص276. ابن خلدون، العبر، ج3، ص364.

([3]) اصطحب المهدي في رحلته ابنه أبا القاسم وفيروز -داعي الدعاة- وطيب أبا العباس محمد بن زكرياء وأبا يعقوب القهرماني ومحمد بن عزيزة وجعفر الحاجب. أنظر اليماني: سيرة جعفر الحاجب، ص110.

([4]) المرجع نفسه: ورقة 116. النعمان: الافتتاح، ص162. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص129.

([5]) مجهول الاستبصار، ص167.

ولو صح ما ذهب إليه هؤلاء أن المهدي قد قتل وتم تعيين بديلا لكان أبو القاسم هو الأصلح لها إذ لا يجوز الامامة في شخص آخر في وجود الابن إذ هو ولى العهد[1].

والغريب أن هنالك أحد المؤرخين الإسماعيليين المحديثين ينكر حتى قتل المهدي لداعيته، ويرى أن موت أبى عبد الله كان حادثا طبيعيا[2]، ولسنا ندرى كيف توصل هذا الأخير إلى هذه الرواية، التي لم يردد ذكرها في كتب المؤرخين على اختلاف مذاهبها.

وهنالك من المؤرخين من لم يتطرق إلى ذكر أسباب الحادث وانفرد بقوله (وجرت لها معه وقعة هائلة في جمادي الأخيرة سنة 237هـ. فقتل الداعيان وأعيان جندهما، وصفا الحال لعبيد الله المهدي) [3].

([1]) راجع نظام ولاية العهد عند الفاطميين عند كل من النويختي: فرق الشيعة، ص 59. الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص8. محمد حسن الأعظمي: عبقرية الفاطميين، ص 63. حنا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ص149. الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص20.

([2]) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص169.

([3]) الحنبلي: شذرات الذهب: ج3، ص227.

وقد رأت بعض الدراسات الحديثة أن أبا العباس[1] لعب الدور الأساسي في تعجيل الصراع بين المهدي وأبى عبد الله الشيعي إذ كان يؤنب أخاه على تسليم الأمر للمهدي ويحثه على التمرد حتى قال له: "ملكت أمرا فجئت بمن أزاحك عنه"[2].

ولقد واصل أبو العباس أسلوب لوح أخيه عند تسليمه زمام الملك[3] إذ أنه عرف كيف يضرب على الوتر الحساس حين فقدا نفوذهما وجردا من الوظائف الحكومية[4].

([1]) هو أبو العباس محمد بن زكرياء أخو الداعية أبى عبد الله الشيعي وكان يلقب بالمخطوم أو المقطوم وذلك أن أنفه خطم، وهو في طريقه من مصر نحو بلاد إفريقية بصحبة المهدي وللمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية أنظر النعمان: الافتتاح ص 161-162-163-269. ابن الأثير: الكامل ج6، ص 129-133. المقريزي: الاتعاظ، ص27، ص83-88-89. سيرة جعفر الحاجب، ص 116-123. ابن خلدون، العبر، ج4، ص34-36. الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاء، ص258-262. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج 3، ص 135-146. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد ، ص19-21. ابن عذارى: البيان، ج1، ص152.

([2]) وقد وردت هذه العبارة عند كل من النعمان: الافتتاح، ص 307 والنووي: نهاية الأرب، ج 26 ورقة 34، على النحو التالي: قال أبو العباس لأخيه أبى عبد الله "ملكت أمرا وانطاع لك، فجئت بمن أزالك عنه فأخرك منه وتنقصك واضطهدك، وكان أقل أن يهتضمك من الذل".

([3]) ابن الكثير: بداية ونهاية، ج9، ص116.

([4]) لقد أورد أبو زكرياء نصا عن ولاية أبى عبد الله في بلاد كتامة في عهد الخلافة الفاطمية ولم يحدد مقر هذه الولاية بالتدقيق، وقد رأى هذا الأخير أن احتدام الخلاف بين المهدي وداعيته أبى عبد الله تصاعد حين عظم شأن أبى عبد الله في ولايته مما تعاظم الخوف عند المهدي فعجل بقتله قبل أن يستحوذ على ملكه، غير أن هذه الرواية تظل ضعيفة لأن المصادر الأخرى لم تشر

ولقد تأثر أبو عبد الله من حديث أخيه أبي العباس إلى أن خرج يوما فواجه المهدي، وخاطبه ناصحا إياه أن يحجب عن الرعية ويوليه مهام مباشرة قيادة الأمور العامة، ويكون ذلك أهيب له، وأشد لأمره[1] ومن هنا تأكد المهدي من صحة ما علمه عن المؤامرة التي تحاك ضده[2].

غير أنه لم يعلم أحدا ما هو عليه محققه[3].

إلى الوظائف التي استلمها أبو عبد الله في عهد المهدي اللهم قيادة الجيوش عند خروجه إلى المغرب. كتاب سير الأئمة، ص173.

(1) جرى الحديث بين المهدي وأبى عبد الله حول التغيير الذي طرأ على قبيلة كتامة مع حلول خلافة المهدي ولو يرضى ذلك أبى عبد الله فتوجه قائلا للمهدي: "يا مولانا أن كتامة قوم قد قومتهم... وأجريتهم على ترتيب وتعليم، وتم لي منهم بذلك ما أردت، وبلغت بذلك منهم ما قصدن، وهذا الذي فعلته أنت بهم من أعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلى فساد لهم للخروج عن عادتهم فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشرهم دونك. ولتكون وادعا في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم. فيكون ذلك أهيب لك، وأش لأمرك. النعمان: الافتتاح، ص308. الحبيب الجناحي: السياسة المالية للدولة الفاطمية، ص52-53.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النعمان: الافتتاح، ص8-3. النويري: نهاية الأرب، ج26 ورقة 34

(3)ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النعمان: الافتتاح، ص309. ابن عذارى: البيان، ج1، ص162.

وقيل أن المهدي لم يعجل في كشف المؤامرة حتى يأمن جانب قبيلة كتامة[1] والغالب على الظن أنه كان يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على عناصر المعارضة لحكمه.

ولم ينفك أبو عبد الله وأخوه أبو العباس يتنقدان أعمال وتصرفات المهدي ويشككان في أمره[2] حتى سارت جماعة من زعماء كتامة إلى المهدي وطلبت منه أن يثبت لهم مهداويته[3]. فتعاظم غضب المهدي فقتل العديد منهم[4].

وقصارى القول، أن أبا العباس لم يكن بالشخصية الهينة بل لقد كان بيديه زمام أمور الدولة الفتية[5]، فكان هو الآمر والناهي عندما تولى نيابة أجهزة الحكومة الفاطمية[6]، حين غادر أخوه

---

(1) عادلة على: قيام الدولة الفاطمية، ص230-231.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النزيري: نهاية الأرب، ج26 ورقة 34. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص93-94.

(3) فقال أحد زعماء كتامة للمهدي: "أنا قد شككت في أمرك فائتنا بآية" إن كنت المهدي كما قلت". النعمان: الافتتاح، ص310.

(4) مجهول : الاستبصار، ص 204-205.

(5) لقد استخلف أبو عبد الله أخاه أبا العباس على إفريقية وذهب لتخليص مولاه المهدي من بنى مدرار. النعمان: الافتتاح، ص 275. ابن الأثير الكامل، ج6، ص133. المقريزي: الاتعاظ، ص 89. سيرة جعفر الحاجب، ص123. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 27. ابن عذارى: البيان، ج1، ص152. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج 5، ص19-20.

(6) النعمان: الافتتاح، ص 307.

عبد الله الشيعي عاصمة رقادة نحو بلاد بني مدرار لتخليص المهدي من سجنه.

ولما أمسك المهدي بمختلف الأمور واستبد في مباشرتها[1]، فكان الفطام صعبا على أبي العباس وأخيه اللذين لعبا دورا هاما في توطيد الحكم الفاطمي وتمكين الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب[2]، فلم يقبلا على نفسهما الخضوع إلى سطوة المهدي. وأخذ صف المعارضة يقوى يوما بعد آخر، واتخذت دار أبى زاكي تمام بن معارك[3] مقاما يتردد فيه أتباع أبى عبد الله الشيعي، إذ

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. الدرجيني: الطبقات الاباضية، ج1، ورقة 34. ابن الأبار، ج1، ص194. الناصري: الاستقصا، ج 1، ص182.

Garette : Recherches, p 111.

(2) النعمان: الافتتاح، ص 306-307. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. ابن الوردي: ج1، ص349. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. المقريزي: الخطط، ج1، ص350-351. ابن الكثير: البداية والنهاية، ج1، ص 180. صالح مصطفى: برقة وطرابلس، ص115.

Janul, Abun-Nasr : A History of Maghrib, p81.

(3) ينتمي أبو زاكي إلى قبيلة أجانة وهي فرع من كتامة، وعرفت بوزنها الاجتماعي والاقتصادي بين قبائل البربر وقد تم لقاء أبا زاكي بأبى عبد الله الشيعي حين عرج هذا الأخير إلى ديار كتامة أول مرة، ولما اشتد صيت أبا عبد الله الشيعي في المغرب قرب إليه أبا زاكي لما كان يتصف به من مكارم أخلاق عالية وشجاعة في تحمل المسؤولية. النعمان: الافتتاح، ص 50، ص312-313-314. ابن خلدون: العبر، ج4، ص33-37. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص95. ابن عذارى: البيان، ج1، ص125.

عقدوا العزم وأجمعوا الرأي على الفتك بالمهدي[1]. واعترف "النعمان" أن اجتمعت كتامة إلى أبى عبد الله إلا القليل منهم وقفوا إلى جانب المهدي مما دفع إلى دعم صفوفه بجماعة من العبيد وجعل عليهم عروبة بن يوسف الذي كان ينقل أخبار المؤامرة إلى المهدي[2].

وقد استطاع عبيد الله المهدي بفضل دهائه السياسي أن يفرق أنصار المعارضة ويضعفها[3]، إذ بعث أبا زاكي تمام بن معارك على رأس جيش إلى طرابلس لنجدة واليه عليها، وذلك لثورة قامت هناك تقودها جميع قبائل الخوارج الاباضية[4]. واستطاع أبو زاكي أن يعيد الاستقرار والأمن إلى المنطقة وأن يفرق شمل الثوار من قبائل زناتة[5].

وظهر أسلوبه في التخلص من أبى زاكي واضحا إذ هو أراد أن يجعل منه أداة لصد حركات التمرد ضد حكمه وفي نفس الوقت

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133-134. النعمان: الافتتاح، ص312. الطرابلسي: المنهل، ص 97. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. إحسان عبا: تاريخ ليبيا، ص80.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النعمان: الافتتاح، ص312.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: عبد الله المهدي، ص190. عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية، ص234.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص163. إحسان عباس: تاريخ ليبيا، ص80.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص18. ابن عذاري: البيان، ج1، ص163-164.

يبعده عن دائرة أبى عبد الله المعارضة وبخاصة أنه كان يعلم بكل ما يحاك ضده، فنجده حين يعلم بانتصار أبى زاكي في مهمته العسكرية يأمر وإليه ماقنون بن ضبارة بقتله، وذلك في يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة لسنة 298هـ/30 يوليو 911م[1].

وإن كانت المؤامرة لم تحقق غرضها في اغتيال عبيد الله المهدي والتخلص من حكمه الاستبدادي، فذلك لا ينفي وقوعها وبخاصة وقد أجمع المؤرخون على أقدام أبى عبد الله الشيعي وأخيه أبى العباس وبعض زعماء قبيلة كتامة على محاولة القيام بحركة مضادة للحكم الفاطمي في عهده الأول، وإن اختلفت الروايات في ذكر دوافعها وأسبابها.

والملاحظ في حادث الصراع بين المهدي وعناصر المعارضة، أن جل المؤرخين لم يذكروا ثمة واقعة عسكرية قد جرت بينهم، غير أن البعض زعم أن المهدي قتل داعيته في سنة 308هـ/922م بعدما جرت بينهما واقعة عظيمة[2]، ومثل هذه الرواية بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية لا من حيث زمن وقوع الحادث ولا من حيث كيفيتها.

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحات، النعمان: الافتتاح، ص315. Dachraoui : op.cit, p131.

(2) الذهبي: كتاب دول الإسلام، ج1، ص33.

وخلاصة القول أن المهدي كانت ضربته أسرع وأمضى في التخلص من خصومه وبطريقة تدل على دهاء شديد إذ استدعى أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبى العباس إلى مأدبته غذاء على عادته معهما في قصره بعد أن جهز لهما كمينا في بستان قصره وأمر عروبة بن يوسف الملوسي وحبر بن ناسب الميلي بقتلهما[1]، غير أن اختلافا وقع بين المؤرخين في ذكر قاتل أبى عبد الله، فصاحب "صلة تاريخ الطبري"[2]، يذكر أن قاتله يدعى ابن أبى خنزير بينما صاحب "البيان" يذكر أنه عروبة بن يوسف[3]، فحين هم هذا الأخير بقتل أبى عبد الله قال له أبا عبد الله: "لا تفعل يا ولدي"، فقال له عروبة: "أمرنا بقتلك من أمرت الناس بطاعته وانخلعت له من الملك"[4]، وقد بقيا صريعين في مكانهما إلى وقت العصر ودفنا ببستان القصر، حيث قتلا[5].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص 122-124-129. ابن عذارى: البيان، ج1، ص151. قارن برواية أبو زكرياء: سير الأئمة ص 173-174.

([2]) ابن سعد: ص27.

([3]) ابن عذارى: ج1، ص164. وقد ذهب مذهبه ابن حماد: أخبار ملوك، ص23.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. ابن عذارى: البيان، ج1، ص164.

([5]) قارن بين النصوص التاريخية الآتية حول تحديد اليوم والشهر الذي قتل فيهما أبو عبد الله وأبو العباس. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص22. مجهول: كتاب العيون، ص91. ابن عذارى: البيان، ج1، ص164. النعمان: الافتتاح، ص316. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص351. الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص227.

وبعد دفنها قام المهدي ليخفف من فضاعة الحادث وقال: "رحمك الله أبا عبد الله، وجازك في الأخيرة بقديم سعيك، ولا رحمك الله أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك[1].

"ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون"[2].

وكتب المهدي إلى شيعته في المشرق يخبرهم بالحادث ويبرر قتله لداعيته أبي عبد الله وأخيبه أبي العباس، وذكر أنه طهرهما لما استنزلهما الشيطان عن الإسلام وعن مبادئ المذهب الإسماعيلي[3].

ونتيجة لتدهور الوضع بعد مقتل الداعي أبي عبد الله وأخيه أبي العباس احتجب المهدي عن مقابلة الرعية عدة من الأيام إلى أن أمر الدعاة بالكف عن طلب التشيع[4] خوفا من زيادة الغضب

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. النعمان: الافتتاح، ص316. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص22-23. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37.

([2]) سورة الزخرف، الآية 36-37.

([3]) ابن ضياف: أهل الزمان، ج1، ص122-123. ابن عذارى: البيان، ج1، ص164.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص19. ابن عذارى: البيان، ج1، ص165. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص96 ابن خلدون: العبر، ج4، ص37.

والنقمة[1]، بعد أن اتخذ إجراءات صارمة عند تثبيت ولاته على الولايات الهامة فجعل على المغرب الأدنى حباسة بن يوسف ومقره برقة، كما جعل على المغرب الأوسط والأقصى أخاه عروبة بن يوسف ومقره مدينة تيهرت[2].

وكيفما كانت أسباب محاولة أبى عبد الله الشيعي القيام بالثورة والانقلاب فإن عبيد الله المهدي – بصفته إماما فاطميا– كان بوسعه أن يعمد إلى معالجة الوضع بأسلوب أقل عنفا وقساوة خصوصا مع من كانوا الطلائع الأولى للدولة التي تبرأ عرشها وأوجدوها من العدم، رغم كثرة الأعداء وتنوعهم، وقد أنقذوه هو نفسه من قبضة بني مدرار، ولكنه تجاهل الاعتبارات وعصف بمن أنقذوا حياته وجاءوا به إلى الحكم بعدما هيأوه له ووفروا له كل شروطه. وبإقدامه على هذا العمل يعتبر أول من سعى في خراب الدعوة الإسماعيلية بالمغرب وجلب السخط عليها، وهي لا تزال في عنفوان انتشارها. إذ جلب على نفسه نقمة أتباع أبى عبد الله الشيعي الذي قاموا برد فعل عنيف وشقوا عصا الطاعة، وأعلنوا الثورات في القيروان وطرابلس[3].

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص85.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص37.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص167.

لقد قام المهدي بحملة تطهيرية داخل جهازه الإداري فنكل ببعض الشخصيات التي كان يرى في وجودها خطرا عليه، حين علم بمواقفها منه وميلها ناحية أبى عبد الله الشيعي في محاولة الثورة ضده[1].

وكان في مقدمة هؤلاء صاحب البريد عبد الله محمد المعروف بابن القديم وقد استقطب الأنصار إلى صف المعارضة وذلك باستمالتهم بالأموال، فقد قيل أنه أخذها من تركات زيادة الله[2] فهم بالهرب حين علم بنية المهدي في التخلص منه غير أنه وقع في قبضته وقتل على الفور[3].

ومن جملة من اتهموا أيضا بالميل إلى أبى عبد الله الشيعي وتخلص المهدي منهم، محمد بن أبى سعيد الميلي، صاحب السوق ومحمد بن أبى رجلا الباغائي، وأبو الذهب بن عمرو بن وزارة العبدي[4] وجماعة من بنى الأغلب وقوادهم الذين استغلوا توتر

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134-135. النعمان: الافتتاح، ص315.

(2) المرجع نفسه، نفس السنة. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص34.

(3) المرجع نفسه: ج 6، ص135. النعمان: الافتتاح، ص316.

(4) لم تحدد المصادر التاريخية خاصة هؤلاء العناصر، والغالب على الظن أنهم لعبوا دورا في الجهاز الإداري الفاطمي في عهد المهدي. ابن عذارى: البيان، ص 167. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص65.

أحوال الدولة سياسيا لإحياء مجدهم السابق إذ حاصروا القصر القديم برقادة وأخرجوا منه الكتاميين، وجرى بين الطائفتين قتال شديد، فخرج المهدي إليهم وأوقع بهم الهزيمة، فسجن عددا لا يحصى، كما قتل منهم جماعة وعلقت رؤوسهم على أبواب رقادة[1].

ونخلص في هذا المقام، أن مقتل أبي عبد الله الشيعي كان دافعا لعناصر مختلفة الأهواء ومتحدة الغايات في النيل من المهدي.

وكما تولى حركة المقاومة ولاة وقواد من بلاد المغرب الأوسط ضد الفاطميين أخوان من أنصار الدولة وهما عروبة وحباسة من قبيلة ملوسة[2].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص320-321. ابن عذارى: البيان، ج1، ص167. ابن خلدون: العبر ج4، ص37 النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 34.

([2]) وتأتي أحيانا ملوزة (بالزاي) وبهذه الصورة ينطق بها الآن في المغرب الأوسط أما في غير هذا المكان، فقد أشار بعض الجغرافيين إليها باسم ملوثة (بالثاء). البكري: المغرب، ص108، وهي إحدى فروع قبيلة كتامة كما يمتاز أهل هذه القبيلة بالميل إلى الخلاف، ولا يؤدون حياتهم إلا بالقوة ونزعتهم الحربية قوية. راجع ابن خلدون: العبر، ج6، ص302. الإدريسي: وصف إفريقية، ص69. كما نبغ من هذه القبيلة رجال كانوا ذخرا لأبي عبد الله الشيعي وللدعوة الإسماعيلية، وللدولة الفاطمية بعد قيامها في أرض المغرب. أنظر ابن الأنبيري: علاج السفينة في بحر قسنطينة في مقال لأبي القاسم سعد الله مجلة، كلية الآداب: العدد 2، سنة 1980. ص3-8.

ويعتبر عروبة من بيت رجال الداعي وأركان مدرسته الهامة الذين اتصلوا به منذ أن كان في قلعة ايكجان. وقد أشار إليه "ابن خلدون" ضمن الطبقة الأولى من مشاهير قادة البربر بفروعهم المختلفة، ووصفه بأنه القائم بدعوة عبيد الله الشيعي، ووالي بلاد المغرب من طرفه[1].

وقد ظهر بأسه وإخلاصه للحركة الإسماعيلية منذ أن واجهت بحركات عدائية في تازروت، وكان ممن قاتل بشجاعة حتى أصيب بجرح بالغ[2].

ويبدو أن تنفيذ "عروبة" الأوامر المهدي لم يخل من أثر في نفسه إذ هي جريمة أخلاقية لا بد أن تكون قد أثقلت ضميه بالنظر لمركزه الخطير عند أبى عبد الله الشيعي، ولا بد أن يكون قد تنبه فيما بعد إلى أنه وأن استخدمه المهدي أداة ضد خصمه في ظروف دقيقة قد إذا في وضع محرج، بخاصة والمهدي قد أحاط بالحذر كل من ارتبطوا بأبي عبد الله الشيعي، من قريب أو من بعيد، ولم يكن خافيا على المهدي أن عروبة من أخص رجال أبى عبد الله الشيعي، وأنه عندما تخلى عن ولي نعمته الأسبق وخانه لن يتردد

([1]) العبر، ج6، ص307. مجهول : مفاخر البربر، ص50-51.

([2]) النعمان: الافتتاح، ج1، ص 116.

إطلاقا في ظروف مشابهة في ارتكاب مزيد من الخيانات ضد من لم تربطهم به غير رابطة المصلحة.

وكان أيضا لحباسة الفضل الأكبر في تمهيد وتوطيد الخطوط الشرقية نحو بلاد المشرق من أجل تمكين نفوذ الفاطميين فيه إذ كان المهدي قد انتدب حباسة لمهمات كبرى في برقة ومصر واعتمد على أخيه عروبة في مواجهة بعض الأزمات في تيهرت والجزء الغربي من الدولة الفاطمية، ولم يكنا مستقلا بالتدبير، فضلا عن أن ذلك كانت تحتمه الظروف لصد بعض الأخطار.

ويبدو أن الأخوين "حباسة وعروبة" كانا يبيتان أمرا خطيرا ضد النظام الفاطمي، فعروبة ربما بدا له سوء تدبيره وخطل رأيه وأثرت عليه حركة الانتقام من عصبيته الكتامية وسوء معاملتهم من طرف المهدي وابنه أبى القاسم، كما ظهر لأخيه حباسة في ميداني برقة ومصر، أنه أصبح محل شبهة وأن الشك استحكم في نفس المهدي، انتقل منه إلى ابنه وحجته ولى عهد المسلمين وإلا فما سر هذه الدعوة المفاجئة لحباسة، بأن يترك مركز قيادته في الإسكندرية، بعد أن أشرف على النصر.

ويذكر المؤرخون أن ظهرت دلائل التقلب في موقف كل من "حباسة وعروبة" في سنة 301هـ/913م، حين خرج "حباسة"

على رأس الجيوش الفاطمية لفتح مصر[1] فعرض "حباسة" نحو سرت[2] وامتلكها ثم سار نحو اجدابية[3] ودخلها بالأمان وقد أشادت بعض النصوص إلى ما نجم عن استيلائه على هاتين المدينتين من فرار بقايا بني الأغلب وجند بنى العباس[4].

وهكذا دخلت كل من سرت واجادبية وما حولها دائرة النفوذ الفاطمي بعد أن كانتا مناطق نفوذ عباسية، وعلى صلة وثيقة بمصر بينما كانت تولى إفريقية ظهرها.

([1]) الداعي إدريس: عيون أخبار، ج5، ص31. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38. ابن عذارى: البيان، ج1، ص170.

([2]) وهي مدينة ساحلية، وبها أسواق ولها ثلاثة أبواب مطلة على البحر "ومن سرت إلى طرابلس عشر مراحل ومن سرت إلى اجدابية ست مراحل. البكري: المسالك، ص6. مجهول: الاستبصار، ص109. ابن عذارى: البيان، ج1، ص170.

([3]) وهي مدينة صحراوية فتحها عمرو بن العاص مع برقة صلحا وبها جامع حسن البناء، بناه أبو القاسم الفاطمي، وبها حمامات وفنادق كثيرة. ومن اجدابية إلى برقة ست مراحل. كانت تتوسط برقة وطرابلس. أنظر البكري: المغرب، ص5-6. ياقوت: البلدان، ج1، ص121. مجهول: الاستبصار، ص109. ابن عذارى: البيان، ج1، ص170. الحميري: روض المعطار، ص11-12.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص170. النعمان: الافتتاح، ص325.

واستمر حباسة في فتوحاته حتى دخل مدينة برقة بالأمان[1] بعد أن فر منها عاملها[2]. غير أنه ارتكب مناكر شنيعة في حق أهل المدينة بحجة أنهم على صلة بولاتهم في مصر[3].

كما شمل تنكيله طوائف كثيرة من الأهالي لا سيما الأغنياء منهم، الذين استصفى أموالهم وقتل كثيرا منهم ولم ينصرف عن برقة إلا بعد أن واجه مقاومة عنيفة من جهة حدود مصر، وقد دلت بعض النصوص على أن المهدي سحب حباسة من المنطقة ترفقا بالسكان الذين اشتكوا إليه مما حل بهم من بطش وتعذيب ومصادرة في الأموال[4]. وبادر المهدي بإرسال حملة كبيرة يقودها ولي عهده أبى القاسم[5]، وبلغ عدد سفن هذه الحملة مائتي قطعة[6].

---

(1) المرجع نفسه، ص 326. ابن عذارى: البيان، ج1، ص170. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص31.

(2) أبو النمر أحمد بن صالح حيث ولاه منصور تكين (والي مصر) برقة. أنظر: الكندي: كتاب الولاة والقضاة، ص 286. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص31.

(3) ابن عذارى: البيان، ج1، ص180.

(4) المصدر السابق، ص171. الزاوي: المرجع السابق، ص185-186.

(5) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص32. ابن عذارى: البيان، ج1، ص171. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38.

(6) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وكتب أبو القاسم إلى حباسة أن لا يبرح مدينة برقة حتى يأتيه، ولكن حباسة ما فتئ أن تمرد على أبى القاسم، ورأى أن يتقدم ويكون فتح مصر له وباسمه[1].

وتمكن حباسة من دخول الإسكندرية وإخضاعها للنفوذ الفاطمي[2].

وواصل "حباسة" التوغل في الأراضي المصرية حتى انهزم في وقعة جرت بينه وبين أهل مصر، وتشتت شمله[3].

فأرسل أبو القاسم يأمره بالعودة[4]، وكلف أبو فريدن ليستخلفه ليستخلفه على الإسكندرية، ويلتحق بمقر أبى القاسم في الفيوم، فأغضب هذا التصرف "حباسة" واعتبره إهانة في حقه[5].

([1]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص32.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص23.

([3]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص35.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص23. النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 14-16.

([5]) قال حباسة عند ذلك: "لما أشرفت على أخذ البلد، يفوز أبو فريدن بخيره وذكره". النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة، 14-16. ابن عذارى: البيان، ج1، ص172.

وأدرك "حباسة" لنوايا أبى القاسم في التخلص منه وإهانته، والغالب على الظن هي التي دفعته إلى العصيان والفرار مع بني عمه، الملوزيين إلى بلاد المغرب للتنسيق مع "عروبة" وبقية الأنصار ولإعلان الثورة ضد الخلافة الفاطمية.

غير أن أبا القاسم لم يفور له ذلك إذ أمر رجاله بالقبض عليه في برقة وحمل إلى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي فأودعه السجن، في رقادة[1].

فقضى على أمله في التنسيق كما أحبطت مساعي أخيه وعصبيته الذين أشعلوا ثورة شديدة ضد المهدي في القيروان وسقط الجميع قتلى على يد غالب مولى المهدي[2].

ويلاحظ، أن النصوص التاريخية تختلف حول مكان "عروبة" عندما أعلن الثورة، وحول ظروف قتل أخيه "حباسة" في رقادة "فابن الأثير" و"المقريزي"[3]، يتفقان على وجود "عروبة" في القيروان التي أشعل فيها الثورة انتقاما لقتل أخيه بعد وصوله من مصر دون أن يشيرا إلى حادث هروبه من قبضة أبى القاسم

([1]) المرجع السابق، نفس الصفحة.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص172.

([3]) الكامل: ج8، ص19. الاتعاظ، ج1، ص68.

ويتفق "ابن خلدون"[1] معهما في القول بأن حباسة قتل أثر رجوعه منهزما، لكن ثورة أخيه الانتقامية ظهرت في بلاد المغرب وهي التي تغلب عليها وأحبطها غالب، وينفرد "ابن عذارى"[2] برواية أن "عروبة" الذي كان على اتصال بأخيه مكاتبة، كان في تيهرت، وفارقها بماله، عند سماع خبر فرار أخيه، حيث قتل في أوراس، وبيدو أنه كان في طريقه إلى بلده، أو إلى بلده، أو إلى مكان ما في إفريقية للتدبير لنجدة أخيه وللضغط على المهدي. ووجوده في تيهرت في هذه الفترة في البلاط الفاطمي كما غدت مدينة المسيلة معقلا لهم وهي تبعد عن المهدية عاصمة الخلافة الفاطمية بستة عشرة مرحلة وعن القيروان بأربع عشرة مرحلة ومن هنا نلاحظ مدى البعد الشاسع بينها وبين كل من المهدية والقيروان، ولذا عمد الفاطميون إلى بنائها لتكون بمثابة قلعة لانطلاق جيوشهم منها لإخماد حركات الثائرين وبذلك فهم يوفرون على أنفسهم في المستقبل عناء تجهيز الجيوش من المهدية

([1]) العبر: ج4، ص38.

([2]) البيان: ج1، ص172.

وإرسالها لإخماد حركات التمرد والوقوف في وجه خصومهم الزناتيين بصفة خاصة[1].

ومن جهة أخرى، فإن هذه المدينة تبعد عن طبنة عاصمة الزاب القديمة بمرحلتين وعن تيهرت بخمس مراحل وعلى هذا فهي أقرب إلى تيهرت من طبنة، حيث يمكن أن تستعمل كقاعدة لمراقبة تحركات الخوارج الاباضية وصد تيار زناتة —كما ذكرنا— وكبح جماحها، ورد خطرها عن الجهات الشرقية أيضا، فضلا عن أن مكان بنائها والمناطق المحيطة بها من مواطن الزناتيين الذين عرفوا بعدائهم للفاطميين من بنى برزال وزنداج وهوارة وصدراتة ومزاتة[2].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. الاصطخري: المسالك والممالك، ص33. ابن حوقل: صورة الأرض، ص73-85-69. ياقوت الحموى: البلدان، ج5، ص229.

(2) لقد وقع اختلاف بين المؤرخين في تحديد تاريخ إنشاء مدينة المسيلة فهناك من ذكر أن الشروع في إنشائها كان سنة 313هـ/967م، ومن قال بهذا الرأي لم يذكر المناسبة التي أنشئت فيها ولكن ذهب البعض الآخر إلى القول أن تاريخ إنشائها يعود إلى سنة 315هـ/929م وذلك حينما توجه أبو القاسم على رأس حملة عسكرية لإخماد ثورات بالمغرب الأقصى وأثناء رجوعه أمر بإنشائها، إذ خط برمحه في الأرض صفة بنائها، وهو يمتطي فرسه وسماها المحمدية نسبة إليه، وجعل لها بابين سمى أحدهما باب القاسمية وسمى الآخر باب الأمور، وكما هو واضح فإن هذا الرأي الأخير أرجح لأنه رأى جمهور المؤرخين كما ذكرنا، ولأنه تضمن ذكر المناسبة التي أنشئت فيها المسيلة وذكر ابن عذارى وهو أحد القائلين بأنها أنشئت سنة 313هـ أن القائم بأمر الله توجه على رأس حملة عسكرية سنة 315هـ/ لإخماد ثورة المغرب. راجع الإدريسي:

وإن إطلاق اسم المحمدية على المسيلة، واسم القاسمية على أحد بابيها يدل على أن أبا القاسم عمل هو الآخر على تخليد اسمه وعبيد الله المهدي الخليفة الأول ما يزال حيا[1].

وبإمكاننا أن نعتبر هذا نوعا من المنافسة، خاصة وأنه أمر بنائها بدون علم عبيد الله المهدي على ما ذهب إليه جمهور الباحثين. كما ذكرنا[2].

ولما تولى الخلافة كان يأمل أن يبني عاصمة جديدة بدلا من المهدية تحمل اسمه ولكن كثرة المشاكل الداخلية والخارجية واضطرام نار الثورات وفي مقدمتها ثورة أبي يزيد مخلد لم تترك مجالا لإنجاز هذا المشروع كما عمل فيما بعد كل من المنصور والمعز لدين الله على إنجاز منشآت عمرانية، وأطلقا اسميهما عليها[3].

وصف إفريقية، ص59. البكري: المغرب، ص59-76. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص190. ابن عذارى: البيان، ج1، ص190-215. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص24. ابن أبي دينار: المؤنس، ص57. المقريزي: الاتعاظ، ص72.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص190. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص24.

(2) ابن عذارى: البيان، ج1، ص191.

(3) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 24.

وإذا ما اختلفت الأراء بين الباحثين في تاريخ إنشاء المسيلة فإنها اتفقت على أن الذي تولى بنائها هو على بن حمدون[1] والذي خرج مع أبى القاسم في حملته العسكرية المذكورة إلى المغرب وخلالها جرب إمكانياته وذكائه فوجده خادما مطيعا وأهلا لتحمل المسؤولية فكلفه ببنائها ولما انتهى بناءها سنة 317هـ/931م جعله واليا عليها فبقى وفيا مخلصا للفاطميين وسيفا في وجه خصومهم إلى أن هلك في ثورة أبى زيد مخلد في سنة 334هـ/945م فتولاها بعده ابنه جعفر وبقي واليا[2] إلى حين فسدت العلاقة بينه وبين المعز.

ولعل من أسباب تقلب جعفر بن علي في ولائه للفاطميين هو استفحل قوة ونفوذ قبيلة صنهاجة حيث يذكر "ابن حيان"[3]

([1]) البكري: المغــرب، ص59. ابن الأثيــر: الكامل، ج6، ص190. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص24. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص72. ابن حيان: المقتبس، ص34.

([2]) ابن حيان: المقتبس، ص35. ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج3، ص66. ابن خلدون: العبر، د4، ص39. عبد العزيز الفيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ص133.

([3]) المقتبس، ص37. وكذلك أشار النويري إلى بلاد صنهاجة، نهاية الأرب، ج22، ورقة 136.

أن هذه القبيلة كثيرا ما كانت تتعدى حدود إقليم الزاب[1].

وأصبحت أشير[2] العاصمة من أعزم المدن في بلاد المغرب الأوسط إذ اتسعت خطتها وعمرانها وقصدها العلماء والأدباء والتجار من مختلف النواحي، ولما انتصر الفاطميون على ثورة الاباضية النكار عقد الخليفة المنصور لزيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة على تيهرت وأعماله[3]، لما بذله من مواقف طيبة لصالح السلطان الفاطمي فزادت مكانته، وباستقرار في مدينة أشير حد من نشاط قبائل زناتة، كما أظهر زيري بن مناد خدمات للفاطميين جعلت الخليفة المعز لدين الله يبالغ في منع ثقته لصنهاجة[4].

وقد كان لهذا العز والرياسة أثر عميق عند جعفر بن علي إذ شعر بالخطورة وتزعزع مكانته أمام قوة اندفاع هذه القبيلة برياسة زيري بن مناد. كما كان لتلك الانتصارات التي أحرزتها في

---

(1) الزاب هو القسم الجنوبي من ولاية قسنطينة ويشمل الجزء الأكبر من جنوب جبال الأوراس وأهم قواعده بسكرة طبنة والمسيلة. التعريف بابن خلدون، ص116، حاشية 2. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص196.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص47. رشيد بوروييبة: أشير عاصمة بني زيري، مجلة الأصالة، عدد 12، ص114-115. د.م.أ مجلد 7. مقال أشير، ص234.

(3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص45.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص47.

حروبها ضد زناتة أثرها الطيب عند الخليفة المعز[1]، غير أن ذلك حز في نفس جعفر، فزاده ذلك بغضا وحنقا على أمير صنهاجة[2] وبخاصة حين علا في رتبته ومكانته فعظم سلطانه[3].

وقد كانت محاباة المعز لدين الله لزيري بن مناد الصنهاجي أثرها في بروز الضغائن بينه وبين جعفر.

ولقد أشيع عن المعز لدين الله أنه عقد ولاية إفريقية لجعفر وبلاد المغرب كله لزيري بن مناد[4]، فعظم الأمر على جعفر[5] إذ كان يطمح أن يستخلفه المعز على المغرب فاستطال عليه زيري مما جعل يكيد له ويتوطأ مع زناتة للوقوف في وجهه، إذ أخذ يطلعهم على أسرار الدولة الفاطمية نكاية بزيري[6]، وأثناء محاربة الأخير الأخير لزناتة وتمكنه من قتل محمد بن الخير الزناتي عثر على

([1]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص74. ابن خلدون: العبر، ج6، ص154.

([2]) محمد اليعلاوي: ابن هانئ، ص87.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص154.

([4]) ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج3، ص67. النويري: نهاية الأرب، ج22، ورقة 48. ابن أبي دينار: المؤنس، ص74.

([5]) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص67.

([6]) لقد أورد عبد الرحمن الجيلالي نصا فيه خلط إذ ذكر أنه أشيع عن المعز أنه عقد بلاد المغرب كلها لبلكين بن زيري والأرجح لأبيه زيري لأن الخلاف كان بين زيري وجعفر وليس مع بلكين. تاريخ الجزائر العام، ج2، ص239.

مكاتبات لجعفر بن علي ومحمد بن الخير. كما كان يهاديه، ومن جملة هداياه أن فرنسا من عتاق الخيل وهبها المعز له ووجدها زيري بن مناد عند محمد بن الخير أهداها له جعفر بن علي، فأخبر زيري بذلك المعز لدين الله الفاطمي فتهدد جعفر بالقتل وبعث إليه يستقدمه إلى المنصورية فخاف على نفسه وأيقن الموت، فخرج من المسلة على التو مع أخوته وجميع أفراد عائلته[1]، وكل ما كان يكتنزه من أموال سنة 360هـ/971م والتجأ إلى زناتة –كما ذكرنا–[2]، وعاد معهم لقتال زيري بن مناد، فالتقى الجمعان واشتد القتال ودارت الدائرة على زيري وأتباعه في مكان معه[3] فانتهزت قبائل زناتة الحدث فاستولت على معدات الخصم وبادر جعفر بإرسال رأس زيري إلى خليفة قرطبة الحكم المستنصر الأموي[4] وبعد ذلك قام بلكين على رأس حملة ضخمة، وسار نحو بلاد المغرب الأوسط وجرت بينه وبين قبائل زناتة من هوارة ونفزة[5] معارك عنيفة وعديدة إذ أبلى بلكين فيها بلاء حسنا وكان

---

(1) ابن حيان: المقتبس، ص35.

(2) المرجع نفسه، ص32-36. ابن أبي دينار: المؤنس، ص74. مجهول: نبذ تاريخية، ص7.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن عذارى: البيان، ج2، ص242.

(4) ابن حيان: المقتبس، ص36-37.

(5) مجهول: نبذ تاريخية، ص7-8.

وكان النصر حليفه في كل مرة[1]، فاستولى على تيهرت والمسيلة وطبنة وباغاية وبسكرة[2] وبجاية ومدن عدة. ومن شدة غله وطلبه الانتقام لأبيه وقبيلته جعل يقول: "لا أمان عندي لبربري ركب فرسا أو نتج خيلا أبدا حيثما سلك من البلاد"[3].

فخشيت زناتة صولته فولت الأدبار[4]، وعزمت على الغذر بجعفر وإلقاء القبض عليه وتقديمه إلى بلكين لتتخلص من انتقام الصنهاجين. ولما علم جعفر بذلك التحق بالحكم المستنصر في الأندلس ونحا من المكيدة، واستقبله وأسند إليه الوظائف السنية وبقي محترما مكرما إلى أيام الوزير ابن أبى عامر الذي قتله سنة 367هـ/977م.

وبعث برأسه إلى بلكين[5].

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحات. ابن خلدون: العبر، ج7، ص27.

([2]) بسكرة بكسر الباء وهي مدينة تقع في نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتين: ياقوت، ج3، ص265.

([3]) مجهول: نبذ تاريخية، ص8. ابن أبي دينار: المؤنس، ص75.

([4]) نبذ تاريدية، ص 8. ابن خلدون: العبر، ج7، ص27.

([5]) ابن حيان: المقتبص، ص26 وما بعدها.

وخلاصة القول، أنه كان لهذه الوقعة أثرها السيئ على الفاطميين، إذ هم فقدوا قائديين من خيرة القواد حيث قتل زعيم صنهاجة زيري بن مناد وخلع جعفر بن علي طاعتهم.

بذل الفاطميون جهدا كبيرا لتوطيد بلاد المغرب، وفي أدوار حكمهم المختلف أولوا اهتماما متزايدا في ضبط أمورهم في منطقة المغرب الأقصى[1].

والدارس لتاريخ منطقة المغرب الأقصى أثناء الوجود الفاطمي يكتشف فيه معضلاته جمة، نظرا لعدم استقرار الجانب السياسي فيه، إذ تأجج حكمه بين الولاء للفاطميين حينا وللأمويين في الأندلس أحايين أخرى.

وجاءت حملة أبي عبد الله الشيعي التي وجهت إلى ناحية المغرب الأقصى كأول محاولة لضمه إلى حظيرة الخلافة الفاطمية للأهمية الإستراتيجية والعسكرية[2]، فضلا عن أنه يحتل مركزا تجاريا مرموقا بين الجنوب والشمال والشرق والغرب لأنه يقع عند ملتقى أكبر طرق القوافل في بلاد المغرب كله.

([1]) جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص3.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص163.

الطريق المتعرجة التي تخترق جبال الريف متجهة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط وإلى الأندلس، وكذلك الطريق التي تمتد عبر مضايق سلسلة جبال الأطلس المتوسط وتتجه إلى سجلماسة ثم إلى الصحراء الكبرى[1].

ولم تكن حملة جوهر الصقلي على المغرب الأقصى سنة 347 هـ/958 م هي الوحيدة من نوعها ، فحين تقلد عبيد الله العهدي زمام الأمور دولته أصبحت هذه الرقعة الجغرافية شغله الشاغل.

وقد سير عبيد الله المهدي في سنة 305 هـ/917م حملة عسكرية[2] بقيادة عامله على تيهرت والمغرب والأوسط مصالة بن حبوس[3] لمحاربة يحي بن إدريس والتقى الجمعان في معركة حامية بقرب مكناس، إذ انهزم يحي وعاد إلى مدينة فاس[4] وتحصن بأسوارها ولكن مصالة بن حبوس تعقبه وضرب حصارا

([1]) Lombard (M) : l'Islam dans sa première grandeur, p62.

([2]) ابن الأثير: الكامل ج6، ص170. ابن الوردي، ص354. يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص167، غير أن ابن خلدون أورد تواريخ مختلفة لهذه الحملة. العبر، ج4، ص39.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص39.

([4]) وردت أساطيل مختلفة بشأن تأسيس مدينة فاس. قارن الروايات التي وردت عند الجزنائي. زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 18. والسنوسي: الدرر السنية، ص39. كما ورد سرد للوقائع الثابتة لها. حيث بدأ العمل في بناءها سنة 192هـ/ وعرف هذا القسم منها بعودة الأندلس، أما القسم الثاني فشرع في بناءها في سنة 193هـ/808م.

على المدينة، استمر حتى صالحه يحي على مال يدفعه وعلى البيعة للخليفة الفاطمي، وبذلك أبقى عليه مصالة بن حبوس في سكنى فاس وعقد له على عملها كما عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية — الذي خلفه في زعامة مكناسة – وعلى سائر أحواز المغرب الأقصى بما فيها تسول وتازا وكرسيف ملكه القديم(1).

والظاهر أن يحي بن إدريس اضطر إلى الاعتراف بالولاء للفاطميين حتى يبقى على سلطانه هذا بالإضافة إلى تخاذل أنصار من بني نكور أمام قوة الفاطميين وانتهازية بعض زعماء قبيلة زناتة في مساندة الفاطميين لتحقيق مآربهم وأطماعهم السياسية(2).

وبدت صورة الحكم في هذه المنطقة الغربية من بلاد المغرب على أثر مغادرة مصالة، موزعة بين عامل شرعي بنتسب إلى الأسرة العلوية وعامل حديث العهد لا يملك سوى عصبيته المكناسية(3).

---

(1) Levis Provinçal : la Fondation de Fés annales de l'institut d'Etudes orientales T IV année 1938.p51.

(2) قارن بشأن هذه الأحداث: الناصري: الاستقصا، ج1، ص166. ابن خلدون: العبر، ج6، ص134. التنسي: نظم الدرر والعقيان، ص47. السنوسي: الدرر السنية، ص56. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص182.

(3) سعد زغلول: المغرب العربي، ج2، ص478–489.

وبهذا ظهرت نقطة الضعف السياسي في المغرب الأقصى إذ أبقى الفاطميون على رأس هذه المنطقة حاكمين بحيث ينتمي الأول بولائه للبيت العلوي ويتوارى الثاني خلف عصبية قوية كمكناسة[1].

وادى هذا الوضع إلى صراع الطرفين من أجل السيطرة وتوسيع النفوذ، ومن ثم حرص كل أمير على الكيد للآخر تمهيدا لاستقلاله بالأمر.

وكان أبي العافية كلما هم بتصفية نفوذ يحي بن عمر[2] بادر هذا الأخير بإظهار مزاياه وفضله ونسبه، فينصرف عن تنفيذ مخططه ونفسه تنطوي على قلق وغضب إلى حين عاود مصالة بن حبوس الخروج إلى المنطقة في سنة 307 هـ/919 م-920م[3]، فأقصى من الحكم يحي بن إدريس وصودرت أمواله بوشاية موسى بن أبي العافية ونفى إلى مدينة أصيلا[4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله، ص25.

(2) كان أعلى بنى إدريس ملكا وأعظمهم سلطانا، وكان فقيها. راجع التنسي: (تاريخ دولة الأدارسة) من كتاب نظم الدر والعقيان، ص46. أنظر البكري: المغرب، ص132.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص134.

(4) المرجع نفسه، ج4، ص32.

ويبدو أن فرعا لبني الإدريس حاولوا استعادة نفوذهم في المنطقة[1] غير أن مصادر أخرى أشارت إلى يأس يحي ومغادرته الديار ليصل إلى بلاد إفريقية، فكان بها مثواه الأخير في سنة 322 هـ/943 م–944م[2]، بعد أن ذاق الهوان في داخل سجنه في الكاي[3] قاعدة موسى بن أبي العافية، حوالي عشرين سنة وفي المهدية مات جائعا غريبا على زعم الروايات التاريخية[4].

والجدير بالتنويه أن دويلة الأدارسة كانت أقوى الدويلات التي قامت في المغرب الأقصى حيث كانت تتحكم في الطرق التجارية الصحراوية الرابطة بين السودان والمغرب وكانت تضم أيضا قبائل من أقوى بطون زناتة ولهذا كان سلطانهم أعظم سلطان ينافس أمراء الأغالبة.

([1]) ابن عذارى: البيان، ج2، ص212–213. ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص80.

([2]) البكري: المغرب ص 125. الناصري: الاستقصا، ج1، ص183.

([3]) وعرفت عند بعض المؤرخين بالأكسر والصواب بالكاي، وهي قلعة محصنة والأرجح أنها بناحية بجاية الحالي في الأراضي الجزائرية. الناصري: الاستقصا، ج1، ص183.

([4]) المرجع نفسه، ج1، ص189. البكري: المغرب، ص 125.

وحين قفل مصالة راجعا إلى إفريقية بعد قضاء مهمته في بلاد المغرب الأقصى عين على حكم فاس ريحان بن علي[1].

واختلف المؤرخون في تحديد مدة ولايته إذ يذكرها الناصري[2] بأنها ثلاثة أشهر بينما يذكرها البكري بتسعة أعوام، غير أن أغلب المؤرخين أجمعوا على ثلاثة أعوام، وهو الأرجح والواضح أو الولاية لم تؤال إلى موسى بن أبي العافية الذي ظل على نفوذه الواسع في المغرب الأقصى[3] غير أنه سرعان ما واتت الفرصة أحد رجال البيت الإدريسي[4] هو الحسن بن محمد بن القاسم ابن إدريس الملقب بالحجام[5] فاستعاد نفوذ الأدارسة بهذا الإقليم

([1]) الناصري: الاستقصا، ج1، ص184. وقد ورد خلط شدي بين المؤرخين حول تحديد القبيلة التي ينتمي إليها ريحان بن علي هل كانت مكناسة، كما ذكر ذلك صاحب القرطاس، ص81 أم كتامة حسب صاحب الاستقصا، 7ج1، ص 184.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) البكري: المغرب، ص125.

([4]) ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص81.

([5]) وعرف بهذه التسمية نسبة إلى موضع المحاجم إذ وقعت حرب بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن إدريس، حيث حمل الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعنه وكرر ذلك مع مجموعة أخرى وكان بذلك المكان حتى قيل:

سميت حجاما وليست بحجام   ولكن لطعن في مكان المحاجم

ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص211-212. الناصري: الاستقصا، ج1، ص184. التنسي: تاريخ دولة الأدارسة، ص48.

بتظافر جهود الأهالي وبعد حرب الضروس جمعت بين القوتين الفاطمية والإدريسية في سنة 310 هـ/322م-923[1]، ودخل الحجام على حين غفلة من أهالي فاس فاستولى عليها فأجلى عنها القوات الفاطمي[2].

وقد اختلف المؤرخون في الحال الذي آل إليه ريحان ، فبعضهم قال إنه مات أثناء المعركة وبعضهم ذكر أنه اختفى دون المكان المقصود، وهنالك منهم من لم يهتم بمصيره، أعلن الحجام الحرب على موسى بن أبي العافية وهزمه في فحص الزاد[3]، وقتل ابنه منهلا[4]، غير أنه سرعان ما انقلبت تلك الانتصارات إلى انهزام ساحق فدارت عليه الدوائر وأصبح وحيدا بعد أن تشتت شمل أتباعه[5]، فتقوى نفوذ موسى بن أبي العافية وطارد الحجام الذي الذي عاد في طريقه إلى فاس فلحق به، وتشتت شمله كما أسلفنا الذكر ولما وصل الحجام إلى المدينة ترك مجموعة خارج أسوارها

---

(1) قارن بين النصارى: الاستقصا، ص 184. ابن عذارى: البيان، ج1، ص310. ابن خلدون: العبر، ج6، ص274.

(2) التنسي: الدرر، ص48.

(3) وهو قرب وادي المطاحن بين فاس ورباط وتازا: البكري، ص127.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص134. الناصري: الاستقصا، ج1، ص185. ابن أبي زرع: القرطاس، ص82.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ودخل وحده مع قلة من أنصاره[1]، وهنالك غدر به عامله حامد بن حمدان الهمذاني فانقض عليه وقيده بالحديد وسجنه ثم أرسل البعوث إلى موسى بن أبي العافية[2] فلم يتأخر عن تلبية النداء، لينتقم لابنه[3] ولهزيمته السابقة فسار نحو غريمه ولكن حامدا أعرض عن هذا الأمر إذ تأكد من خطورة الخيانة وراح يماطل موسى بن أبي العافية ويدافعه بحجة أنه يكره سفك الدماء أهل البيت، ودبر حامد عملية هروب الحجام[4].

([1]) يبدو أم الحسن الحجام لم يتوجه إلى فاس مباشرة بعد انتصاره على موسى في هذه المعركة وأنه منى بعد ذلك بهزيمة، ففر على أثرها إلى فاس ليعتصم بها، أنظر ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص 82. الناصري: الاستقصا، ج1، ص185.

([2]) عرف بالأوزى واللوزى والهمذاني وهو من قرى إفريقية. الناصري: الاستقصا، ج1، ص185. ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص82

([3]) وجاء موقف حامد بن حمدان وأهل فاس مجر انحياز إلى جانب المنتصر، لتفادي سطوته. أنظر القرطاس، ص83. الاستقصا، ج1، ص185.

([4]) اختلفت الروايات حول تاريخ موت الحسن الحجام فبينما يقول الناصري، ج1، ص 185 أن الحجام أقام عشر سنوات في فاس فإذا بابن الخطيب، ج3، ص168 يذكر أن دولته لم تدم سوى عامين وأما البكري، ص168. فيذكر أن انتهاء دولته كانت سنة 317هـ. ولما كان هذا الكاتب قد ذكر أن الحسن تولى الحكم في سنة 316هـ فمعنى ذلك أن دولتهم تدم سوى سنة واحدة، فالغالب على الظن أن وفاته كانت سنة 315هـ، راجع ابن خلدون: العبر، ج3، ص32-33.

وكان لهذا التصرف أثر سيء عند موسى بن أبي العافية إذ عزم على قتل حامد غير أن هذا الأخير تفطن للمكيدة ففر منه إلى إفريقية[1].

ومجمل القول، أن تاريخ إنهاء إمارة الحجام يكتسب أهمية بالغة إذ يمثل نهاية ملك البيت الإدريسي بفاس بعد حكم متصل للمغرب الأقصى والمغرب الأوسط ابتداءا بمبايعة إدريس الأول في سنة 193 هـ/807 م أي نحو مائة وتسع وخمسين سنة.

ومن الصعب تكوين فكرة جغرافية دقيقة عن امتداد رقعة الدولة الإدريسية الأولى ولكنه مع ذلك، من الممكن وضعه الخطوط الرئيسية لخريطة هذه الدولة إذ تشمل شمال المغرب كله باستثناء الساحل الأطلسي وبلاد مكناسة ومنطقة تازا وأعالي سبو، وهذا بالإضافة إلى القسم الشرقي الذي يشمل تلمسان حتى نهر شلف وقد تعرض "المسعودي" إلى تحديد تخوم مملكة إدريس الأول التي شاهدت توسعا كبيرا لتصل أقاصي السودان[2].

([1]) ابن أبى زرع: القرطاس، ص83.

([2]) مروج الذهب: ج1، ص368.

والظاهر أن موسى بن أبي العافية حين صفى عناصر الأدارسة من الحكم، وأجلاهم عن مدنهم وحصرهم في قلعة جعر النسر[1] ولم ينتهي عمله عند هذا الحد بل هم باقتحام القلعة للقضاء عليهم، غير أن أحد رجاله لامه على تطرفه في العداء لآل البيت قائلا: أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتجليه منهم هذا الشيء لا نوافقك عليه، ونتركك له"[2].

فاكتفى موسى بمراقبة نشاطهم وتحركاتهم بواسطة أنصاره وأوكل هذا الأمر إلى أبي الفتح التسولي المكناسي[3].

كما استخلف موسى بن أبي العافية ابنه مدين نائبا على فاس[4] وخرج بعدها إلى نكور ومراكز أخرى للأدارسة في جراوة وتلمسان وأرشقول، وعاد إلى فاس بعد أن حقق مجدا كبيرا وأصبح يشرف على جزء هام من المغرب الأوسط ويشمل ما بين تيهرت والسوس الأقصى[5].

---

(1) تقع قلعة حجر النسر التي بناها إبراهيم بن محمد ابن إدريس في سنة 317هـ/ على قمة جبل وعر في غمارة على مسيرة ثلاثة أيام من سبتة البكري: ص 114، 126.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1، ص186-187. ابن أبى زرع: الاستقصا، ص84.

(3) البكري: المغرب، ص127. ابن عذارى: البيان، ج2، ص213-214.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص214. التنسي: الدرر، ص155. الناصري: الاستقصا، ج8، ص187.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن خلدون: ج6، ص275.

والملاحظ أن اختفاء مصالة بن حبوس واضطراب أوضاع الخلافة الفاطمية في آخر عصر المهدي، واستفحال أمر ظهور أمراء زناتة المواليين لبنى أمية في الأندلس، هذا إلى جانب ظهور نفوذ عبد الرحمن الناصر على القواعد الحربية للجزء الغربي من البحر المتوسط[1] زاد في اتساع نفوذ موسى بن أبي العافية ورغبته في الاستقلال بحكم عصبيته المكناسية التي كانت وراء انفصاله عن الفاطميين وارتباطه ظاهريا بالولاء لأعدائهم الأمويين، وقد أورد ابن عذارى[2] نصا يذكر فيه أن موسى بن أبي العافية قد عرض على عبد الرحمن الناصر الدخول في طاعته ووعده أن يستميل له أهل العدوة المقاربة له، غير أن "الناصري"[3] يرى أن ولاء موسى بن أبي العافية جاء بدعوة الخليفة الأموي في قرطبة بعدما وعده بهبات وامتيازات عديدة، وإن كان بعض المؤرخين المحدثين[4] يرون أن موسى بن أبي العافية دخل في طاعة أموي الأندلس، ولو جاز لنا الأخذ بهذا الحكم فما الدوافع التي تجعل أمير مكناسة

---

(1) حسين أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص78. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص234.

(2) البيان، ج1، ص199.

(3) الاستقصا، ج1، ص188.

(4) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص89.

Charle Andre Julien, op.cit, p58.

يقبل على نفسه التبعية، كما أنه لو صح ذلك لخلع موسى بن أبي العافية على أثر وصول حملة المهدي غير أن ذلك الولاء جاء مع سلسلة الولاء الذي تم في تلك الفترة الزمنية. " أن لا حكم لهم بدون سند شرعي"[1].

ويبدو أن عبد الرحمن الناصر استغل تضعضع سلطان الأدارسة فغزا مدينة سبتة التي كانت لا تزال خاضعة للأدارسة، وافتتحها والظاهر أن هذا الغزو سبقه مسعى قام به وفد يمثل سكان المدينة وهم أنصار خليفة قرطبة فطلبوا فيما يقول "ابن حيان"، أن يوفد إليهم عامله[2] وقوته، فأوفد إليهم عامله أمية بن إسحاق وإلى جزيرة الخضراء الذي أراد له أن يجمع بين المنصبين لما بين المدينتين من التقارب، فوصل إلى سبتة في صدر ربيع الأول من السنة المذكورة، وبذلك وقع مضيق جبل طارق بعدوتيه تحت سيادة الأندلس، وبمجرد احتلال المدينة شرع عبد الرحمن الناصر في تحصينها فبنى حولها سورا، ووضع فيها حامية دائمة من

([1]) سنوسي: زناتة والخلافة الفاطمية، ص252.

([2]) قارن المقتبس لابن حيان (نشر شالميتا وآخرين مدريد 1979/ 289-298، وما يليها. وابن عذارى: البيان، ج2، ص204. والمقري أرخ لغزو هذه المدينة في سنة 317هـ/929. وهو تاريخ لاغزو في أن المقري نقله عن ابن خلدون والمرجح أن يكون من غلطة الناسخ بسبب تقارب حروف سبعة وتسعة. المقري، نفح الطيب، ج1، ص354. ابن خلدون: العبر، ج4، ص40.

القواد والجنود[1] مما يدل على عزمه في الاحتفاظ بها واتخاذها قاعدة عسكرية.

واتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر تلك الإجراءات العسكرية بإجراء سياسي، فكتب إلى أمراء البربر، وفي مقدمتهم محمد بن خزر المغراوي زعيم زناتة ومنصور بن سنان وزاكله ابن سراج صاحب مدينة طنجة، والمؤيد بن عبد السميع صاحب نكور، ونفزة ولغيرهم من زعماء القبائل الموالية له مثل سمجون بن مقود زعيم آل لمسة وأنجرة، كما كتب إلى كتامة وعلى رأسهم حسن بن سليمان والي لواته وهوارة وعلى رأسهم عروس بن بداء، وقد ألح الخليفة في رسائله على تفصيله عن هؤلاء الأمراء، وأوصاهم بالالتزام الهدوء والوئام كما وعدهم بالمساعدة إذا احتاجوا إليها لمواجهة أعدائهم إذ صاروا يدا معه وإخوانا في الطاعة وأولياء للدعوة[2].

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص204.

([2]) ابن حيان: المقتبس، ص290، ص300-301-305-308-310.

وقد تدارك الفاطميون مدى خطورة المد الأموي في بلاد المغرب واستفحال نفوذ موسى بن أبي العافية وبخاصة حين ولي وجهه لعبد الرحمن الناصر[1].

فحرص على هيبتهم وسلطانهم بهذه الأراضي فلم يتأخروا في استعادة مكانتهم في تلك البلاد بتجهيز الحملة تلو الأخرى، فقام المهدي بتسيير حملة بجهد مشترك بين كتامة ومكناسة وتولى الإشراف عليها حميد بن يصل المكناسي ابن أخي مصالة[2] الذي تمكن من هزيمة موسى بن أبي العافية بفحص مسيون[3] فانسحب موسى إلى تسول، كما لحقه ابنه مدين وقائد الجيش الذي كلف بحصار الأدارسة بعد هزيمته على أيديهم، وهكذا سيطر ابن يصل على الوضع السياسي، ولم يترك أراضي المغرب الأقصى حتى استخلف على رأس ولاته فاس حامد بن حمدان[4] وذلك بعد أن زال عنها شبح بني عافية، غير أن هزيمة موسى لم تقض على

([1]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص276. الناصري: الاستقصا، ج1، ص81. ابن عذارى زرع: القرطاس، ص84/85.

([2]) لقد وردت هذه التسمية عند ابن الخطيب بـ "ابن تسيل"، ص 215. أما يحيى بن خلدون فذكره بـ"حميد بن شبل الكتامي"، ص168 "وعرف عند صاحب القرطاس بصليتين، ص83-85.

([3]) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص168. ابن أبى زرع القرطاس، ص85.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الناصري: الاستقصا، ج1، ص188.

قوته، ولم تحد من نشاطه ضد النفوذ الفاطمي، ومن ثم نلاحظ أن أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي[1] الذي ثار في فاس، وقتل حامدا ابن حمدان أرسل رأسه إلى موسى بن أبي العافية الذي وجهه بدوره إلى الأندلس[2].

وهكذا كانت أحداث هذه الفترة مضطربة، كانت بمثابة مرحلة انتقالية لعهد جديد في الخلافة الفاطمية حيث استخلف القائم المهدي في الحكم سنة 322هـ[3].

ودفعت خطورة الوضع في البلاد المغرب الأقصى القائم بإرسال حملة ضخمة، يقودها ميسور الفتى إذ شعر بقوة القبائل الزناتية في منطقة المغرب الأقصى بعد دخولها في طاعة بني أمية[4] وكذلك تعاظم نفوذ بني أمية في الجزء الغربي لبلاد المغرب، حيث غدت مدينة سبتة قاعدة حربية عامة في حروبهم ضد الفاطميين[5] استطاع ميسور أن يهزم أحمد بن أبي بكر فاستسلم مبايعا[6] بعد

([1]) ابن أبى زرع: القرطاس، ج8، ص189. ابن خلدون: العبر، ج4، ص40.

([2]) ابن أبى زرع: القرطاس، ص85. الناصري: الاستقصا، ص189.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([4]) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 78.

([5]) نفسه، نفس الصفحة.

([6]) ابن أبى زرع: القرطاس، ص85-86، وقارن روايات ابن خلدون، ج6، ص135. ابن خطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص216. البكري: المغرب، ص128.

أن دفع أموالا وهدايا للفاطميين غير أنه وثق في الحديد نحو المهدية[1].

وحين رأى أهل فاس ما بدر من ميسور من التخاذل، امتنعوا عن تسليم مدينتهم إليه وولوا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرهم ميسور لمدة سبعة أشهر حتى يئس من تأزم الاحوال فصالحهم على أن يدفعوا مبالغ اتفقوا عليها وجملة من عتاد كما اشترط عليهم الطاعة والولاء للخليفة الفاطمي القائم بأمر الله، وأقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس.

ومصداق ذلك ما نقلته اتصالات موسى بن أبي العافية من وصف تحركات ميسور في عدة رسائل إلى الناصر لدين الله، وجاء في الرسالة الأولى منها والتي نقل إلينا نصها كاملا " ابن حيان " قوله " فإن اللعين أبا القاسم، طاغوتهم بعث إلينا غلامه ميسور الخصي وعفريته ابن أبي شحمة الكتامي وغيرهما من قواده في كثف من شياطينه فحلوا في البلاد وبثوا دعاتهم فتوقف الناس عنهم ولاذ البرابرة منهم في معاقلهم"[2]، وعادت فاس من جديد

([1]) قارن روايات ابن خلدون: العبر،، ج6، ص135. ابن خطيب: أعمال الأعلام، ص216. البكري: المغرب، ص128. الناصري: الاستقصا، ج8، ص189. ابن أبى زرع: القرطاس، ص85-86.

([2]) المقتبس: ج5، ص369.

إلى حضيرة الخلافة الفاطمية، فضربت بها النقود باسم الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله[1]، كما حلت أكبر هزيمة فرع بني محمد بن القاسم فأسر ابنه البوري، وألجأه إلى الصحراء إذ بقي متشردا حتى توفي سنة 328 هـ/939م-940م أما مراكز نفوذه، فقد آلت إلى الأدارسة بموافقة ميسور الفتى[2].

وقد ذكر "ابن خلدون" رواية بشأن نهاية ابن أبي العافية بعد أن تشرد في الصحراء، فقال إنه رجع بعد أن عاد ميسور إلى القيروان، فاسترجع ملكه بها وجدد البيعة لعبد الرحمن الناصر كما أجلى أبن أبي العيش[3] عن تلمسان بعد أن تلقى مددا من أسطول خليفة قرطبة"[4].

ويبدو أن الوضع السياسي في بلاد المغرب الأقصى بقي كما أقره ميسور الفتى حتى عصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله والذي هم

([1]) ابن أبي زرع: ص 85-86. ابن خلدون: ج6، ص135. الناصري: ج1، ص189-190.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص284-285. الناصري: الاستقصا، ج1، ص189. الدوادار: زبدة الفكر، ج6، ص145. ابن أبي زرع: القرطاس، ص69. العزيزي الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر، ص180.

([3]) لقد تولى ابن العيش أحمد بن كنون الإمارة سنة 337هـ، وكان مقرة قلعة حجر النسر، ويبدو أنه كان يملك سبته وطنجة في أول إمارته. أنظر: روض القرطاس، ص58. الاستقصا، ج1، ص196. بغية الرواد، ج1، ص168.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص136.

لإخضاع المغرب الأقصى لنفوذه مشكلا بذلك وحدة المغرب فأرسل قائده "غالبا" على رأس حملة لمحاربة الحسن بن القاسم الذي استبد بالأمر، فأجلاه هو وأهل بيته عن فاس، وجدد الولاية لابن أبي بكر الجذامى، إلا أن الفاطميين ارتبوا في أمره، فبادر بتجديد الولاء لبني الأمية وخاض ضدهم حملات بل ذهب إلى أن يسخر منهم في قوله " هؤلاء الفواطم تسترضي أحدهم بقلة من نبيذ"[1].

ويبدو أن المعز لدين الله قد حسم الأمر حين جهز حملة بقيادة جوهر الصقلي لاسترداد النفوذ الفاطمي في مناطق المغرب الأقصى، فخرجت معه جموع لا تحصى[2] حتى خافته البربر، وفرت أمامه قبائلها[3].

وقد تصدى ابن بكر لحملة جوهر وتحصن في مدينة فاس فأتعب رجال الحملة وأعنتهم وبتظافر جهود جعفر بن علي الأندلسي صاحب المسلة وزيري بني مناد الصنهاجي صاحب أشير استطاع جوهر أن يحاصر سبتة، لكنه تراجع عنها لمناعتها، ثم سار نحو الصحراء، فاستولى على مدينة سجلماسة وقبض على صاحبها

([1]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج2، ورقة 442.

([2]) ابن خلكان: وافيات الأعيان، ج4، ص313. يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص168.

([3]) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص220.

الشاكر، وبعدها سار نحو فاس، وأقام عليها حصارا، ولم تلن قناته حتى اقتحمها عنوة زيري بن مناد الذي أبلى حسنا إذ تسلق أسوار المدينة ليلا وقبض على عاملها أحمد بن بكر فأخذ أسير وشهر به في أسواق المهدية[1].

وبعدما انتصر جوهر في بلاد المغرب وقتل ولاة الأمويين دون أن يعترض طريقه أحد عاد إلى إفريقية عقب مظفرة دامت نحو سنتين[2].

وخلاصة القول، أن جوهر استطاع أن يستعيد نفوذ الفاطميين حتى سواحل المحيط باستثناء القواعد العسكرية الأموي الأندلسي التي استعصت عليه اقتحامها، وبدت الخريطة الجغرافية كما وضعها ابن خلكان للنفوذ الفاطمي في عهد المعز موصدة من باب إفريقية إلى البحر المحيط من جهة المغرب ومن جهة المشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر[3].

([1]) ابن ورى: تاريخه، ص398. الداودار: زبدة الفكر، ج6، ورقة 192. ابن خلدون: العبر، ج4، ص47. يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ص168. الناصري: الاستقصا، ج2، ص199.

([2]) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهر، ج4، ص70. ابن أبى دينار: المؤنس 638-64. موسى لقبال دور كتامة، ص376. حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص33.

Levi- Provinçal : Op.cit, T2, pp100-102.

([3]) وافيات الأعيان: ج4، ص313.

كما ارتبط ظهور الدولة الفاطمية بنهاية دولتي الخوارج في بلاد المغرب في سنة 297 هـ/910 م ومن بينها دولة بني رستم في تيهرت وبني مدرار في سجلماسة[1].

وقد عمل الفاطميون منذ قيامهم على فرض سلطانهم السياسي والمذهبي بالقوة كما ذكرنا سابقا، فقد قاوموا الخوارج الصفرية في سجلماسة سياسيا ومذهبيا[2] منذ أن استولى أبو عبد الله الشيعي عليها في سنة 296 هـ/909م[3].

وكثيرا ما وقف الفاطميون إلى حد كبير في استمالة الأسرة المدرارية إلى ولائهم غير أنه كثيرا ما كان هؤلاء ينقلبون عليهم في حركات متتالية فسار ولاء بني مدرار متأرجحا بين الاستقلال الذاتي أحيانا والولاء للفاطميين أحيانا أخرى، إذ تظافرت عوامل

---

[1] ابن الأثير: الكامل، ج6، ص354. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص192. ابن عذارى: البيان، ج1، ص157.

[2] لقد أسست فرقة الخوارج الصفرية هذه المدينة بمكان يعرف بـ "زيز"، ج212. وولوا عليهم عيسى بن زيد الأسود المكناسي، وعن وصف سجلماسة أنظر: البكري: المغرب، ص148. وما بعدها. اليعقوبي، ص21. ابن خرذابة، ص86-87. الإدريسي: وصف إفريقية، ص4. الاصطخري: المسالك، ص39. ابن الخطيب: الأعمال، ص139.

ENCY.I – Art Sidjilmassa, T4, pp. 419-421.

[3] ابن عذارى: البيان، ج1، ص157. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36. المقريزي: الاتعاظ، ج8، ص65

سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية لتزيد من عداء الخوارج الصفرية لحكم الشيعة الإسماعيلية، فلم يرضخ بنو مدرار لولاة الفاطميين وذلك بعد أن ألفوا الاستقلال.

ولا شك أن أحوال بلاد المغرب الداخلية في ظل حكم الفاطميين ساعد على بروز ثورات الصفرية في سجلماسة فعجز الفاطميون عن مواجهة الأمر، ولم تفلح أساليب العنف بإنفاذ الحملات العسكرية لإخضاع المنطقة لنفوذهم ولا سياسة التودد والدهاء باصطناع بعض أفراد البيت المدراري وتعيينهم ولاة لدعم نفوذهم في تلك الأرجاء.

بدأ التدخل الفاطمي في بلاد سجلماسة منذ أن توجه أبو عبد الله الشيعي إليها لتحرير عبيد الله المهدي، فتحولت المنطقة للنفوذ الفاطمي بعد أن ضرب على المدينة حصارا[1]، والتحمت قوات أبي عبد الله الشيعي بجيش "اليسع" فاشتد القتال وظهرت براعة أبي عبد الله العسكرية وسيطرته على الموقف[2] الأمر الذي دفع "اليسع" إلى الفرار مع أهله وذويه في جوف الصحراء[3]، وقام

([1]) النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 32. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36.

([2]) Vonderheyden : La berberie oriental sous la dynasty de Beno-arlab, p305.

([3]) اليماني: سيرة جعفر، ص126. المقريزي، ص 66.

أبو عبد الله الشيعي بتحرير المهدي من سجنه والاحتفاء به[1] وانفذت الخيل في أثر اليسع حتى تم القبض عليه بواسطة قوم يعرفون ببني خالد[2]، وسيق إلى عبيد الله المهدي إذ عرف ألوان التعذيب وقتل بعد ذلك وكما صار المهدي أموال الأسرة المدرارية[3] وعانت عساكره فسادا وعنثا في المدينة، وأضرمت فيها النيران[4].

وبهذا سقطت دولة بني مدرار على يد الفاطميين بعد أن انتصرت كتامة على مكناسة، وتغلب البرانس على البتر وانهزم الخوارج على أيدي الشيعة الإسماعيلية[5].

وبعد أن قضى على حكم "اليسع" في سجلماسة[6] عين عبيد الله المهدي واليا عليها من خيرة رجال كتامة، هو إبراهيم بن

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص16. مجهول: الاستبصار، ص204. النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 32. ابن أبى دينار: المؤنس، ص49.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص154.

([3]) اليماني: سيرة جعفر، ص129-130.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص153.

([5]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص153.

([6]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص156. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص91.

غالب المزاتي[1] الذي يعتبر أول والي شيعي في المنطقة وترك معه حامية كتامية[2].

وكان المهدي يظن أن تصفية إمارة بني مدرار بقتل زعيمها وتعيين أحد رجاله على المدينة إجراء كاف لإقرار السيادة الفاطمية في سجلماسة غير انه لم يمض على مغادرة المهدي المنطقة إلى رقادة سوى خمسين يوما[3] حتى قضي على كل أمل في المحافظة على المنطقة في إطار النفوذ الفاطمي حيث هبت موجة المعارضة السياسية معلنة سقوط ولاية إبراهيم بن غالب، والأبعد من ذلك أنه عذب وقتل مع أتباعه من الشيعة يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من سنة 297هـ/910م[4].

ونعتقد أن ثمة عوامل عديدة فجرت أحداث الشغب على الوالي الجديد إذ كان للفراغ السياسي تأثيره في ذلك وخصوصا حين

([1]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 131. الدول الإسلامية بالمغرب، ص169.

([2]) لم يدقق ابن عذارى في عدد الحامية، فمرة يحصيها بخمسمائة فارس، ومرة أخرى يذكرها بألفي فارس. البيان، ص154-155.

([3]) المرجع نفسه، ج1، ص156. البكري: المغرب، ص150.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص206. ابن خلدون: العبر، ج6، ص131.

رحل المهدي إلى إفريقية هذا إلى جانب ضعف وقصور إبراهيم في مهمته الجديدة[1].

وكما انتهزت المدرارية -والتي تركها المهدي في المدينة- حين لم ير فيها أية خطورة على سلطانه ظروف انشغال الفاطميين في إرساء قواعد عرشهم[2]، وكذلك تأخر المهدي في استعادة نفوذه في المنطقة بسبب التطورات الخطيرة التي حلت بدولته الفتية حين احتدم الخلاف بينه وبين داعيته أبي عبد الله[3] وما نتج عن اغتيال هذا الأخير من خلاف بين كتامة والمهدي وثورتهم عليه فأحييت هذه الأسرة مجدها التليذ فولوا على أنفسهم أبا الفتح بن الأيمن الملقب "بواسول" وظل في الإمارة مدة سنتين وبضعة أشهر. وما يمكن قوله أن الفاطميين ارتكبوا خطأ سياسيا عاد عليهم

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص156. الباروني: الأزهار الرياضية، ص95.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133. النويري: نهاية الأرب، ج26 و ص33. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36، ج3، ص365. المقريزي: الخطط، ج1، ص350. الاتعاظ، ج1، ص66.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص133. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص194. الدرجيني: طبقات الاباضية، ج1، ورقة 43. الناصري: الاستقصا، ج1، ص182. حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص96. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص230-231. محمد صبحي: الحضارة الإسلامية، ص64.

Dachraoui (F) : Op.cit, pp 129-130.

بمشاكل عويصة حين أبقوا على فروع الأسرة المدرارية ولم يقطعوا دابرهم.

ولعبت الظروف الجغرافية لسجلماسة والتي تقع في أقاصي الصحراء ووعرة المسالك والطرق الموصلة إليها على النهوض بالأسرة المدرارية من جديد ومصداق لقولنا ما ذهب إليه "القاضي النعمان" أن جند كتامة تقاعسوا من القيام لاستعادة النفوذ الفاطمي متذرعين بمشاق الطريق إلى سجلماسة[1].

وبعد وفاة أبي الفتح تمت البيعة لأخيه أحمد بن الأيمن في سنة 300هـ/912م[2]، فاستقام أمره في الحكم تسعة أعوام بمنأ عن نفوذ المهدي، والغالب على الظن أن الخلافة الفاطمية كانت تتخبط في مشاكلها الخاصة، الأمر الذي جعلها تنشغل عن هذه المنطقة.

وفي سنة 309هـ/922م بعث المهدي بحملة يقودها مصالة بني حبوس في جموع من كتامة ومكناسة بدعم السلطان الفاطمي في المغرب الأقصى[3].

---

(1) المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 26.

(2) ابن عذارى: البيان، ج1، ص 206. ابن خلدون: العبر، ج6، ص131.

(3) البكري: المغرب، ص150. ابن عذارى: البيان، ج1، ص206. ابن خلدون: العبر، ج6، ص131. ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج3، ص146.

ودخل مصالة بني حبوس سجلماسة عنوة فاقتحمها[1] وأخذ أهلها بالدعوة الشيعية[2] وبذلك حطم عناصر المقاومة الداخلية وقتل الأمير المدراري أحمد بن الأيمن[3] وأطلق العنان لجند كتامة في السلب والنهب[4].

وقبل أن يغادر حبوس سجلماسة نحو إفريقية اصطنع من نفس الأسرة واليا، وهو المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار —ابن عم أحمد بن الأيمن المقتول[5]، وكان لهذه السياسة نتائج طيبة في الحفاظ على هذه الولاية تحت الولاء الفاطمي.

وقد استمر المعتز بن محمد بن ساروا بن مدرار في حكمه لفترة طويلة حتى وافته المنية في سنة 321 هـ/933م 934 م[6]، وهو

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص206.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص131. البكري: المغرب، ص150. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص146.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص131.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([5]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. البكري: المغرب، ص151. زمباور: معجم الأنساب: ج1، ص102.

([6]) ابن عذارى: ج1، ص206.

على ولاءه للفاطميين غير أن ابن خلدون أورد نصا مخالفا فذكر استقلاله واستبداده بالأمر من دون الفاطميين[1].

وقد خلف أبو المنتصر محمد أباه المعتز في الحكم إلا أن المصادر التاريخية لم تطل الحديث في ذكر ولايته فغدت فترته غامضة عند كل دارس لهذه المرحلة في حكم بني مدرار تحت ظل الفاطميين[2].

وتولى الحكم بعد ذلك المنتصر سمكو الذي كان تحت وصاية جدته لصغر سنه[3]، فظهر الشقاق داخل هذه الأسرة إذ ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون[4] مستغلا ضعف هذا الأمير[5]، وظروف بلاد المغرب التي عجت بالثورات[1]، وخاصة وخاصة ثورة الخوارج النكارية في تلك الآونة[2].

([1]) العبر: ج6، ص131. وذلك على عكس رواية النعمان الذي كان يرى في سلف هذا الأمير حسن الولاية في ظل حكم الفاطميين المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 296.

([2]) لقد أسقط البكري حكم هذا الأمير، ص151.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص131. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص146. الناصري: الاستقصا، ج1، ص113.

([4]) وقد ذكره ابن عذارى بلقب الأيمن وجعل بداية حكمة سنة 321هـ/ بعد شهرين من الوصاية على المنتصر سمكو الذي ورد عنده بصيغة أبو المنصور. البيان، ج1، ص206.

([5]) البكري: المغرب، ص151. ابن خلدون: العبر، ج6، ص131. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص146.

وفي بداية ظهور محمد بن الفتح، لم يكن يمثل أي خطر على النفوذ الفاطمي لأن ما قام به في سجلماسة لم يكن سوى تعديل للأوضاع الداخلية للإمارة[3]، فظل محمد بن الفتح ينعم باستقلال لم تعرفه فرقة الصفرية من قبل غير أنه سرعان ما تحولت الظروف عندما اعتلى المعز عرش الخلافة وجعل تثبيت ولاية سجلماسة من المهمات الضرورية لدولته.

وفي سنة 342 هـ/953 م أخذت إصلاحات محمد بن الفتح بعدها العميق والخطير فاستتب الامن في أجواء مدينة سجلماسة والتفت الأهالي حواله برغبته في جعل المنطقة مركزا للإمامة إرضاء لعصبيته المكناسية كما أخذ بلقب "الشاطر لله"[4] جريا على ما

([1]) اضطراب أوضاع تيهرت بسبب معارضة مغراوة وبني يفرن ثم أوضاع المغرب الأقصى بسبب ثورة موسى بن أبى العافية، وإعلانه الولاء الأموي الأندلسي. ابن خلدون: العبر، ج6، ص134.

([2]) انشغال القائم بأحداث أبى يزيد مخلد.

([3]) موسى لقبال: دور قبيلة كتامة، ص366.

([4]) الناصري: الاستقصا، ج1، ص198. ابن ظافر: أخبار الدول، ص21. المقريزي: الاتعاظ، ص94. الدوادار: زبدة الفكر: ج6، ورقة 191. وقد ظهر تحامل النعمان على الشاكر لله حتى قال عنه الكافر لله. المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 25-26.

كانت تقتضيه رسوم الخلفاء العباسيين والفاطميين والأمويين في الأندلس[1]، وأصبح يعرف بأمير المؤمنين[2].

وقد خلد ذكرى هذا التطور الجديد، على السكة التي عرفت بـ "الشاكرية" وكانت في غاية الجمال[3]، وبذلك يكون قد أعلن انفصاله عن الفاطميين[4]، وإن كانت بعض المصادر قد أشارت إلى ولائه لبني العباس[5] والأبعد من هذا أن قالت بأخذه لمذهب أهل السنة، وهو خارجي صفري[6].

وكما رأى القلقشندي[7] أن إعلان الشاكر طاعته للعباسيين كان كان تمويها منه حتى يستقطب مساندة أهل السنة إلى جانبه على كل حال لو حدث فعلا هذا ما كان ليدعو لنفسه بالخلافة وتسمى "بأمير المؤمنين" وتلقب بألقاب الخلفاء وضرب العملة باسمه، وقد رأى أحد الباحثين[8] أن الشاكر لو كان بنشد التبعية لقوة مناوئة

---

(1) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج1، ص72 وما بعدها.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص145.

(3) أنظر المحلق رقم 4.

(4) أنظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص131-132. البكري: المغرب، ص151.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الناصري: الاستقصا، ج1، ص198-199.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص131-132.

(7) صبح الأعشى: ج3، ص167.

(8) محمود إسماعيل: الخوارج، ص225.

للفاطميين لأعلن ولائه لخلفاء قرطبة بحكم قوة نفوذهم في الجزء الغربي للبحر المتوسط بدلا من الولاء للعباسيين الذين اعتراهم الضعف في بلاد المشرق والمغرب.

والظاهر أن الشاكر لله لم تظهر خطورة حركته المضادة للحكم الفاطمي لأنه لا يمكن الأخذ بولاءه لبني العباس لما فيه من ارتياب واختلاف المصادر حول هذا الحدث، وإنما حين تميز بإشارات الخلافة وذلك لما فيه من التعبير عن الخروج وخلع طاعة الفاطميين الأمر الذي زاد من حنق المعتز لدين الله[1]، إذ أن المذهب الشيعي الإسماعيلي لا يجوز بالإمامة إلا لأهل البيت.

وعقد المعز لدين الله العزم على استئصال شأفة الشاكر فعبأ جيوشه من خيرة أنصاره من كتامة[2] وصنهاجة[3] وجهها بنفسه بنفسه بمساعدة قاضيه النعمان[4] وجعل القيادة لجوهر الصقلي، الذي مضى إلى سجلماسة وتمكن من احتلال المدينة والسيطرة على

([1]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 347-348.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ورقة 31.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص132.

([4]) المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 27-31.

أرباضها بعد ضرب حصار[1] دام طيلة شهور ثلاثة[2]، فتمكن أثناءها الشاكر من مغادرة المدينة بأهله وأمواله إلى قلعة مجاورة تعرف بتاسجدالت[3] ودخل جوهر المدينة دون مقاومة تذكر، فأصدر عفوا عاما عن أهلها[4] وأثناء ذلك كان الشاكر يترصد حركات جوهر حتى سنحت له الفرصة لاسترداد الميدنة بالتحليل فدخلها وهو متنكر لكن قوما من مطغرة استطاعوا التعرف عليه فاقتادوه مع أصحابه إلى جوهر في شهر رجب 374هـ/ سبتمبر 958م إذ احتفظ به أسيرا، فعاد به إلى القيروان[5].

وقبل أن يغادر جوهر ديار سجلماسة عين عليها واليا من قبله[6].

ويبدو أن سكان المدينة استغلوا رحيله عنهم وثاروا ضد الوالي الجديد، فقتلوه، ونصبوا عليهم المنتصر بن محمد بن المعتز[1]

([1]) الشطبي: الجمان في أخبار الزمان، ورقة 197.

([2]) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص148.

([3]) وهي على مسافة اثنى عشر كلم من سجلماسة ويسميها ابن خلدون بحصن باسكرات. أنظر العبر: ج6، ص132. البكري: المغرب، ص151.

([4]) النعمان: المجالس، ج1، ورقة 296.

([5]) البكري: المغرب، ص151. ابن خلدون: ج6، ص132. ابن الخطيب، ج3، ص149. الشطبي: عقد الجمان، ورقة 197.

([6]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج2، ورقة 296. ابن خلدون: العبر، ج6، ص132.

وأرسلوا إلى المعز الخليفة الفاطمي يشرحون له الوضع الجديد أن الوالي قد أساس استخدام السلطة، وهم في ذلك يؤكدون له الطاعة والولاء[2].

خوفا من غائلته. فتظاهر المعز لدين الله برفض ما اتفقوا عليه وما تعللوا به، وطلب في حضور شيوخ سجلماسة برفقة المنتصر فأجابوه إلى طلبه ليتعرف على مجريات الأحوال لهذه الولاية[3].

وبعد أن عنف المعز لدين الله زعماء بني مدرار على مواقفهم السابقة أظهر عفوه عنهم[4].

وأقر المنتصر على الولاة وقال للحاضرين بعد أن أجلسه إلى جواره "تستحقون أليم العقاب عفونا عنكم واستعملنا عبدنا هذا"[5].

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([2]) لقد أورد النعمان نصوصا طويلة عن لقاء شيوخ سجلماسة بالمعز لدين الله الفاطمي: المجالس والمسايرات، ج1، ورقات 298-304.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص132.

([4]) المرجع نفسه، ج4، ورقة 300-303.

([5]) المرجع نفسه: ج1، ورقة 303.

فأظهر المنتصر وبقية المرافقين له آيات الخضوع والولاء للخليفة، فخلع المعز عليهم، وأغدق عليهم بالأموال ثم انصرفوا إلى بلادهم[1].

والظاهر أن نزعة الاستقلال كانت عميقة عند بني مدرار فلم ينعم المنتصر بالحكم إذ ثار عليه أخوه ويدعى أبا محمد ويلقب بالمعتز بالله في سنة 352هـ/963م 964م وأعلن خروجه عن طاعة الفاطميين واستمر أميرا في سجلماسة[2] بزعامة خزون بن فلفل الذي قتل المعتز بالله واحتل المدينة وأقام الدعوة باسم خلفاء قرطبة وصفى بقايا النفوذ الفاطمي في هذه المنطقة[3].

وصفوة القول أنولاة سجلماسة لم ينقادوا أمام السلطان الفاطمي على الرغم من تنوع أسلوب هؤلاء تجاه الحكم في تسيير هذه المدينة إذ تداخلت عوامل عديدة زادت من تأزم أحوال العلاقات بين هذه الولاية وعرض الخلافة الفاطمية.

([1]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص132.

([2]) ابن خلدون: ج6، ص132-133. الدوادار: زبدة الفكر، ج6، ورقة 230.

([3]) المرجع نفسه: ج6، ورقة 230.

الفصل الرابع

معارضة المالكية والوهابية للحكم الفاطمي في بلاد المغرب

معارضة السنة المالكية للشيعة الإسماعيلية في إفريقية

ثورات الإباضية الوهابية في طرابلس وجبل نفوسة

وإذا كانت حركة المعارضة للفاطميين في بلاد المغرب قد شملت طوائف مذهبية كثيرة، فإن الخلاف بين السنة والشيعة عموما، هو خلاف بعيد الغور، واسع الأثر، نظرا للاختلافات التي شابت بعض مسائل الشريعة حول فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، خاصة وأن للشيعة تأويلات اختصوا بها، فهم يرفضون ما روى عن غيرهم من المذاهب، وينكرون الإجماع العام كأصل من أصول التشريع لأن هذا يسلم إلى الأخذ بأقوال غير الشيعة، كما ينكرون القياس لأنه رأى والدين عندهم لا يؤخذ بالرأي إلا من قول الله تعالى والرسول —صلى الله عليه وسلم— ومن الأئمة المعصومين[1].

ويبدو أن الخلاف بين المالكية والشيعة قد بلغ أقصى مداه في هذا الطور المغربي من التاريخ الفاطمي، بل وظهر في أكمل مظاهر العنف حيث لم يقتصر فيه المالكية على المعارضة الجدلية والرفض السلمي فحسب، بل أشهروا حربا ضروسا كادوا يحققون فيها النصر، غير أن هنالك عديد من الأسباب حالت بينهم وبين ذلك والتي سنردها في هذا المقام. ويمكن تقسيم الصراع بين المالكية والشيعة الإسماعيلية في بلاد المغرب إلى مرحلتين أساسيتين بدأت

([1]) أحمد ضحى: الإسلام، ج3، ص254-255.

المرحلة الأولى بمواجهة فكرية صارمة، أما المرحلة الثانية فقد اتسمت بإشهار المالكية السلاح في وجه الفاطميين حين تحقق بعض علماء السنة وبخاصة المالكية منهم من خطر الوجود الفاطمي على عقيدة أهل المغرب بعامة وعلى مذهب مالك بخاصة إذا يشكل القوة الرئيسية لأهل السنة بالمغرب وكان أول موقف جماعي لهم حين آزروا الأغالبة في قتال أبى عبد الله الشيعي، وألبوا الرأي العام ضد الفواطم وأجمعوا على أن قتالهم واجب وجهادهم فرض عين، وهذا حين استفتاهم زيادة الله الثالث[1] في أمرهم.

وقد تأثرت الأحوال السياسية في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي بتطور الأحداث في بلاد المشرق، فلا شك أن النهضة الفكرية التي تمخضت عند ظهور المذاهب الأربعة بدأت تعرف طريقها إلى إفريقية[2].

ولما كان المغاربة بما جبلوا عليه من التمسك بنصوص الشريعة والميل إلى النقل أكثر من أعمال العقل، فقد أقبلوا على المذهب

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص149. - ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132. - ابن أبى دينار: المؤنس، ص50، وذكر ابن ظافر أن تولى زيادة الله الثالث الحكم في سنة 290هـ/ 903م. أخبار الدول المنقطعة، ص6-7.

([2]) محمود إسماعيل: محنة المالكية في إفريقية، ص 57.

المالكي الأكثر تمسكا بالنص، فانسجم مع العقلية البربرية وأصبح سلطان في إفريقية، فذهب "حسين مؤنس" إلى القول أن المذهب المالكي في إفريقية أصبح مذهبا قوميا[1].

وأزلت كتب أبي حنيفة من المنطقة على يد الشيخ سحنون صاحب المدونة. وكما ازدهرت مدرسة القيروان وصارت أشهر مدارس الفقه المالكي في العالم الإسلامي تنافس في ذلك مدارس المشرق، حين اهتمت بالمسائل الكلامية وجوانب فكرية أخرى[2].

أسرف المالكية في تعبهم الشديد لمذهبهم أمام بقية مذاهب أهل السنة كالشافعية[3] والأحناف[4]، فقد حارب بشدة الفقيه المالكي القاضي سحنون[5] مختلف المذاهب الأخرى، ومنع تدريسها

([1]) حسين مؤنس: مقدمة رياض النفوس، ج1، ص13.

([2]) المالكي: رياض النفوس، ج1، ص165. - الفري بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ج1، ص126-127. - شارل آندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص64-65. - حورية عبده: علاقات مصر ببلاد المغرب، ص352.

Colvin : le Maghrib central, p48, Georges marçais : La berberie, p56. Dachrapui (F). Op. Cit, pp 405-406.

([3]) الدباغ: معالم الإيمان في معرفة القيروان، ج2، ص202.

([4]) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص135.

([5]) تتلمذ على يد على بن زياد، ثم سمع عن أسد بن فرات ثم انتقل إلى بلاد المشرق سنة 180هـ/796م / 797م فأخذ عن أعيان مذهب أهل المدينة، كما دون "المدونة" والتي صارت الكتاب الثاني للمذهب المالكي بعد الموطأ في التزامها في البناء الفقهي على الأحاديث والآثار،

في جامع عقبة في القيروان، وعزل أصحابها عن تعليم الصبية وحرم المناظرة في غير المذهب المالكي[1].

وقد شارك الأمراء الأغالبة بنصيب في تغذية الخلاف بين المالكية والحنفية بخاصة، وذلك حين اتخذوا موقفا إلى جانب الأحناف لاتفاق في المذهب[2]، ومجاملة للخلفاء العباسيين الأحناف. وأثناء هذا الصراع المذهبي امتاز المالكية عموما بالتشدد والتماسك والزهد في المناصب[3]، ومن ثم أصابهم في عصر سيادة الأحناف في العصر الأغلبي ما أصابهم في عصر سيادة الشيعة أثناء

وتولى القضاء في سنة 234هـ / 847-848م وتوفى سنة 240هـ / 854م- 855م. - المالكي: رياض النفوس، ج1، ص330. - محمد طالبي: تراجم أغلبية نصوص استخرجها من ترتيب المدارك للقاضي عياض، ص 67-68. - محمد فاضل بن عشور إعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص 27. - عبد العزيز المجذوب الصراع المذهبي بإفريقية، ص42-57.

Vonderheyden : Op.Cit, p 131.

([1]) أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية ص 14 (مقدمة المحققين).

([2]) قام نظام الدولة الأغلبية على تبني كل المذاهب الفكري وتشجيعها ونشرها، حتى شاع في عهدها الاعتزال، ووجد الخوارج من صفرية وإباضية مجالا للظهور ونشر أرائهم، هذا إلى جانب المذهب الحنفي الذي أضحى مذهب النخبة، منافسا للمذهب الماكي. وقد اتبع رجال الدولة الأغلبية المذهب الحنفي لما وجدوا في أصحابه من تساهل في الأحكام وتيسير في الفتوى. راجع عبد العزيز المذجوب: الصراع المذهبي، ص105.

([3]) محمد الجودي: تاريخ قضاة القيروان ورقة 4.

الحكم الفاطمي من اضطهاد وتعذيب وملاحقة[1]، بينما كان الأحناف أكثر مرونة وطواعية ورغبة في النفوذ، والسعي للحصول عليه بشتى الطرق[2].

هذا إلى جانب أن الأحناف كانوا يميلون إلى تفضيل علي، وقد فطن "القاضي عياض"[3] إلى ذلك عند قوله بأنها كانت الفيصل في علو شأنهم إبان دولة الفاطميين في بلاد المغرب، ونالوا حظوة عند الخلفاء واحتكروا المناصب لأن كثيرا منهم أخذ بمذهب الدولة خدمة لأغراضه الخاصة[4].

وقام الأحناف تجاه المالكية في العصر الفاطمي بنفس الدول الذي لعبوه من قبل في العصر الأغلبي، فكانوا سوط عذاب وعيونا للنظام الفاطمي على المالكية[5].

([1]) الخشنى: الطبقات ص 173-75. –القاضي عياض: المدارك، ج3، ص341. –الدباغ: المعالم، ج3، ص41.

([2]) أراجع الخشني: الطبقات، ص 517-218-266.

([3]) محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص390.

([4]) اعتنق المذهب الإسماعيلي من الحنفية عدد ليس بقليل، ومن هؤلاء قاسم بن خلاد وإسحاق بن أبي المنهال، وجعفر بن أحمد بن وهب وأحمد بن بحر وأبو عبد الله الكندي، وخليل بن إسحاق الطرابلسي، وأبو بكر بن سلمان، وزارة بن أحمد ومكد بن عمران النفطي. راجع ترجمة هؤلاء الأحناف عند الخشني: الطبقات، ص217-218-226-240.

([5]) المرجع نفسه، ص161.

ويبدو أن الملكية كانوا أقل عناصر السنة تشييعا فشكلوا موقفا معارضا كاد أن يحدق بدولة الفاطميين ودعوتهم الإسماعيلية.

وقد أظهر الفقهاء المالكية اللعنة والبرأة من الوجود الفاطمي[1] وذهب بعضهم لترك المرابطة[2] بالثغور البحرية ضد الروم وتصدوا لقيادة المقاومة في الدفاع عن القيروان لما دخل أبو عبد الله رقادة[3]، إلا أن هذه المقاومة تراجعت على إثر الهزائم التي حلت بالجيوش الأغلبية[4].

وحين اقتحم أبو عبد الله المدن وفتحها، ودخل عاصمة ملك بني الأغلب، بدأ علماء السنة يتخلون عن الدفاع واستسلموا للأمر

---

(1) ومن هؤلاء الفقهاء، أبو يوسف جبلة بن حمود الصدفي من رجال سحنون. –الدباغ: المعالم، ج2، ص191. – المالكي: الرياض: ج2 ورقة 20-25. – القاضي عياش: ترتيب المدارك، ج3 ورقة 25. –الخشني: الطبقات: ص 143. –ابن عذارى : البيان، ج1، ص161.

(2) وهي محرس أو حصن أو قصل كلها ذات مدلول واحد، والرباط هي منشأة دينية حربية إسلامية كانت تقام بالثغر المعرض للعدو اللذود عنه. وأصل اشتقاق هذه الكلمة من فعل ربط، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة الأنفال، آية 60 في قوله: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" ورباط الخيل هنا الخمس، فما فوقها، ولذلك عد الرباط فرض كفاية بحمله من قام به عن بقية المسلمين والرباط، كالمرابطة بفتح الباء، ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل من الفريقين خيله في ثغره. أنظر: لطفي عبد البديع الإسلام في إسبانيا ص 103-104. راجع مادة الرباط عند تاج العروس، ج5، ص141-142.

(3) ابن عذارى: البيان، ج1، ص142.

(4) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الواقع والركون إلى التقية خشية غائلة أبي عبد الله[1]، فخرجوا مع من خرج لاستقبال موكب أبي عبد الله وتهنئته بالفتح[2].

وقد شذ عن هذا الجمع المتخاذل جبلة الصدفى[3] الذي أخذ يهاجمهم في عنف ويرميهم بسخطه ونقمته، ويقاوم اليأس الذي استولى على نفوس أهل القيروان، ويعنفهم على استسلامهم واعتبر أن شأن الفاطميين أخطر من شأن الروم الكتابيين وأشر من المشركين، فمداراتهم تعني المبايعة والدخول في ضلالهم وشركهم[4].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص166. النعمان: الافتتاح ص 140-165-168-173-179 - 213-215، ابن خلدون: العبر: ج7، ص 34-35. - المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص79.

Colvin : Histoire du Maghrib, pp 51-52. Julien (CH.A) Histoire de l'Afrique du Nord, T2, p55. Gauttier : les siècle obscurs, p 342. Andre Negre : La fin de l'état Rustomide, p18. Diel et marçais : Histoire du moyen age TIII, p425.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص17.

([3]) هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدفي من رجال سحنون فقيه زاهد توفي سنة 297هـ/919م حسب رواية الدباغ: معالم الإيمان ج2، ص191 وعن ترجمته راجع نفس المصدر، ج2، ص183. القاضي عياض: المدارك، ج3، ص247. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 20. ابن فرحون: الديباج المذهب، ص103.

([4]) وفي هذا الصدد قال جبلة وهو يلوم من خرج لملاقاة أبي عبد الله الشيعي: "اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه". فقيل له: "أنهم خرجوا له مدارة": فقال: "اسكت أرأيت لو نزل الروم بنا". فقالوا: "إنما ينزلون على حكمنا أو نجاهدهم، هل كان يجوز أن ننزل على حكمهم وأن عشت سترى من أحكام هؤلاء ما هو شر من أحكام الشرك". وأضاف قائلا "كنا نحرس عدوا بيننا

وأورد ابن عذارى أن جبلة قال هذا الحديث قبل وصول أهل القيروان لاستقبال أبي عبد الله الشيعي مما يبين أنهم قد رجعوا من نصف طريقهم إليهم، ولم يذهب لاستقباله إلا القليل، وأضاف ابن عذارى قائلا:

"أنهم انصرفوا أقبح انصراف"[1] وهذا يبين لنا بكل وضوح مدى الخطر الذي توقعه بعض علماء القيروان من الفاطميين، وموقفهم العدائي منهم.

كما اشتهر بعض غلاة الفاطميين منذ بداية عهدهم في بلاد المغرب بالإيقاع بعلماء أهل السنة عامة والمالكية خاصة والإمعان في التنكيل بهم وتلفيق التهم لهم، إذ وشى القاضي المروروذي إلى أبى العباس — الذي استخلفه أبو عبد الله على القيروان سنة 297هـ/909م —910م —بكل من الفقيهين أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن حصين الضبي المعروف بابن البرذون[2] وبأبي بكر

وبينه البحر والآن حل هذا العدو بساحتنا، وهو أشد علينا من ذلك": راجع الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص273. محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص280.

Marcel Peyrouton : Op.cit, p87. Arthur, Pellegrin : Op.cit, p145.

(1) البيان: ج1، ص159.

(2) إبراهيم بن محمد الضبى، هو تلميذ ابن الحداد، راجع القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص41. —المالكي: الرياض، ج2، ورقة 28. - الدباغ: المعالم، ج2، ص178.

ابن هذيل[1]، وكل منهما كان من أعلام زمانه فقها وعلما فقتلهما ومثل بهما في أسواق القيروان[2].

وترى المصادر التاريخية[3] أن الأحناف، وفي مقدمتهم محمد الكلاعي[4] والفضل بن ظفر سعوا[5] بهما بموافقة من القاضي المروروذي إلى أبي العباس بتهمة تفضيل بعض الصحابة على علي[6]، والطعن في شرعية الدولة الفاطمية[7]، وقد اعتبر المالكية هذين العالمين شهيدين، وأطلق على قبريهما اسم قبور الشهداء[8].

الشهداء[8].

([1]) وهو من أعلام المالكية راجع ترجمته عند صاحب ترتيب المدارك، ج2، ص41-42.

([2]) الخشنـــي: الطبقات، ج6، ص216. -القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص207-233-240. -المالكي: الرياض، ج2، ص28. - الدباغ: المعالم، ج1، ص140.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص155. - عياض : ترتيب المدارك، ج3، ص207 - 233-240.

([4]) قال عبد العزيز المجذوب (الصراع المذهبي، ص103) نقلا عن "ابن عذارى"، ج1، ص155. أن محمد الكلاعي تشرق غير أن "ابن عذارى" لم يأت بذلك، ولو كان تشرق لذكره الخشني فيمن اعتنق الدعوة الإسماعيلية. راجع الخشني: طبقات علماء إفريقية، ج6، ص215-2222.

([5]) والفضل بن ظفر هو الفضل بن علي بن ظفر، أديب وفقيه، راجع ترجمته عند الخشني: الطبقات، ج6، ص221. ابنعذارى: البيان، ج1، ص155.

([6]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص155، الدباغ: المعالم، ج2، ص177، 178.

([7]) القاضي عياض: المدارك، ج2، ص212-213.

([8]) الدباغ: المعالم، ج2، ص180-183.

وعندما دخل المهدي القيروان أمر في اليوم الموالي من وصوله، وهو يوم الجمعة بإقامة الدعوة له، وذكر اسمه في الخطبة وأبلغت التعليمات إلى مختلف المناطق الخاضعة له، ونص المرسوم الذي بعثه إلى مختلف المساجد بهذه المناسبة هو:

"اللهم فصل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على أبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولبريتك موئلا وملاذا فانصره على أعدائك المارقين، واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته، وأيده على العصاة الظالمين إله الخلق رب العالمين"[1].

ويبالغ ابن عذارى حين يذكر واقعة دخول عبيد الله المهدي أنه أظهر تشيعا قبيحا، حين سب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يستثن منهم إلا عليا وبعضا قليلا ممن ناصروه، وذلك

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص18. –النعمان: الافتتاح، ص 293-294. – المقريزي: الاتعاظ، ج8، ص92. تراجم أغلبية، ص285.

Janul. Abun Nasr : A History of the Maghrib, p 82. Marcel Peyrouton : Op.cit, p84. ENCY-I- T 25 – Art Fatimite, p 93.

نظرا لخلو خطبة المهدي المشار إليها من الطعن في آل الرسول وصحابته.

وقد أمر المهدي دعاته بالجلوس في المساجد بعد الصلاة لدعوة الناس للدخول في المذهب الإسماعيلي وعلى رأس أولئك الدعاة رجل يعرف بالشريف وقد أجبروا الناس بالعنف والشدة فمن أجاب أحسنوا إليه، ومن أبى عذب أو قتل. وقد أقر عبيد المهدي سياسة القوة وعمل على تغيير المذهب الديني لأهل القيروان بخاصة، ولكن رغم سياسة البطش فإنه لم يستجيب لدعاته إلا القليل من الناس وذلك تحت عامل الخوف[1].

فنجد المالكية امتنعوا عن الصلاة خلف المهدي، وحضور خطبته ومواكبه، ولم يحضرها أحد من أهل السنة بعد هذا[2].

وكان أعنف شخصيات المالكية وأشدهم بغضا وعداء للفاطميين، هو أبو يوسف جبلة الصدفي فقد كان من بين الفقهاء والزهاد الذين لازموا حياة الرباط في قصر الطوب[3]، بجوار مدينة سوسة فلما

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص133.

ENCY-I- Art Ubaid – Allah – Mahdi, p.p 125-126.

(2) محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص285.

(3) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص 251-252. –الدباغ: المعالم، ج2، ص185.

حل المهدي برقاد، هجر الرباط[1]، ولم يكتف عند هذا الحد بل تزعم حركة تهدف إلى تزهيد الناس في حياة الرباط على الثغور، وكان يقول للذين يذهبون إلى الأربطة: "جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك"[2]، وأظهر معارضة للنظام الفاطمي وللتطور الجديد، في أول جمعة أقيمت في رقادة، وأعلن أمام الناس مسؤولية الشيعة عن تعطيل صلاة الجمعة، بقوله: "قطعوها، قطعهم الله"[3].

وكان يهدف من وراء ذلك إلى الدعوة إلى مقاطعتهم في أيام الجمع والأعياد أيضا التي يدعى للفواطم أثناءها بألقاب الخلافة[4].

---

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة، نفسه، نفس الصفحة.

(2) محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص283.

(3) المرجع نفسه: ص 285، غير أن المؤرخ "مارسية" أرخ دعوة جبلة في عهد الخليفة الفاطمي الثاني مع أنه لم يدركه راجع :

(4) إن الخطبة هو الدعاء للخليفة على المنابر في صلاة الجمعة، كما هو رسم قديم من صدر الإسلام إلى حين تقهقر أمر الخلافة الإسلامية، وصار الدعاء للخليفة علامة سلطانه على الرعية، وحذف اسمه علامة خلعه من الخلافة. راجع القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، ج5، ص230. ابن عذارى: البيان، ج1، ص159. المالكي: الرياض: ج2، ورقة 27. – محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص 185، أحمد رمضان: الخلافة في الحضارة الإسلامية، ص 249-250.

وحين علم المهدي بمعارضة أهل السنة عامة والمالكية خاصة عمد إلى نشر مذهبه بحد السيف[1]، وغير من النظم والأحكام بما يتماشى وتعليم المذهب الإسماعيلي. فكان المهدي يميل إلى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبه الإسماعيلي ولا مراء في أن المالكية فضلا عن عدائها المقيت للشيعة نظرت في إنكار وريبة إلى سياسة المهدي الدينية، وبديهي أن تفزع منها فاعتقدوا أنهم يَدفعون بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ويَدَّعُون النبوة بعده ويَدْعُون سنته وشريعته ويَدْعُون إلى غيرها[2].

وقد بدأت محنة أهل السنة، وبخاصة المالكية بإصدار المهدي أوامره للقاضي المروروذي بالتضييق عليهم، فنهبت رباطاتهم[3] ومنعوا من الفتوى وكتابة الوثائق على مذهبهم[4].

والإسماع واجتماع الطلبة[5]، فلقد اعتبرهم أكبر عائق في طريق تحقيق أهدافه، فأوقعهم تحت طائلة العقاب[1] فأوقع بأبي بكر

([1]) ابــن الأثير: الكامل، ج6، ص 193. ابن خلدون: العبر، ج3، ص365. المقريزي، الاتعاظ، ج1، ص66.

([2]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 385.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص151.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([5]) الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص29. أبو عبدلي المهدي: مركز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة، عدد 8 مارس، أبريل، 1972، ص9-10.

محمد بن محمد اللباد[2] الذي سجنه المهدي ومنعه من الفتوى بمذهب مالك والاجتماع بطلابه، فاضطر هذا الفقيه إلى تلقينهم في منزله خفية[3].

أما الفقيه محمد بن العباس الهذلي الذي أصر على الإفتاء وفق مذهب مالك فقد ضرب بالدرة في المسجد عريانا وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وشهر به في أسواق القيروان في سنة 311هـ 925م[4] على يد القاضي النفطي[5] وكان جزاء أحمد بن أحمد بن

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص183.

([2]) وهو أبو بكر محمد بن لباد من علماء المالكية ولد بالقيروان، سنة 250هـ، ومن كتبه فضائل مالك بن أنس: الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص32 – وقد ذكر وفاته ابن قنفد في كتاب الوفيات سنة 352هـ والصواب سنة 333 هـ لاتفاق جمهور من المؤرخين على ذلك. المعالم: نفس الصفحة. –رابح بونار: المغرب العربي، ص245.

([3]) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص345. – ابن عذارى: البيان، ج1، ص188.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص 188.

([5]) هو عبد الله بن محمد بن عمران النفطي كان قاضي على مدينة طرابلس قبل أن يوليه المهدي قضاء القيروان بعد عزل إسحاق بن أبي منهال وذلك في سنة 311 هـ /923م وقيل أنه كان يرتشي في جمع الأموال، فكانت له وسيلة عند المهدي، أنظر عنه الجودي: تاريخ قضاء القيروان ورقة 43، ابن عذارى، البيان، ج1، ص188-189.

زياد الفارسي[1] أكثر فداحة لأنه كتب عقد زواج على شروط مذهب مالك، ولم يمتثل لأوامر المهدي[2].

وكما قتل المهدي في سنة 307هـ / 921م عمروس[3]، المؤذن بعدما ضربه وقطع لسانه بعد أن شهدت عليه جماعة من المشارقة بأنه أذن ولم يقل "حيى على خير العمل"[4] وبذات التهمة لقي محمد بن سحنون ذات المصير[5]، وهناك عدد لا يحصى من الفقهاء ذهبوا ضحية تركهم "حي على خير العمل" من الأذان تعمدا كان أو نسيانا[6].

ومن خلال عرضنا لتلك النماذج التي قاومت السياسة المذهبية العنيفة للفواطم يتبين أن التهم التي كانت تلصق بعلماء المالكية تكون وما مقورنة بالطعن في الدولة وبالفتوى بمذهب مالك وهو ما يمس شرعية سلطة الفاطميين.

([1]) هو أحمد بن زياد الفارسي كان فقيها مالكيا توفي في سنة 319هـ/931م، القاضي عياض: المدارك، ج2، ورقة 335-337.

([2]) الجودي: طبقات إفريقية ورقة 43، الخشني: الطبقات، ص299: عياض: ترتيب المدارك، ج2، ورقة 336.

([3]) هو غمروس المؤذن، ابن عذارى: البيان، ج1، ص182-183.

([4]) الدباغ: المعالم، ج3، ص3. - ابن عذارى: البيان، ج1، ص182 - 183.

([5]) المعالم، ج3، ص3.

([6]) القاضي عياض: المدارك، ج3، ص338. - الورتيلاني: رحلته، ص166.

وقد صب المهدي غائلته على العامة نظرا لتشبثها بمذهب مالك والتي ازدادت تعلقا به لموقف الفقهاء المالكية الصلب من سياسة الفاطميين الجائرة في حق الرعية[1].

وقد وصف "الدباغ" صمود هذه الفرقة بأنهم "قوم إيمانهم مثل الجبال.." [2]، وذكر أيضا أن أبا محمد بن التبان رفض الأخذ بالمذهب الإسماعيلي، وخاطب أبا عبد الله الشيعي: شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه ويرد على اثنين وسبعين فرقة يقال له هذا لو قطعتني في اثنين ما فرقت مذهب مالك"[3]، والقلة التي اعتنقت المذهب الإسماعيلية كانت تحت ضغط ظروف وأسباب، منها تقية من بطش أو سعي وراء تقلد الوظائف الإدارية أو لأسباب اقتصادية أو طمعا في الثراء أو تحت تأزم أحوال عامة[4].

---

(1) الخشني: الطبقات ص 298-301. الدباغ: المعالم، ج3، ص3. ابن عذارى: البيان، ج1، ص182-183.

(2) المعالم: ج3، ص113.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص115-363- المجذوب: الصراع المذهبي، ص207.

(4) لقد أورد كل من الخشني والجودي وابن عذارى قائمة لهؤلاء الذين اعتنقوا المذهب الإسماعيلي تحت ظروف متنوعة، فعلى بن منور الصفار، وأبو بكر العمودي وربيع بن سليمان أخذوا بمذهب الإسماعيلية حين اضطرهم الفقر ومحبة المراتب العالية إذ حصلوا على مناصب

ولكننا لا نستطيع أن نأخذ بكل ما رمين به السياسة المذهبية في عهد المهدي، فكثيرا ما بالغت المصادر السنية في تصوير أساليب العنف والتعسف الذي أنتجه المهدي حيال الرعية من ذلك ما ذكره "ابن عذارى" أن المهدي تمادى في تغيير العقيدة إذ انتهكت حرة المساجد في عهده فقد أدخل جماعة من أتباع المهدي خيولهم في أحد المساجد فنقم القائم بأمر هذا المسجد على هذا الفعل فأجبوه بأن ما يخرج منها طاهر لأنها خيل المهدي فرد عليهم بأن ما يخرج من المهدي نجس فكيف بالذي يخرج من خيله؟ فاتهموه بالطعن في الدولة، وأخبروا المهدي بذلك فقتله على الحين(1).

فارتاع المالكية لمثل هذه الإجراءات لما لها من تأثير في حياتهم الدينية والاقتصادية، إذ هم بعضهم إلى مغادرة رقادة للبحث عن مناطق استقرار جديدة وبعيدة عن الاختلاط برجال الدولة الفاطمية(2)، كما قاطعوا كل من كان يقصدها ويلجأ إليها، تعبيرا

القضاء في أغلبهم الطبقات علماء إفريقية، ص218-266. طبقات قضاة القيروان، ورقة 44، البيان، ج1، ص151.

(1) البيان، ج1، ص284.

(2) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية، ج1، ص210.

عن مدى تمسكهم بمذهب المالكية، ورفض ما سواه من النحل والنزعات[1].

وفي ذلك يحدثنا "التجاني"[2] عن أبى محمد بن يونس بن محمد الورداني[3] أنه حين دخل المهدي القيروان جمع أهله وخيرهم بين أن يرحل عنهم إلى بلد آخر أو أن يخرج إلى البرية يرعى البقر، فرأوا أن يرعى البقر خير لهم من مفارقته وأجابوه إلى ذلك، فكان يحمل مصحفه معه ويبعد عن العمران، ويقبل على القراءة، وإذا جن الليل أقبل بالبقر إلى منزله[4].

وبهذا انعزلت هذه الشخصية عن ميدانها العلمى، وانطوت على نفسها خوفا من أذى وبطش الفاطميين.

وفحوى القول، أن الفاطميين قد أدركوا خطورة موقف المالكية منهم ووجدوا أنهم عقبة في سبيل استقرارهم ونشر مذهبهن في بلاد المغرب الأمر الذي جعلهم يسلكون سبلا متنوعة لمقاومتهم.

---

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(2) رحلته، ص 56-57.

(3) ينتسب إلى وردان، وهي قرية بين المنستير وسوسة، تجاني، ص56، المالكي: الرياض ج2، ورقة 37، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص15.

(4) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص18.

عن مدى تمسكهم بمذهب المالكية، ورفض ما سواه من النحل والنزعات[1].

وفي ذلك يحدثنا "التجاني"[2] عن أبى محمد بن يونس بن محمد الورداني[3] أنه حين دخل المهدي القيروان جمع أهله وخيرهم بين أن يرحل عنهم إلى بلد آخر أو أن يخرج إلى البرية يرعى البقر، فرأوا أن يرعى البقر خير لهم من مفارقته وأجابوه إلى ذلك، فكان يحمل مصحفه معه ويبعد عن العمران، ويقبل على القراءة، وإذا جن الليل أقبل بالبقر إلى منزله[4].

وبهذا انعزلت هذه الشخصية عن ميدانها العلمى، وانطوت على نفسها خوفا من أذى وبطش الفاطميين.

وفحوى القول، أن الفاطميين قد أدركوا خطورة موقف المالكية منهم ووجدوا أنهم عقبة في سبيل استقرارهم ونشر مذهبهن في بلاد المغرب الأمر الذي جعلهم يسلكون سبلا متنوعة لمقاومتهم.

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([2]) رحلته، ص 56-57.

([3]) ينتسب إلى وردان، وهي قرية بين المنستير وسوسة، تجاني، ص56، المالكي: الرياض ج2، ورقة 37، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص15.

([4]) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص18.

وبرغم سياسة القوة التي سلكها الفاطميون مع علماء القيروان فإن بعض هؤلاء العلماء، كثيرا ما عقدوا مناظرات مع الفاطميين وعلمائهم ورجال دولتهم منذ دخولهم القيروان، وبذلك قاوموهم قولا وعملا في المجالين الدين والسياسي. وتكشف كتب طبقات المالطية عن هذه المجالس التي كانت تعقد للمناظرة والقضايا التي كانت تثار فيها وأساليب الجدل والحوار.

وانحصرت هذه المجالس في الدفاع عن مذهب أهل السنة من زيغ الغلاة، وظهر أثناءها دور علماء أهل السنة عامة والمالكية خاصة، ومن بينهم محمد بن نصر بن حضرم، ومحمد بن سحنون، وأبو بكر بن القمودي، وابن برذون، وابن هذيل، وعلى ابن منصور الصفار، وعبد الملك بن محمد الضبي وابن القطان وأبو العرب التميم، وأهمهم شيخهم أبو عثمان سعيد ابن حداد[1].

ولعل ما يشد الدارس عند دراسة نصوص المناظرات التي دارت بين الإسماعيلية والمالكية، أنها ارتكزت حول مسائل دقيقة ومعينة في المجال الديني والسياسي، مثل تفضيل علي، والقياس وصلاة التراويح، ومنزلة السنة في التشريع، وتقديم المفضول على الفاضل، وفضل المعلم على المعلم.

([1]) الخنشي: طبقات علماء إفريقية، ص256.

إن معارضة أهل السنة السلمية كانت خصبة في أثارها وإيجابية في نتائجها إذ انحصرت في مجالس خاصة للمناظرة، ولهذا أفادت الحضارة الإسلامية وأغنت الفكر الديني وعمقته عن طريق استخدام الحجج العقلية والآثار النقلية ونشاط حركة التأليف والخطابة والدعوة.

والظاهر أن كلا الطرفين الإسماعيلي والسني، استفاد من حلقات المناظرة، كما أفادوا جمهور السكان في إفريقية بواسطة الوعي الذي ظهر بينهم، حتى كانت المناظرات تجري في رقادة أو في القيروان[1] تنتشر أخبارها وينقلها الناس بسرعة إلى أرجاء إفريقية، وتبقى مجمع علماء المالكية وردودهم على الشيعة الإسماعيلية حديث المجالس.

وقد شفت أول مناظرة عقدت بمدينة رقادة في سنة 296هـ/909م على اهتمام المنتظرين بالمسائل سالفة الذكر.

وكان أبو عبد الله الشيعي يمثل الشيعة، وناب عن علماء أهل السنة، أبو عثمان سعيد بن الحداد ومحمد بن عبدون، وحماس

(1) المرجع السابق، ص257، طالبي: تراجم أغلبية، ص182، 183، 201.

بن مروان[1]، وكان يدور موضوع هذا المجلس المشترك حول الإجماع والقياس، وإنكار الشيعة لها وإثباتهم أحقية علي للولاية بعد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأن غيره مغتصب لما ليس من حقه، واستند الفواطم على أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم– بأفضليته في التمتع بالعلم في قوله: "أنا مدينة العلم وعلى بابها". كما أشاروا إلى أن أبا بكر، كان يلتجئ إليه، بعد خلافته في كل ما يصعب فهمه ويستعصي حله عن مشاكل، وعلى ذلك فهو أفضل منه على زعمهم. وجاء رأي ابن حداد مقتنعا إلى حد بعيد في قضية الولاية أن ليس المقصود بها أن يكون الناس طوع أمر عبيد الله المهدي، أو من انتسب إليه، وإنما يقصد بها الولاية الدينية، وتقديم الاحترام، والتقدير لعلى ولذريته[2].

وما يمكن استخلاصه من هذا المجلس، أن الخلافات التي كانت قائمة بين العراقيين والمدنيين[3]، زالت واشترك الجميع في

([1]) وهو أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمذاني كان قاضي القيروان في عهد زيادة الله الأغلبي سنة 290هـ/ 902م توفي سنة 303هـ/ 915م. أنظر ترجمته عند ابن عذارى: البيان: ج1، ص 183-194. المالكي: الرياض: ج2، ورقة 57-58.

([2]) المالكي: الرياض: ج2، ورقات 39-43.

([3]) يمكن حصر أسباب الصراع بين المالكية والحنفية في أمور ثلاثة، وهي وأن لم تكن أسبابا مباشرة في كل لون من ألوان الصراع، فهي الأسباب الأصلية وأول هذه الأسباب وأهمها "القول

مناظرة الشيعة الإسماعيلية هذا بالإضافة إلى أنه أول مجلس تناظر جمع الشيعة والسنيين وكانت له هيبة ورهبة عند الفريقين[1].

هذا وقد بدأ ابن الحداد المناظرة، فلم يحجم لهيبة السلطان حتى أن ابنه نهاه عن ذلك إشفاقا عليه، فكان جوابه له: "حسبي من له غضبت وعن دينه ذببت"[2].

وقد أثارت قضية تراويح رمضان نقاشا حادا بين القاضي المروروذي وبعض فقهاء المالكية والحنفية[3].

ولم يشترك ابن الحداد في هذا الجدل في بدايته بالرغم من أنه كان من الحاضرين حتى ظهر عجز أصحابه عن الإقناع لأن القاضي المروروذي احتج عليهم بأن النبي –صلى الله عليه وسلم–

بخلق القرآن" وأخذ الناس عليه وهو ناشئ عن انتحال الأمراء وقضاتهم الأحناف لمذهب الاعتزال.

وكذلك تحليل النبيذ من طرف الأحناف، وهو المحرم تحريما قطيعا لا شبهة فيه لدى المالكية؟ ونال فقهاء المالكية التعذيب والتشريد والقتل لرفضهم القول بذلك. وكما استنكر المالكية العمل بـ "الربا" أو غض النظر عن التعامل به من قبل أولى الأمر. راجع ابن عذارى: البيان ص 109، محمد طالبي: تراجم أغلبية ص 117. المجذوب: الصراع المذهبي: ص66.

(1) الخنشي: الطبقات، ص 257-258.

(2) المالكي: الرياض: ج2 ورقة 39.

(3) يمكن اعتمادا على رواية ابن عذارى تأريخ هذا المجلس في رمضان سنة 296هـ 909م. البيان: ج1، ص151.

لم يقم صلاة التراويح إلا ليلة واحدة ثم قطعها، وأن عمر بن الخطاب هو الذي سنها، وعلى ذلك عي بدعة، فكيف يتفق دعاؤهم التسنن مع استمرارهم في إقامة البدعة.

وجاء رد ابن الحداد اعترافا بأنها بدعة لكنها مستحسنة، ابتغاء الرضوان الله، وثوابه وأما أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– لم يواصل القيام بها في رمضان فذلك لأنه مشرع وخشي أن يتوهم الناس فرضيتها[1].

وحين لم يجد القاضي المرورذي ما يحتج به بسبب وضوح الحقيقة، لجأ إلى أسلوب الترغيب والتهديد باستعمال القوة ضد كل من يقوم التراويح في رمضان[2].

كما جرى نقاش حاد حول منزلة السنة، وحدود القياس، تزعمه من الجانب الإسماعيلي أبو عبد الله الشيعي الذي أنكر على فقهاء المالكية مثل موسى بن عبد الرحمن القطان وابن الحداد

([1]) المالكي: الرياض: ج2 ورقة 22. الدباغ: المعالم، ج1، ص206.

([2]) المالكي: الرياض: ج2 ورقة 22. الدباغ: المعالم: ج1، ص206. وقد تندر بالمروروذي أحد الجالسين فقال له: "لقد لطفت لنا أصلحك الله في قطع قيام شهر رمضان فلو احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤونته كلها". فاستاء المروروذي وزجره بقوله: اذهب عني يا ملعون". ابن عذارى: البيان: ج1، ص150.

عملهم بالقياس[1] وترك القرآن في حديث جرى عن حد شارب الخمر[2] وقد روى ابن القطان حديثا نبويا[3]، أنكره الداعي (أبو عبد الله الشيعي) وتمسك بنص القرآن، فأوضح ابن القطان أن أحد قياسا على حد القذف المنصوص عليه في القرآن لأن مآل المخمور أن يطلق لسانه بما يشين غيره، لأن الشخص إذا سكر هذى وإذا هذى افترى، فوجب عليه ما يؤول أمره إليه وهو حد القذف وكذلك فعل عمر بن الخطاب به[4].

وعندما طعن أبو عبد الله الشيعي في عمر بن الخطاب ووصفه بأنه فر بالراية يوم حنين وأنكر ابن القطان الواقعة بقوله: "ما عرفنا ولا سمعنا بهذا." تدخل ابن الحداد وأوضح أن عمر تحيز إلى فئة ومن تحيز ليس بفار[5].

---

(1) الدباغ: المعالم، ج2، ص206- 207.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحات. الخشني: الطبقات، ص89-90.

(3) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من شربها (الخمر) فاضربوه بالأردية ثم أعاد فاضربوه بالأيدي، ثم إن عاد فاضربوه بالجريد". وقيل أنه حديث غير ثابت عن النبي. مالك بن أنس: الموطأ، ج2، ص195-198.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص185. الدباغ: المعالم، ج2، ص207. الخشني: الطبقات: ص 258-262-264. بن لؤلؤ: عمدة السالك وعدة الناسك، ص66.

(5) الخشني: الطبقات، ص258-262-264.

ويلاحظ في أسلوب هذا الجدل، أنه قد تخللته بعض الحوادث التي قصد بها الإثارة والتأثير، غير أن هنالك مواقف صلبة عبرت عنها بعض الشخصيات، من بينها الفقيه ابن الحداد الذي صمد في وجه الإسماعيلية وثبت على مبادئه، ولم يخش بأسهم، وحين سأله الناس التقية في مثل هذه الظروف أبى إلا الجهر بحمل لواء المعارضة ومناظرة الإسماعيلية.

وعن مناظراته لأبي عبد الله الشيعي يقول "الدباغ"[1] أنه كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة وله في ذلك مقاومات مشهورة وأثار محمودة ناب فيها عن المسلمين أحسن مناب في المناظرة حين أظهر الإسماعيليون تبديل مذهب أهل البلد وأجبروا الناس على مذهبهم[2].

وقد أظهر ابن حداد مواقف صلبة تدل على الثقة بالنفس والإيمان بالله[3] وذلك حين تعرض إلى ظلم الإسماعيلية جهرا أثناء

([1]) الدباغ: المعالم، ج2، ص204.

([2]) المرجع السابق: نفس الصفحة، راجع المجالس الأربعة عند الخشني: الطبقات، ص258-275. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص199 وما بعدها.

([3]) الدباغ: المعالم: ج2، ص210. وقد وصفه ابن القطان لطلبته بقوله: لو سمعتم ابن الحداد في تلك المحافل، وقد اجتمع له جهارة الصوت وفخامة المنطق وفصاحة اللسان وصواب المعاني لتمنيتم أن لا يسكت". حسن حسني عبد الوهاب، الورقات، ج1، ص258-262.

مناظرته لأبي عبد الله الشيعي لما غضب من كلامه رجل كتامي كان حاضرا بالمجلس، يعرف بأبي موسى، شيخ المشائخ وكاد أن يرمي إليه برمحه، فمنعه أبو عبد الله من ذلك موضحا لابن حداد مكانة ذلك الكتامي بين قومه[1].

وقد ازداد تخوف أبا عبد الله الشيعي من افتتان الإسماعيلية بآرائه، فأصبح يكتم عنه مجالس المناظرة[2]، ويترقب حركاته ويتحرى على أعماله وعلاقاته بأصحابه[3].

وحينما وافته المنية في سنة 302هـ/914م-915م طير إليه الخبر قبل غيرهم[4]، فأرسلت البشائر من القيروان إلى المهدي في رقادة[5] وكان موت ابن الحداد نكبة أصابت صفوف المالكية، إذ ترك فراغا كبيرا[6]، وأصبح القدح المعلى في الجدل والتناظر في غير

---

(1) وذلك حين قال أبو عبد الله الشيعي لابن الحداد: "يا شيخ لا تغضب أتدري إذا غضب هذا الشيخ يغضب اثنى عشر ألف سيف"، فقال له ابن الحداد: الدباغ: المعالم: ج2، ص208. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 31. أنظر نفس الرواية في المدارك، ج2- ص303. محمد طالبي: تراجم أغلبية، ص 357.

(2) الدباغ: المعالم، ج2، ص205.

(3) المرجع نفسه، ص 215. حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص258 وما بعدها.

(4) المالكي: الرياض: ج2، ورقة 54.

(5) المرجع نفسه، نفس الورقة.

(6) موسى لقبال: دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص417.

جانبهم، وأحرز الإسماعيليون تقدما في نشر دعوتهم، فاعتنقها الكثير من أهل السنة، وذهب بعضهم إلى الركون في بتيه وإلقاء الدروس سرا[1]، ولعل خير ما يوضح حقيقة دور شيوخ المالكية ومدى تعلق أهالي إفريقية بهم في هذه المرحة، هو قول الدباغ: "جزى الله مشيخة القيروان خيرا، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة..."[2].

وقد تجاوز المالكية المقاطعة السليمة للدولة الفاطمية ليدخلوا مرحلة جديدة في المقاومة، حين أتيحت لهم الفرصة بظهور حركة سياسية[3] اجتماعية[4] لا تخلو من طابع العنصرية البترية ضد الفاطميين وبربر كتامة وصنهاجة المتحالفين مع نظام الحكم الفاطمي[5] تلك كانت حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي النكاري، والتي كانت ميدانا مواتيا لرجال المذاهب المضادة للفواطم، فكل فريق وجد في هذه الحركة ضالته، وفرصته لنيل

([1]) الدباغ: المعالم، ج3، ص34.

([2]) المرجع نفسه، ج2، ص200.

([3]) A.Bel : La Religion musulmane, p150.

([4]) Masqueray E. Chronique d'Abou –Zakaria, p322, Gautier : Op.Cit, pp 354-370. Abbas Hamdani, The Fatimids, p 9.

([5]) الدباغ: المعالم، ج3، ص44.

غرضه أو لإيذاء خصمه. انظم أهل السنة وفقهاء المالكية إلى جانب الخوارج لأنهم اعتبروها أملا وحيدا في الخلاص من حكم الشيعة الفاطميين، وساندوهم بكل قواهم لأن ظاهر الحركة -في البدء- كان سينا، فكان أبو يزيد مخلد بن كيداد يظهر الترحم على أبي بكر وعمر[1] ويحث على قراءة مذهب مالك[2] والالتزام به ويستند في تطبيق قواعد الشرع الإسلامي على مقتضى الكتاب والسنة، ويراقب تنفيذها بواسطة الاحتساب على الولاة[3].

وعقد مجلس بجامع عقبة ضم شيوخ القيروان، تدارسوا فيه مشروعية الخروج مع أبي يزيد مخلد بن كيداد[4]، فلم يروا أية غضاضة في مناصرة ومؤازرة الخوارج لأنهم من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام بينما الفاطميون مجوس زال عنهم اسم المسلمين على زعمهم[5]، فقد رأى أبو إسحاق السبائي أن محاربة الفاطميين، تكفير عن تفريطهم وتقصيرهم في واجبهم الديني[6].

([1]) القاضي عياض: المدارك، ج3، ص320-321. ابن عذارى: البيان، ج1، ص216.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص138.

([4]) المالكي: الرياض، ج2، ورقة 164.

([5]) المرجع نفسه، نفس الورقة.

([6]) الدباغ: المعالم، ج3، ص34.

وقال الفقيه ربيع القطان، وهو من جملة من أجازوا الوقوف إلى جانب الخوارج في حربهم للفاطميين "أنا أول من يشرع في هذا الأمر، ويخرج فيه ويندب المسلمين ويحض عليه"[1] فخرج ربيع القطان على رأس الفقهاء إلى المصلى بالسلاح والعدة[2]، فدعى الناس إلى الجهاد والانضمام لأبي يزيد فاستجابوا له، وجاب شوارع المدينة برجاله في تظاهر عسكري، فتظافرت جهود أهالي القيروان إلى صفه[3]، فأمر بإعداد لوازم الحرب وحدد موعد لتجمعهم في المسجد، فخرج بعد ذلك الفقهاء شاهرين البنود والرايات تحمل شارات مختلفة وتميزت عن بعضها بألوان خاصة[4].

وقد حوت هذه العشارات أسباب الغضب من الحكم الفاطمي فارتكزت على مبدأ وحدة الإله ونبوة محمد – صلى الله عليه وسلم–[5] وفضل الخلفاء الراشدين، وإهمال علي بن أبي طالب

([1]) المرجع نفسه، ج3، ص37. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 164.

([2]) الدباغ: المعالم، ج3، ص37.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([4]) المرجع السابق، ج3، ص39.

([5]) كتبت على أحد البنود: "لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا حكم لله وهو خير الحاكمين".

وتفضيل أبي بكر عليه.[1] كما تجدر الإشارة إلى أن هذه العشارات قد اتخذت بعض شعارات الخوارج الأوائل مجاملة لأبي يزيد زعيم الحركة المسلحة ضد الفواطم، واشتركت قوات المالكية مع الخوارج في معارك عديدة لتحرير مدن إفريقية[2]، ولكن تغيرت الأحوال أثناء حصار المهدية[3] إذ بدأت مظاهر الخلاف والشقاق تظهر بين المالكية وأنصار أبي يزيد من الخوارج، وذلك أنه بعد أن استراح مقاتلوا أهل القيروان من مشقة الطريق، طلب أبز يزيد من شيوخهم تجديد البيعة له لمجاهدة الفاطميين، ويبدو أن هؤلاء قد جددوا —هذه المرة– البيعة على خوف وتردد[4].

([1]) وهما بندان كتب على الأول بعد البسملة "محمد رسول الله"، وأبو بكر وعمر الفارون" وكتب على الثاني وهو أكبرهم "إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا". سورة التوبة. آية 40.

([2]) Kenneth Perkin : Op.Cit, p36.

([3]) ابن الأثير: الكامل: ج8، ص166. العبر: ابن خلدون: ج4، ص41– التجاني: رحلته، ص27.

([4]) وفي هذا الشأن قال الفقيه أبو إسحاق السبائي: كنا بمناخ أنا والمسمى وربيع ومروان، وأبو العرب وجماعة إذ خرج أبو يزيد، فقال: "بايعوني فإن النبي صلى الله عليه وسلم– لم يخرج إلى غزاه ولا بعث حتى جدد البيعة في أعناق أصحابه فسكتوا بأسرهم. فقال أبو إسحاق: نعم نبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله ومذهب مالك. قال: فإذا ألم؟.. فقلت فأنت رجل من أهل القبلة توحد الله خرجت لجهاد أعداء الله فخرجنا ننصرك عليهم، فوثب أبو يزيد، وقال: لا بأس إذا. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 83.

فأدرك أبو زيد تحول موقف المالكيــة حين زحف بهم على المهدية سنة 333هـ/944م[1] والتقى الجمعان بموضع يعرف بالوادي المالح[2]، وفيه انهزمت جيوش أبا يزيد وذهب ضحيتها عدد لا يحصى من أهل القيروان[3] كما قتل فيها جماعة من فقهاء المالكية في مقدمتهم ربيع القطان، وأبو الفضل المسمى حيث كان لفقدهما أثر بليغ في القيروان[4]، فلم يجد أبو يزيد أمامه غير التراجع إلى قاعدته.

وتعزى بعض الدراسات الحديثة مقتل هذا العدد الكثير من أهل القيروان إلى اضطرار أبي يزيد إلى التراجع أمام قساوة الحصار وشدة القتال مما أدى إلى انكشافهم والنيل منهم[5]، غير أن المصادر السنية ترى أن هذا الانكشاف كان مقصودا حتى يتخلص

([1]) الجوذري: ص 52. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 141. الدباغ: المعالم، ج3، ص34-88.

([2]) يقع بين مدينة تماجر والمهدية. البكري: المغرب، ص20.

([3]) قيل أربعة آلاف ما بين عابد وعالم صالح. ابن الأثير: ج8، ص167. المقريزي، ج1، ص115.

([4]) راجع ما قيل من رثاء في حق هؤلاء. المدارك، ج 2، ص72.

([5]) عابد على قيام الدولة الفاطمية، ص254.

من شيوخهم وأئمتهم، ويحمل اتباعهم على ترك المالكية والدخول في مذهبه[1].

ولا يمكن القطع بهذا الرأي إذ أن المالكين أنفسهم كانوا لا يملكون الولاء لأبي يزيد منذ البداية ويدل على ذلك قول إسحاق السبائي في اجتماع مشيخة القيروان، وهو يشير بيده إلى عسكر أبي زيد: "هؤلاء من أهل القبلة، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة (يريد عسكر الفاطميين) فعلينا أن نخرج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتال من على غير القبلة (وهم بنو عبيد الله). فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد لأنه خارجي والله عز وجل يسلط عليه إماما عادلا فيخرجه من بين أظهرنا ويقطع أمره عنا"[2].

كما لا يفوتنا أن قوة المالكية كانت تعوزها الخبرة والكفاءة القتالية وفنون الحرب من حمل السلاح واستخدامه إذ لم يكن يدفعها سوى الحماس الديني، وحتى هذا الجانب كان ينقصه

([1]) مجهول: الاستبصار، ص205. ابن فرحون: الديباج المذهب، ج3، ص41. ابن خلدون: العبر، ج4، ص42.

([2]) المالكي: الرياض، ج2، ص163.

الجرأة والإقدام[1]، وهذا تأكيدا لقول "ابن خلدون" بأن العلماء، هم بالطبيعة أبعد الناس عن معالجة شؤون السياسية[2].

وعلى أية حال فقد مثلت هزيمة وادي المالح تحولا خطيرا في الرأي العامل السني إزاء أبي يزيد وثورته، فانصرفوا عنه، وعولوا على العمل مستقلين تحت طاعة العباسيين[3] غير أن الخوارج لاحقوهم واستأصلوا شأفتهم[4]، ثم ما لبث أن تحول الصراع لصالح الفاطميين، فحلت الهزائم بالخوارج حتى قضى على ثورتهم، وقامت أهالي القيروان بالدعاء للقائم بأمر الله الفاطمي وقد حذا حذوهم أهل السوسة وتونس، وباجة. غير أن أبا يزيد هادن مدينة القيروان وسكنها مداراة لأهلها، كما أخضع تونس وباجة بالسيف وذلك على يد ابنه أيوب[5] وسرعان ما سقطت هذه المدن في قبضة الفواطم[6].

([1]) سنوسي: زناتة والخلافة الفاطمية، ص217-218.

([2]) المقدمة، ج2، ص442 وما بعدها.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص168.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص42.

([5]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص107. ابن أبي دينار: المؤنس.

([6]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 169.

وحين نفرت الأهالي من أبي يزيد، واتهموا بالتخاذل، تصدع بذلك التحالف السني الخارجي، وهكذا فشل المالكية في مواجهة الفاطميين عسكريا.

ولما ظفر المنصور بأبي يزيد نهض إلى القيروان فدخلها وأنزل بأهلها الويلات فقتل عددا لا يحصى منهم[1]، غير أنه حين خاف عاقبة أمره وتوقع قيام ثورة مالكية جديدة ضده[2]، سلك سياسة التودد والتقرب لأهل السنة عامة فأظهر تعظيما لهم، كما أمنهم على أرواحهم وأموالهم[3] وبرهن لهم على حسن نواياه نحوهم، وأنه سوف لا ينهج سيرة سلفه، وأنه سوف لا يتعرض لمذاهبهم[4].

والواقع أن المنصور لم يكن يرغب بذلك غير كسب أهالي بلاد المغرب، ومما يؤيد ذلك أنه أدخل إصلاحات عديدة في السياسة العامة للبلاد بأن أسقط نظام القبالات عن الرعية نظرا لتدهور أحوالهم الاقتصادية خلا أهل برقة لموقفهم القديم مع المهدي

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص220.

(2) المجذوب: الصراع المذهبي في بلاد إفريقية، ص201.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص74.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص171. ابن الأبار: الحلة السيراء: ج 2، ص388. ابن خلدون: العبر، ج4، ص168.

واثخانهم في جند كتامة[1]، كما عمل المنصور على ملاينة ومداجنة المالكية بأن أقر أبا أحمد بن أبي الوليد على المظالم[2]، كما عهد بالقضاء إلى أبي عبد الله محمد بن أبي منظور عبد الله بن حسن الأنصاري[3].

وذهب المنصور إلى أن أخذ الغلاة من دعاته، فحلق لحاهم ونفاهم وقال لأهل القيروان "من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله —صلى الله عليه وسلم- فاقتلوه فإني معكم ومن ورائكم، وترك الناس على حرية في مذاهبها"[4].

ويبدو أن ابن النديم[5] أتى بخلاف ذلك فقال بأن المنصور ابتعد عن ممالآة أهل السنة ففي سنة 340هـ/951م عم الاستخفاف بالشريعة، ونكل ببعض علماء المالكية بتهمة عدم الالتزام بالعقيدة الإسماعيلية.

([1]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

([2]) المقريزي: الاتعاظ، ج8، ص133.

([3]) أنظر ترجمته عند الدباغ: المعالم، ج3، ص45-57. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 171. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص133. راجع محمد علي مكي: التشيع في الأندلس، ص115 الذي اعتبر هذا الفقيه من المالكية الذين أفلح الفاطميون في ضمه إلى صفهم بعد أن نجحتن دعاياتهم في اجتذابه من الأندلس.

([4]) دلائل النبوة: ص 183. نقلا عن أصول الإسماعيلية والفاطمية ليونارد لويس.

([5]) الفهرست، ص 266.

فقد رفض بعض رجال الدولة إلى المنصور أن ابن أبي المهزول وهو من شيوخ أبي إسحاق السبائي، لا يقرأ البسملة في صلاته ولا يقول المؤذن عند الأذان "حي على خير العمل" فكتب إلى عامل القيروان أن يأمرهما بالرجوع عن ذلك فلم يفعلا، وراجعهما غير مرة، فلم يرجعا، فبعث إليهما من يشهد فعلهما، فأتى كتاب المنصور إلى عامله بقتلهما، ولكن الموت كان أسبق إليهما منه ودفن أحدهما بعد آخر[1].

وقد تركت هذه الواقعة أثرا مريرا عند المالكية، فأدركوا شدة المنصور اتجاههم، حتى امتنع الحسن بن نصر أن يلي له قضاء سوسة حين عرضه عليه في سنة 341هـ/952م، فمال المنصور إلى تعيين الشافعية في هذا المنصب فازدادت الجفوة في العلاقات بين المالكية والإسماعيلية.

وتشدد الفاطميون في تعذيب وقتل كل مخالف لأوامرهم، من ذلك صلبهم لقاضي برقة المالكي أبا عبد الله محمد بن إسحاق الجبلي لأنه لم يفطر بالإفطار الإسماعيلي[2] وهكذا فقد روعت

([1]) المالكي: الرياض، ج2، ورقة 179.

([2]) وقد ذكر الدباغ أن أتى عامل برقة المعروف بابن كافي إلى القاضي الجبلي وأعلمه بأن غدا العيد، فقال القاضي أن رئى الهلال الليلة كان ما قلت وإلا فلا يمكن أن آمر الناس بالفطر في رمضان، وأتقلد ذنوبهم فقال له: بهذا وصل إلى كتاب مولاي – يعني المنصور– فالتمس الناس

سطوة المنصور بالجبلي وأدت إلى انفصام ما اتصل من ود مصطنع بين المالكية والفاطميين[1]، وكان من أثر ذلك أن أخلد الأهالي إلى السكون داخل بيوتهم لا يبارحونها إلا للضرورة.

وخلاصة القول، أن فترة حكم الخليفة المنصور التزم فيها المالكية بالحذر. وحين تولى المعز لدين الله الحكم، سلك سياسة التودد والتقرب إلى المذاهب المختلفة عامة والمالكية خاصة، صرف أمور الدعوة في أول عهده تصريفا لينا لحرصه الشديد[2] على عدم إثارة حفيظة أهل السنة لعامتهم والمالكية خاصة بالاجتماع والفتيا والتعليم وكتابة الوثائق على مذاهبهم، وتساهل معهم كثيرا في هذا المجال الفكري حتى انتعشوا في عهده إنعاشا كثيرا[3].

الهلال. فلم يروه فأصبح العامل إلى القاضي بالطبول والبنوذ وهيئة العيد فقال القاضي: و"الله لا أخرج، ولا أصلي، ولا أفطر في يوم من أيام رمضان، ولوم علقت بيدي، فمضى العامل فأقام الخطبة وصلى بالناس، ونقل الحدث إلى المنصور، فأمر بقتله. المعالم: ج3، ص20-21، ورد أيضا عن الرياض: ج2، ورقة 192. ابن عذارى: البيان، ج 1، ص190. المجذوب: الصراع المذهبي، ص177.

Djait, Talbi, Dachraoui, Douib : Histoire de la Tunisie au moyen age, p234.

([1]) Djait, Tabli, Dachraoui, Douib : Op.Cit, pp.233-235.

([2]) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص55.

([3]) أنظر ابن الأثير: الكامل ج7، ص65-84. الدرجيني: طبقات الإباضية: ج1، ورقة 142-143. ابن عذارى: البيان، ج1، ص221، 229. خطط المقريزي، ج1، ص351. أبو شامة:

ورغم الحرية الدينية – إن صح هذا التعبير– التي تمتع بها السنيون عامة في عهد المعز إلا أن المالكية قابلوا ذلك بالتثاقل فوقفوا موقفا حذرا من هذه السياسة[1]، غير أن أخبارهم كانت ترد إلى المعز على غير ما يشتهي فيمهلهم ولا يهملهم ويصلهم ولا يقطعهم، ويتلطفهم، ولا يتجهمهم[2].

وكثيرا ما كان أبو إسحاق السبائي[3] يكثر من ذم الفاطميين، ويحذر الأهالي منهم، إلى أن اجتمع المعز بقاضيه عبد الله بن هاشم المالكي لعله ينهي السبائي عن فعله هذا في مطاردته لهم[4] إلا أن المحاولة لم تأت بنتيجة غير تصلب موقفه تجاه الفاطميين ودعوتهم[5]، الأمر الذي دفع المعز مرة أخرى لطلب لقائه من أجل استمالته إلى جانبه[1].

كتاب الروضتين: ح 1، ص153. البكري: ص 74. ابن الخطيب، ص57. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص98.

([1]) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص41.

([2]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ص392-397.

([3]) المالكي: رياض النفوس، ج2، ص142. الدباغ: المعالم، ج3، ص88-92. ابن فرحون: الديباج المهذب، ص85.

([4]) القاضي عياض: المدارك، ج2، ص81.

([5]) لقد أدرك المعز خطورة الفقيه السبائي حين قال لخاصته "أعد لنا السلاح، وتبرص بنا الدوائر وكفرنا، وشتمنا، وعلم الناس الجرأة علينا حتى تناكر الكبير والصغير". عياض: المدارك، ج2، ورقة 83.

فبعث إليه من يأته به فخرج السبائي إلى رسول المعز وعليه آله الحرب، وقال للرسول: "عاهدت الله على أن لا ألقى أعداءه إلا محاربا"[2].

وعلى ضوء ما نقلته الروايات التاريخية فقد ظل أبو إسحاق السبائي مطلقا لسانه وشاهرا سلاحه على الفاطميين إلى أن وافته المنية في سنة 336هـ / 967م[3]، وتمت مراسيم جنازته بتدبير شديد مخافة ردود فعل المالكية، إذ أمر المعز والي القيروان[4] بحفظ الأمن وتهدين الأهالي أثناء سير الجنازة[5].

وهكذا صمد المالكية للبلاء، وتحصنوا بمالكيتهم، وجعلوا مذهبهم قوام أمرهم وعنوان قوتهم[6] وذكرت المصادر التاريخية أنه كان يؤذن بآذان أهل السنة، ولا تذكر عبارة الشيعة "حي على

---

(1) المرجع نفسه: نفس الورقة.

(2) راجع المعالم: ج3، ص91. المالكي: الرياض، ج2، ورقة 224.

(3) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص 198.

(4) وكان والي القيروان، أبو علي عسلوج بن الحسن الديهاجي من كتامة المدارك: ج2، ورقة 83. الاتعاظ، ج1، ص 198.

(5) القاضي عياض: المدارك، ج2، ورقة 83.

(6) محمد المولى: القوى السنية في بلاد المغرب، ج1، ص537.

خير العمل" في عهد المعز نظرا لطبيعة العلاقات المذهبية بين أهل السنة والإسماعيلية على أيامه[1].

ومن خلال ما تقدم يبدو أن المعز تأكد أن أسلوب القهر الذي نهجه سابقيه لم يجد نفعا مع السنيين عاود معهم سياسة المداجنة والتلطف، غير أن سياسته هذه عجزت أمام صمود موقف المالكية الذي كان يشكل خطرا حقيقيا على حكمه في بلاد المغرب، الأمر الذي دفع بعض الدراسات الحديثة إلى القول بأن نجاح المالكية وتصلبها كان سببا في انتقال المعز إلى ديار مصر[2] ولا شك في أن موقف المالكية قد جعل حكم الفاطميين لا ينعم بالاستقرار، غير أنه تنوعت أسباب هذا الحدث التاريخي.

وفحوى القول أن المالكية، قاطعوا الفاطميين اجتماعيا ودينيا من جهة، كما قاطعوهم اقتصاديا من جهة أخرى فرفضوا كل صلات وهبات الخلفاء، التي أرادوا استمالتهم بها إلى جانبهم[3] تلك كانت مواقف فقهاء المالكية أمام الدعوة الإسماعيلية وإن

([1]) الدباغ: المعالم، ج3، ص95.

([2]) راجع مقدمة رياض النفوس للمالكي تحقيق حسين مؤنس، ج1، ص 17-18- عبد المولى: المرجع السابق، ج1، ص543.

([3]) الخشيني: الطبقات، ص 298. ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 89. المالكي: رياض النفوس، ج2، ورقة 124.

كانت تمثل في مجملها مقاومة سلبية، فقد شكلت إحدى جوانب المعارضة للوجود الفاطمي في بلاد المغرب[1].

ارتبطت نهاية دولتي الخوارج في المغرب بظهور الدعوة الشيعية الإسماعيلية فقيام الخلافة الفاطمية في سنة 297هـ/909م تم على أنقاض الدولة المستقلة في المغرب، ومن بينها دولتي بني مدرار[2] وبني رستم[3] الخارجيتين.

(1) Burtlot : La civilisation Islamique, p 134. Biquet : Histoire de l'Affrique pp 62-63. Nicholson.J, An account of the establischement of the fatimid dunasty in africa, p.p 26-30. Vonderheyden.M: La Berberie orientale, p 34.

(2) راجع قيام الدولةعند ابن خلدون: العبر، ج6، ص 129. – البكري: المغرب، ص149. – مجهول الاستبصار، ص200. – القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص163. –الاصطخري: المسالك، ص34.. كولين، مادة سجلماسة، دائرة المعارف الإسلامية، ص298.

Gautier : op.cit, p 292. Mercier : Histoire de l'Afrique septentrionale, VI, p243. Marçais (G) : La berberie musulmane, p143. Fournel : op.cit, VI, p351. A Bel : op.cit, p95. Bique : Histoire de l'Afrique, p47.

(3) الدرجيني: طبقات الإباضية، ج1، ورقة 9-16. –أبو زكرياء السيرة، ص54. –ابن خلدون: العبر، ج6، ص121. –البكري: المغرب، ص67. –الشماقي: السير، ورقة 123.

Dengel Gerard : l'immat Ibadite de tahert (761-909), p.p 15-50. Lewicki Tadeusy, Etudes Ibadite, pp 35-38. Une chronique Ibadite, pp 20-40. Marçais (G) et Lamarred : Thiert, Tagdemt (R.A) TXCG année. Alger 1946, pp 150-156. Moutylinnski A dec l'aquida des Abadhites, pp 57-60.

ويبدو أن أول نظام زال في بلاد المغرب بعد معركة الأربس وسقوط الإمارة الأغلبية هو نظام الإمامة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط وجبل نفوسة.

ويلاحظ أن هذه الإمامة، التي كانت تجمعا قبليا ألف بينها المذهب والحلف والعصبية التي لم تعرف الوحدة والتماسك إلا في ظل مؤسسها عبد الرحمن بن رستم[1] وفي عهد ابنه، عبد الوهاب وإن قل عراها وهي الفترة التي كانت العصر الذهبي للأباضية.

وقد تكاتفت أسباب سقوط الدولة الرستمية، حين هرمت وشاخت وأضعفتها الفتن الداخلية خاصة[2]، فقد ضعفت شوكة الأباضية فلم يهتموا بأئمتهم، فتكالبت القبائل والطوائف، وعملت على فك عرى الدولة، هذا بالإضافة إلى فقدان الاهتمام بالجيش المنظم فقد أهمله الرستميون رغم الفتن والثورات والحروب التي

([1]) أبو زكريا: السيرة، ص4. – الدرجيني: طبقات الإباضية، ج1، ورقة 20-21. – الشماخ: السيخ، ورقة 140. – ابن الصغير: أخبار أئمة، ص 25-37-45. – محمود إسماعيل: الخوارج، ص153. إبراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص 101-112.

Smith : The Ibadites, p279. Faroughy : Persia, dvnasty in North Africa the Rustamides, p14. Julien (CH.A) : op.cit, p333. Gautier: op.cit, p300.

([2]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 34-35. أبو زكريا: السيرة، ص66-77. الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص240.

مرت بهم، بقوا طول عهدهم يعتمدون على المتطوعين[1]، الذي يكونون غالبا من الأباضية، وبالتالي عندما ضعف هؤلاء وتقلص عددهم بمرور الأيام، بلغت الدولة الشيخوخة، واستسلمت بكل سهولة لأول غاز لها سنة 296هـ/909م، ولجأت الأباضية إلى الكتمان من جديد بعد أن سادت ردحا من الزمن في المغرب الإسلامي ولا يفوتني هنا، أن أشير إلى بعض ملاحظات المؤرخين المحدثين الذين يرون أن تاريخ الدولة الرستمية سلسلة من الفتن والثورات، وأنها لم تعرف الاستقرار[2] فلا أكون مبالغة إذا قلت أن أولئك قد غالوا في مقالاتهم، ويبدو أن الدافع لهم إلى ذلك اعتمادهم الكلي على "ابن الصغير"[3] الذي كتب خصيصا

([1]) علي يحيى معمر: الأباضية، ج4، ص50-51، حيث يقول معمر "فالدولة الرستمية هي الدولة الوحيدة في ذلك الحين، التي ليس لها جند قابع في الثكنات ينتظر التعليمات ويحلم بالمكاسب والغنائم من وراء الحرب والغارات". ويعتقد البكري أن الرستميين لم يكن لهم جيش منظم في البداية ولكن ابتداء من الإمام الثاني أصبحوا يملكونه. وإن كان صغيرا ثم أن جيشهم لم يكن له دور بارز. شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا، ص47، إحسان عباس: المجتمع التاهرتي: الأصالة، عدد 45-34.

Berki- Chikh : Le Kharijisme, pp 73-75. Dengel : op.cit, p130.

([2]) ابن تاويت: دولة الرستميين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م5، عدد 1-2، ص115. محمود إسماعيل: الخوارج، ص 170-182. الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص72.

([3]) وعند هذا الشأن قال ابن صغير "وكان البلد قد فسد، وفسد أهلها.... واتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان إخوانا" و"عجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة من سفهاء، زناتة. أخبار الأئمة، ص 25-26-37.

في تفصيل الفتن أسبابها ونتائجها، مما أظهر الدولة الرستمية وكأنها عاشت كل تاريخها في الفتن، رغم أن "ابن الصغير" يشير بكل وضوح من حين لآخر إلى فترات الهدوء والاستقرار والازدهار، ويبدي إعجابه البالغ كلما اقتضت الضرورة ذلك.

ورغم أن أبا عبد الله الشيعي، لم يكن في نيته عندما فارق رقادة غير مشروع تحرير عبيد الله المهدي من سجنه خوفا على مصير الحركة الإسماعيلية إذا لم يأت صاحب الدعوة وإمام الزمان[1] إلا أنه مضى قدما، في تنفيذ فكرة ضم أملاك الإمامة الرستمية بعد تصفيتها إلى إطار الحركة الإسماعيلية لاطمئنانه إلى سهولة الأمر[2] بسبب استعداد السكان[3]، وعدم الخوف من أية ردود فعل داخلية أو خارجية قد تعطل حركة سيرة نحو سجلماسة وهي هدفه البعيد[4]، واحتمال تدخل الأمويين في الأندلس لصالح الإمامة بعيد، رغم ما كان بين الإمارة الأموية ونظام الإمامة عن علاقات مودة وصداقة، وتعاون، لأنهم كانوا منشغلين بمشاكلهم

([1]) المرجع نفسه، ص45-48.

([2]) موسى لقبال: دور كتامة، ص340.

([3]) Biquet : op.cit, p71.

([4]) أبو زكريا: السيرة، ص164.

الداخلية[1] في شبه الجزيرة ومن أخطرها تمرد عمر بن حفصون ضد الإمارة في قرطبة[2].

كذلك كان الأدارسة في وضع سياسي غير مستقر، ولم تكن علاقتهم وماضيهم يسمحان لهم بالتحرك لنجدة فئات من الخوارج[3].

ومع اقتناع الداعي بأهمية ضم تيهرت وسهولة ذلك في ظل أوضاعها الدقيقة، فإنه احتاط للأمر خيفة ظهور مفاطآت قد تقضى على بعض من أنصاره، فأرسل رسلا إلى الإمام اليقظان بن اليقظان[4] يطلب الاجتماع به خارج المدينة، فسعى إليه الأخير بأبنائه ورجاله، وأثناء المحاورة التي جرت لجس النبض أساء

([1]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص232.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج2، ص199 وما بعدها، وقد امتدت الثورة، ابن حفصون من عهد الأمير المنذر إلى عهد عبد الرحمن الثالث: ابن حزم: نقط العروس، ص75.

Levi- Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane, TI, p300.

([3]) موسى لقبال: دور كتامة، ص341.

([4]) تولى أبو اليقظان بن اليقظان الأمامة سنة 290هـ. أنظر ابن عذارى: البيان، ج5، ص149. الباروني: الأزهار، ج2، ص291. السوفي: شرح السؤلات: ورقة 99، بدار الكتب رقم 21189. محمود إسماعيل: الخوارج، ص 181. ابراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص 127. لا يعترف الأباضية بأمامة اليقظان بن أبي اليقظان ولا أمامة يعقوب بن أفلح، لذلك فهم يتوقفون عند الإمام أبي حاتم ومنهم من يتوقف عند أبي بكر أيضا، أنظر معمر: الأباضية، ج4، ص83.

أبو عبد الله لمقام الإمام الرستمي وتجاهله، وخاطبه من مركز القوة[1].

وتظاهر الداعي أمام السكان، بمنح الأمان العام للجميع ووعد بالتسامح مع الطوائف غير الشيعية، وأرسل من مكانه —خارج المدينة من يشيع هذه الاتجاهات، لتطمئن النفوس[2].

وهكذا تمكن رجال أبي عبد الله الشيعي من دخول تيهرت أمانا، وبدون أدنى مقاومة في شوال 296هـ/يونيو 908م[3]، ثم ما لبث أن تنكر جند كتامة لوعودهم السابقة بالأمان والتسامح وارتكبوا أفعال سيئة ضد السكان[4].

وتشير النصوص الأباضية إلى حادث استيلاء أبي عبد الله الشيعي على المكتبة المعروفة بلقب "المعصومة" في مدينة تيهرت التي كانت على جانب كبير من الغنى والأهمية فأخذ منها

([1]) وفي ذلك قال أبو عبد الله مخاطبا أبا اليقظان: "ما بالكم قتلتم أميركم وسلبتم من أنفسكم ملككم، وأطفيتم نور الإسلام وألقيتم إلينا بأيديكم بغير قتال ولا حصار. "أبو زكريا: السيرة، ص 169-170. الباروني: الأزهار، الرياضية، ص293.

([2]) موسى لقبال: دور كتامة، ص341.

([3]) الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص293. - ابن عذارى: البيان، ج8، ص . والغريب أن الدكتور محمود إسماعيل يجعل سقوط تيهرت سنة 297هـ بينما تتفق جميع المصادر على أن سقوط تيهرت كان سنة 296هـ في شوالا، أنظر: الخوارج، ص182.

([4]) André Angre : op.cit, p19.

أمهات كتب الرضاية، والصنائع وما شابهها من الكتب الفنية والعلمية، وأحرق بقية الكتب والآثار المذهبية، ومن ثم فقدت أغلب هذه الأصول المذهبية[1]، وغدا رجال المذهب الأباضي بدون مصادر مذهبهم لأول مرة[2].

ويبدو أن هذه الدعوى، تفتقر إلى السند التاريخي الصحيح، ولا يوجد ما يؤيدها، في النصوص التاريخية السنية والإسماعيلية أيضا، فقد عرف عن أبي عبد الله الشيعي احترامه للأثار الأدبية القديمة وعدم اللجوء إلى أسلوب الحرق والتخريب إلا لضرورة حربية، وهذا عندما تستعصى المدن المسورة، ويتمادى سكانها في المقاومة، وفي إظهار العناد مثلما جرى ذلك في مدينة الأربس، وفي بلزمة، وسجلماسة حين استخدم النار، لحرق الأبراج، أو بعض الأماكن المحصنة، أو الهامة للمعارضين له، ولم يؤثر عنه أنه عمد إلى حرق الكتب، والأثار الأدبية[3].

([1]) أبو زكرياء: سير الأئمة، ص 180. – البارون: مختصر، ص49. الدرجيني: الطبقات، ج1، ص94-95 (النسخة المطبوعة).

([2]) ومن ضمن المصادر، ديوان تيهرت الذي هو عهدة طائفة العزابة في الأحكام أبو زكرياء: سير الأمئمة، ص180، ويقول الشماخي في هذا الشأن أن بقيت نسخة عمروس ينتفع بها الأباضية ولولاها لبقى أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه. السير، ورقة 228.

([3]) موسى لقبال: دور كتامة، ص345.

ولم تشر النصوص التاريخية إلى اتخاذ أبي عبد الله الشيعي سياسة حرق الكتب المذهبية سواء في رقادة، أو في القيروان، أو في سجلماسة، كذلك تبدو الرواية الأباضية فريدة، ودفع إليها فيما يظهر، الغضب والكراهية والرغبة في التشهير وإظهار العداء للشيعة[1]، وتلك صفات بقيت تلازم الأباضية[2].

وفي هذا السياق، تذكر الروايات التاريخية الأباضية أن أبا عبد الله الشيعي حين دخل تيهرت أمر بقتل الأمام اليقظان، وأبنائه وأخوته وسائر من ينتمي إلى البيت الرسمي ولم ينج إلا من هرب ملتجأ نحو وأرجلان[3].

وفي صحراء بني وارجلان استقبلهم شيخ أباضية الجهة وعالمهم أبو صالح جنون بن يمريان[4] بما يليق بمكانتهم كأعضاء في بيت الأمامة الرستمية وعرض عليهم مشروع إعادة إحياء نظام الأمامة

([1]) الوارجلاني: الدليل لأهل العقول: ج1، 29-32.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحات. وفيه يقول: "وأما الشيعة الجهلة رواضهم وغاليتهم فانهم قدحوا في الإسلام والنبوة والألوهية". يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، ص31.

([3]) أبو زكريا: السيرة، ص171.

Biquet : Op.cit, p71. Ency-I- Art Rustomide, T3, p1270.

([4]) أنظر: الباروني: الأزهار الرياضية، ص294.

في هذه الجهة لكنهم رفضوا هذا العرض لأنه غير عملي، بسبب صعوبة البيئة وعدم وجود القوة اللازمة لحماية النظام الجديد[1].

ويبدو أن مشروع إحياء نظام الأمامة، وإيواء الفارين من البيت الرسمي اعتبرا عملين موجهين ضد الحركة الإسماعيلية، ولذلك أمر عبيد الله المهدي – بعد تحريره من سجلماسة – قوة عسكرية بالتوجه لحصار بني وارقلان، وتأديبهم، على إظهارهم العداء له ولدولته[2].

وتشير بعض النصوص إلى أن أبا عبد الله الشيعي، أرسل رؤوس القتلى في تيهرت إلى أبي زاكي وأبي العباس في رقادة، لكي تشهر في المنطقة ترهيبا لمن قد تحدثهم أنفسهم بتدبير المقاومة، أو بإظهار العداء والعناد، وقد طوفت الرؤوس في القيروان ثم نصبت على باب رقادة[3] ليراها المارون وينقلون إخبارها إلى الأفاق البعيدة فيزداد اقتناع الأهالي بقوة الدولة الجديدة. وقد كفل سقوط الأمامة

([1]) المرجع السابق، نفس الصفحة... هرب يعقوب بن أفلح، وهو الذي نافس أبا حاتم في الحكم، إلى وارجلان، واستقبل هناك مع من كان معه استقبالا كبيرا، وعرضت عليه الأمامة من جديد، فرفضها قائلا: "لا يستتر الجمل بالغنم". أنظر : أبو زكرياء: السيرة، ص171–172.

([2]) المرجع نفسه: نفس الصفحات.

([3]) البكري: المغرب، ص68. – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص49.

أنظر جورج مارسيه في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية. Art Tahert, T4 p.p 641-642.

الرستمية على يد جند كتامة[1]، وضم تيهرت لإطار الدولة الفاطمية عدة مميزات هامة يأتي في مقدمتها، أن الدولة الفاطمية الشيعية نجحت في القضاء على قوة المذهب الأباضي، عنما شتت شمل أنصاره في مجاهل الصحراء وأنهت نظام الأمامة الرستمية بعد ماضي طويل في المنطقة، أصبحت الطائفة الأباضية في المغرب الأوسط لأول مرة تعيش بدون كيان سياسي، ونظام جامع، وكان يمكن أن يؤل هذا إلى إنهاء المذهب الأباضي بعامة[2] لولا أن بعض المخلصين من الطائفة الأباضية حافظوا على تماسكهم في أماكن منعزلة عن طريق نظام العزابة، الذي حفظ كيانها[3].

وكان للأهداف الاستراتيجية دور في توجيه نظر الخلفاء الفاطميين نحو طرابلس وبرقة لتكوين مراكز أمامية من أجل طعن الخلافة العباسية باحتلال مصر، والتوسع نحو بلاد الحجاز

---

(1) الباروني: الأزهار الرياضية، ص 292. – الدرجيني: الطبقات، ج8، ورقة 42.

(2) يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، ص31.

(3) أنظر موسى لقبال: الحسبة المذهبية، ص87-90. أطفيش اعزابن، تعليق بدائرة المعارف الإسلامية. أنظر مقال البربر، مجلد 3، ص13. ويعرف العزابة بالبربرية اعزابن، ويرىق هذا المصلح إلى عصر حركة أبي يزيد النكارى، أنظر ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 32 وعن نشاط العزابة، أنظر الشماخي: السير ورقة 416-418-413-451-484.

والشام فنجد أن الخليفة المهدي استهل نشاطه في رقادة بتعيين وال على طرابلس، وهو ما كنون بن ضبارة[1].

غير أن قبيلة هوارة وأحلافها من قبائل لماية ونفوسة[2] استغلوا توتر الأوضاع الداخلية للدولة الفاطمية، وعدم استقرارها في إفريقية، وفي المغرب الأوسط ففكوا عقال حنقهم على الوجود الإسماعيلي الذي قام بإنهاء أمامة الرستميين ونكل بالأباضية في تيهرت.

وتزعم هذه الثورة قبيلة هوارة، وتعرف أيضا أحيانا بـ "أوريغة"[3] وكانت مضاربها في نواحي طرابلس وبرقة[4] ثم توزعوا فيما بين تبسة ومرماجنة إلى إقليم باجة في أرض إفريقية

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص162-163. ابن خلدون: العبر، ج8، ص162-163. الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ج7، ص405. النعمان: الافتتاح ص 325. الزاوي: الفتح العربي لليبيا، ص 184. الطرابلسي: المنهل العذب، ص968.

(2) ابن عذارى: البيان، ج1، ص163. إحسان عباس: تاريخ ليبيا، ص80.

(3) مجهول: مفاخر البربر، ص 71 وما بعدها. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص90. الاصطخري: المسالك، ص44. اليعقوبي، البلدان، ص98-99.

ENCY. I- Art Hawara T2, p.p 371-372.

(4) اليعقوبي: البلدان، ص102.

Marçais : La berberue au IX siècle d'après El-ya quûbi revue Africaine (S.H.A). 1er et 2ème trimestre 43.

وفي منطقة أوراس وتهيرت وبين قبائل إقليم فاس، وبقرب عنابة، وفي نيفاش يوجد بطن من هوارة أيضا[1].

وعند الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تمكن المسلمون من إحراز نصر سريع ضد هوارة[2]، وأحلافها من زواغة ونفوسة في مراكز سرت وطرابلس وصبرة وودان[3]، واعتنقت هذه القبائل مذهب الخوارج وساد بينها مذهب الأباضية[4].

وبقيت هوارة ضمن القبائل التي اعتمد عليها نظام الإمامة الرستمية[5]، وحين أسقط الفاطميون إمارة الرستميين، بددوا شمل النفوذ الأباضي لكنهم لم يقضوا عليه نهائيا في بلاد المغرب، إذ كان جبل نفوسة ملاذا لثوار الأباضية ومعقلا للحركات المناوئة للحكم الفاطمي[6].

([1]) البكري: المغرب، ص53-117.

Benachenhou. A.Hassan Ben Mohamed El ouazzane dit l'African, p181.

([2]) اليعقوبي: البلدان، ص90. الطرابلسي: المنهل العذب، ص28.

([3]) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية، ص301. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص127.

([4]) الطرابلسي: المنهل العذب، ص 65.

([5]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ص93-94. –ابن عذارى: البيان، ج1، ص149. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص40-49. –المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص81. – أنظر ابن خلدون: العبر، ج4، ص70-76. فخار إبراهيم: دور الرستميين، الأصالة عدد، 42-43، ص41.

([6]) الشماخي: السير ورقة 320.

وعبثا حاولت جيوش الفاطمية غزو الجبل، فكانت في كل مرة تبوء بالفشل. ولم تتمخض سياسة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون إلا عن اندلاع ثورات الخوارج الأباضية[1].

وتزعم أولى هذه الحركات شخص يدعى أبو هارون الذي ضرب حصارا شديدا على مدينة طرابلس في أواخر سنة 298هـ/910م – 911م وأظهر عداءه الشديد لعامل عبيد الله المهدي، وبادر في إخماد هذه الثورة الخطيرة وانتدب أبو زاكي تمام بن معارك الأجاني لرفع الحصار وتأديب هؤلاء الثوار، واستطاع أبو زاكي مطاردة هؤلاء وتشتيت شمل هوارة وأحلافها، وأرسل بالرؤوس إلى رقادة حيث عرضت في الأسواق[2].

وبذلك فشلت مقاومة أهالي طرابلس، لأنها اتصفت بطابع التمرد أكثر منه بالثورية، إذ لم تتوفر فيها الجدية والتنظيم والقوة، ولم يسعد أبو زاكي بهذا النصر فقد لقي حتفه على أثر إنهاء مهمته العسكرية على يد عمه والي طرابلس بناء على أوامر

Lewicki : Etudes Ibadites, pp 49-50.

([1]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص234.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص123. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص77.

المهدي[1]، حينما تسرب الشك والريبة[2] بين المهدي ورجاله من بناة الدولة بعد محاولة أبي عبد الله الشيعي المضادة لحكم المهدي. ونقل خبر مقتل أبى زاكي على وجه السرعة عن طريق بريد الحمام الذي وصل إلى رقادة مما يدل على قوة وتنظيم هذا الجهاز[3].

ونجم عن نجاح هذه الحملة التأديبية الفاطمية أن عم الهدوء في إقليم طرابلس إلا أن ماكنون بن ضبارة استغل أخلاد الأهالي إلى السكون فاستبد بالأمر، وبسط أيدي أولاد عمومته على الأهالي فتسلطوا وتطاولوا على حريمهم، وسلبوا أموالهم. ولم يظهر من هذا الوالي ما يدل على استنكاره لهذه الأفعال، الأمر الذي فجر ثورة عارمة قادتها الأهالي غضبا لشرفها ومالها، فقتلوا عددا كبيرا من رجال ماكنون وهرب هو ومن معه خارج طرابلس إلى رقادة[4].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص18. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. ابن عذارى، البيان، ج1، ص163.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص315. ابن عذارى: البيان، ج1، ص161.

Dachraoui (F) : op.cit, p 131.

([3]) أنظر إبراهيم العدوي: الحمام الزاجل في العصر الوسيط، ص 136-137. المجلة التاريخية المصرية. مجلد2، عدد 8، سنة 1949.

([4]) ابن عذارى: البيان، ج1، 168. شارل جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص76.

وسنحت الفرصة لقبيلة هوارة وللعناصر العربية ولبقايا بني الأغلب كي يعلنوا استياءهم من السياسة الفاطميين وينفصلوا سياسيا عنها فقدموا عليهم رجلا اسمه محمد بن إسحاق ويرعف بابن القرلين[1]، وكان يساعده في مهمته بعض زعماء الثورة ومنهم محمد بن نصر[2] والحوحة[3] غير أن ابن عذارى، لا يذكر الأسباب الحقيقية لهذه الثورة ويعزوها إلى مقتل أبي عبد الله الشعي[4] بينما هي في حقيقة أمرها ثورة شعبية عارمة، قامت ضد الحكم الفاطمي.

وكما هو شأن عبيد الله المهدي، فإنه لم يتحر أسباب قيام ثورة طرابلس وإنما تمثلت جهوده في حملتين، بحرية وبرية وكانت الحملة البحرية تتألف من خمس عشر سفينة، غير أنها هزمت على مشارف ميناء طرابلس، وقتل من فيها وأحرقت سائر قطعها[5].

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة غير أن صاحب عيون الأخبار يعتبر محمد بن نصر هو زعيم الحركة. الداعي إدريس، ج5، ص30.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

([4]) النعمان: الافتتاح، ص 325. الداعي إدريس: عيون الأخبار: ج5، ص30.

([5]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

وأدرك المهدي خطورة الموقف، فأعاد الكرة وعزز قوته فأرسل جيشا بريا بقيادة ولى عهده أبى القاسم الذي سار في جمادي الأخيرة سنة 300هـ/ة يناير 913م[1]، فحاصرهم وضيق عليهم الحصار وشدد في القتال، فانعدمت الأقوات في البلدة فأكل أهلها الميتة[2].

وفتح أبو القاسم طرابلس عنوه وأمن أهلها، وقتل زعماء هذه الثورة وصادر أموالهم، فنزلت بهوارة وأحلافها هزيمة نكراء وتمسك أبو القاسم بحق الدولة في تأديب الأهالي لعصيانهم وللخسائر المادية التي لحقت بالدولة الفاطمية، من جراء ثورتهم ففرض عليهم غرامة مالية باهظة[3]، وكلف خليل بن إسحاق بجمعها منهم[4].

ويلاحظ أن النصوص التاريخية لا تشير إلى مصير ما كنون بن ضبارة عقب هذه الأحداث، هل كان فراره بمثابة نهاية لحياته

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص140.، غير أن التجاني أورد تاريخ هذه الحملة سنة 303هـ، ص240-241. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص20.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص140. ابن عذارى: البيان، ج1، ص169.

([3]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 56. ابن خلون: العبر، ج4، ص38. الزاوي: المرجع السابق، ص65.

([4]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 56. ابن خلدون: العبر، ج4، ص38.

السياسية أم عين من جديد واليا على طرابلس منذ سنة 301هـ/915م حيث غدت منطقة عبور للحملات الفاطمية ضد مصر.

ولقد علمنا أن الثورات الأولى ضد الحكم الفاطمي قد تصدرتها قبيلة هوارة وأحلافها، غير أن حركة المقاومة للنفوذ الفاطمي منذ سنة 310هـ/922-923م قد تبنتها قبيلة نفوسة وقادتها في منطقتها المنعزلة الحصينة في إقليم طرابلس[1].

فقد تمكن إباضية نفوسة من إحياء الإمامة الاباضية، وتمت البيعة لأبي يحيى زكريا الأرجاني ويعرف بأبي بطة[2] بإمامة الدفاع[3].

وطيرت أخبار الهزيمة إلى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي الذي أمر عامله على قابس، وهو على بن لقمان الكتامي بقتل

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج4، ص38. التجاني: رحلته، ص241.

(2) أنه الإمام الإباضي الذي أخذ هذا اللقب بعد أفول نجم الأئمة الرسميين على الرغم من أن نفوذ لم تبعد عن جبل نفوسة إلا أن المنطقة عرفت نوعا من الاستقلال السياسي عن دار الخلافة الفاطمية ودام حكم أبي يحيى زكرياء خمسة عشر سنة يقاوم فيها الدعوة الإسماعيلية: الشماخي: السير، ورقة 243-244.

(3) المرجع نفسه: ورقة 244.

فلول جند على بن سلمان المنسجمة عند مرورهم بالمدينة لتقصيرهم في أداء مهمتهم العسكرية[1].

وأرسل المهدي بمدد إلى علي بن سلمان في طرابلس لينتقم لهزيمته في جبل نفوسة، هذا بالإضافة إلى مساندة والي قابس باعتباره أقرب العمال الفاطميين إليه[2]، وتوجت هذه المجهودات بإلحاق هزيمة نكراء بأهالي جبل نفوسة في أواخر شعبان 311هـ/923م[3].

وهدم حصن أبى يحيى زكرياء، ونكل بأنصاره النفوسيين قتلا وسلبا ولم تشر النصوص التاريخية أيضا إلى مصير أبي يحيى زكرياء بعد الهزيمة وما آل إليه حال على بن سلمان بعد أن عاد إلى قاعدته في طرابلس وعلى أية حال فقد استمر النفوذ الفاطمي في طرابلس حيث وضعت لها حاميات كتامية وعين عليها قضاة من قبل المهدي، وذكر "الشماخي" أن مشائخ الجبل دأبوا منذ ذلك الحين على دفع المغارم لولاة القيروان الفاطميين الذين كانوا

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص187.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

يغالون في تقديرها، ويهددون بغزو الجبل إذ ما تقاعس النفوسيين عن دفعها[1].

ويبدو أن نار الثورة في هذا الإقليم لم تخمد مع نهاية حكم المهدي بل عاود الأهالي الكرة بإعلان سخطهم على الحكم الفاطمي مع بداية حكم القائم بأمر الله[2].

ففي سنة 322هـ/934م ظهر شخص يعرف بابن طالوت[3] وزعم أنه عربي الأصل، كما ادعى أنه ابن المهدي، فاجتمع حوله البربر واتبعوه، وزحفوا إلى مدينة طرابلس محاولين حصارها إلا أن الحامية الكتامية التي تقطن طرابلس استطاعت بفضل تظافر جهود الأهالي الدفاع عن المدينة، بعد أن تبين للثوار كذب قائدهم، فانقلبوا عليه، فقتلوه[4].

وهذه المساندة تعد دليلا قويا على وجود أنصار كثيرين للفاطميين في هذه البلاد، كما كانوا سبب استقرار نفوذهم فيها.

([1]) السير: ورقة 320-323.

([2]) ابن ظافر: أخبار الدول، ص16. النويري: نهاية الأرب، ج 26، ورقة 35. النعمان: الافتتاح، ص332. ابن عذارى: البيان، ج1، ص209.

([3]) ابن ظافر: ص 16. وقد ذكر النويري أنه كان على مذهب الخوارج، ج26. ورقة 35.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص238. ابن عذارى: ج1، ص209.

والجدير بالتنويه أن هذه الثورة كانت عربية، وإن كان إثبات ذلك أمر صعب غير أننا أمام حقيقة تاريخية ذلك أن حركات المعارضة في تلك الحقيبة الزمنية كانت تعتمد على "تبرير شرعي". كما أن المصادر التاريخية لم تحدثنا عن ثورات أخرى قامت بهذا الإقليم في عهدي كل من المنصور والمعز لدين الله حيث غلبت السكينة على أهله، كما زاد الاهتمام بهذه المنطقة حيث تم إحكام أسوارها في عهد الخليفة المنصور[1].

كما احتلت هذه المنطقة مكانا مرموقا في السنوات الأخيرة من حكم الفواطم، وجاء ذلك نتيجة طبيعية لتوجيه سياسة الخلفاء الفاطميين الاستراتيجية جهة المشرق، وخاصة في عهد المعز لدين الله وليس معنى ذلك أن أصبحت هذه المنطقة شيعية فقد ظلت برقة سنية في معظمها. كماأن طرابلس ظلت اباضية في معظمها[2].

والظاهر أن ثورات الخوارج لم تتوقف منذ أن وطأت أقدام الشيعة الإسماعيلية بلاد المغرب، إذ عاودت الأباضية الوهابية الكرة، وهذه المرة في ظروف كانت تعتقد فيها النصر المؤكد، وذلك على أثر خروج الجيوش الفاطمية إلى مصر.

([1]) الطرابلسي: المنهل العذب، ص96. صالح مصطفى: برقة وطرابلس، ص126-127.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وسنعول في دراستنا لهذه الثورة على مصادر اباضية، نظرا لفقر المصادر السنية للمعلومات المتعلقة بهذه الثورة وإن كان بعضها قد أشار إليها باختصار شديد ولذا اعتمدنا على ما نقلته الرواية الخارجية مما جعلنا نلتزم الحذر لشدة تعصبها لبني نحلتها.

وتزعمت هذه المعارضة قبائل بني واسين الزناتية، وهم أخوة لمغراوة وبني يفرن[1].

وانبثقت بطون عديدة عن قبائل بني واسين منها عبد الواد وبني مرين وبني توجين[2]، وانتشروا في شمال إفريقيا، فكان منهم بإفريقية في صحراء برقة بطون تضرب حول قصور غدامس[3]، وفي ضواحي قسنطينة[4]، وحول قسطيلية وتوزر[5] وكذلك في مدينة الحامة[6].

([1]) ابن حزم: جمهرة الأنساب، ص498. ابن خلدون: العبر، ج7، ص11-57.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص58-59. العمري: المسالك، ج5، ورقة 117. ابن عذارى: البيان، ج1، ص66-200.

([3]) أنظر ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص133، 134.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

([5]) المرجع نفسه، ج7، ص14-58.

([6]) وهي من بلاد قسطيلية، تنقع بالقرب من توزر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص92. ياقوت معجم البلدان، ج3، ص344. مجهول: الاستبصار، ص157. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 44.

وقد تحولت بطون بني واسين إلى الإسلام، إلا أن معظمها اعتنق مذهب الخوارج الاباضية وكان جمهورهم بإفريقية اباضية وهابية.

ومن مدينة الحامة خرج بنوواسين ثائرين على الحكم الفاطمي وقد تزعم هذه المعارضة في سنة 358هـ/969[1] أبو خزر الزناتي[2]، وكان يقطن الحامة في إقليم قسطيلة[3]، وكان على مذهب الاباضة الوهابية[4]، وتتلمذ على يد أبي الربيع سليمان بن بن زرقون النفوسي فتلقى عنه فنون الأدب وعلم اللسان ومختلف علوم الكلام والتي نبغ فيها مع بني قومه[5].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص215. إلا أن البعض يذكر أن ثورة أبي خزر الزناتي قامت سنة 359هـ (أنظر دياب سياسة الدولة الإسلامية، ص120).

([2]) راجع تفاصيل هذه الشخصية عند الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53.

ENCY.I – Art Ibadya 2ème V2, p 656.

([3]) عن الحامة أنظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص92. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص344. مجهول: الاستبصار، ص158.

([4]) أبو زكرياء، السيرة ، ص209، ولم يكن من الاباضية النكارية، كما ذهب البعض. أنظر رزق الله منقريوس: دول الإسلام، ج1، ص330. موسى لقبال: دور قبيلة كتامة، ص377.

([5]) الدرجيني: الطبقات ج1، ورقة 53. الشماخي: السير ورقة 346.

وكان أقربهم إليه أبو القاسم بن يزيد بن مخلد الوسياني[1].

وذاع صيتهما وعلا شأنهما، فكان لأبي القاسم مقام عال بين أهالي القيروان، فحين كان يسافر إليها تضطرب المدينة إذ يجتمع أهلها عارضين عليهم مسائلهم الدينية مستفتينه في أمورهم[2]، هذا إلى جانب المنزلة الرفيعة التي حظى بها أبو القاسم في بلاط الفاطميين[3] فقد كان يحضر مجالس المعز لدين الله على انفراد ولا ثالث معهما[4] وكثيرا ما كان يتوسط بين الخليفة والرعية لتسوية مختلف الأمور[5].

([1]) كان من علماء الاباضية الوهابية، ويكبر أباخزر سنا وكان ميسور الحال حتى أنه كان يقوم بالإنفاق على طلبقته: الشماخي، السير ورقة 346. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53. أبو زكريا، السيرة، ص205.

([2]) الشماخي: السير، ورقة 347. أبو زكرياء: سيرة، ص208. الدريجيني، الطبقات، ج1، ص53.

([3]) أبو زكرياء: سيرة ص209. – الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53. الشماخي: السير، ورقة، 348.

([4]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53.

([5]) تذكر المصادر التاريخية أنه حين هم المعز لإخماد ثورات أهل الحاملة، جعل راية حمراء دلالة على غضبه عليهم حملهم أحد جنده، غير أنه عندما وصلت الحملة إلى البلدة قام أبو القاسم، وبعث براية بيضاء إلى المعز لدين الله وأخذ على نفسه مسؤولية تسوية الحدث في المستقبل. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53. أبو زكرياء، ص209.

ويبدو أن المعز لدين الله كان حريصا على اتباع سياسة معتدلة في تلك الظروف[1]، فقد سلك سياسة مهادنة حيال مختلف المذاهب – كما أوضحنا ذلك– فعامل العلماء بود ظاهر وأعطاهم الأمان لمكانتهم في التأثير على العامة وحرصا منه على تأمين جانبهم حتى لا يؤلبوا الرعية عليه[2].

وتعزى بعض الدراسات[3] أن تقريب المعز لدين الله لأبي القاسم منه جاء خشية من قوة وبسالة قبيلته مزاته، وكان لأبي القاسم الأمر والنهي فيها[4]، وكانت هذه القبيلة ذات مال ورجال وخيل، وقيل أنهم بلغوا اثنى عشر ألف فارس، وأما الرجال فلا يحصون[5].

على أن العلاقة التي ربطت المعز بأبي القاسم كان يغمرها الحذر الشديد باعتراف الخليفة المعز الذي قال: "إنني لم آمن

([1]) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص290.

([2]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص63.

([3]) أبو زكرياء: السيرة، ص209. محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية، ص234.

([4]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 53. أبو زكرياء: السيرة، ج11. الشماخي: السير، ورقات 349-348

([5]) الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقات 53-54. أبو زكرياء: السيرة، ص210.

على نفسي حين مكنت أبا القاسم من السيف حتى يدخل السيف يدى"[1].

والظاهر أن هذا التخوف كانت له أسبابه الموضوعية حين أورد كل من "الدرجيني" و"أبى زكرياء" نصا بيننا فيه أن الاباضية الوهابية قد عقدت النية على الثورة على المعز وتأهبهم للخروج في الوقت المناسب[2].

وازداد المعز لدين الله تخوفا من أبي القاسم الوسياني بسعاية الوشاة[3]، وخاصة حين علم بأنه يحرض أهالي الحامة على الثورة ضد الحكم الفاطمي[4].

فطالب عامله على المدينة بقتله[5] غير ألن العامل الفاطمي أظهر تعاطفا مع أبى القاسم الوسياني ولم يلب أوامر المعز لدين الله[1].

([1]) "ليس بيننا وبينه إلا يسيرا، فنقوم عليه ونخرجه من تلك المدينة. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 55. أبو زكرياء، السيرة، ورقة 348. Vatickiotis: op.cit, p137.

([2]) محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية، ص234. سنوسي يوسف إبراهيم: زناتة والخلافة الفاطمية، ص272-273.

([3]) الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 55. الشماخي: السير، ورقة 349.

([4]) أبو زكرياء: السيرة، ص211.

([5]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقات 55-56. الشماخي: السير ورقة 342.

وذكرت المصادر أنه كان لأبي القاسم شأنا عاليا عند هذا الوالي[2]، وليس بعيدا يكون عدم تنفيذ الوالي لأوامر الخليفة خشية من ردود فعل الأهالي الذين كانوا يحملون مشاعر الود والطاعة لأبي القاسم فأوعز إليه بمغادرة بلاد قسطيلية[3]، ونصحه الخروج إلى الحج فأبى إلا أن يواجه الموقف ببسالة وشجاعة وحين استبطأ المعز تنفيذ المهمة بعث إلى واليه بكتاب آخر فأشار العامل على أبى القاسم التوجه نحو ورجلان[4] مقر الاباضية وقال "الشماخي" أنه عرض على أبى القاسم أيضا الذهاب إلى جبل نفوسة[5].

وهذه المرة اضطر العامل على تنفيذ القتل في أبى القاسم بعد أن رفض الخروج إلى تلك الأماكن، وقد ترك قتله أثرا كبيرا في أوساط الحامة[6].

([1]) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 56. أبو زكرياء: السيرة، ص211.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الشماخي: السير ورقة 348.

([3]) الدرجيني: الطبقات 12، ورقات 55-56. أبو زكرياء: السيرة، ص211-212.

([4]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص234.

([5]) الشماخي: السير، ورقة 349.

([6]) المرجع نفسه، نفس الورقة. أبو زكرياء: السيرة، ص214.

وقد أثار مقتل أبي القاسم صاحبه أبى خزر فقرر الثورة على الفاطميين والأخذ بدم أبي القاسم، وذلك يعد استشارة أهل الدعوة لأنهم لا يقدمون على شيء دون رأيهم[1].

ويدعى مؤرخو الاباضية أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أرسل إلى أبى خزر الزناتي عندما علم بنيته على الثورة كتابا يعده فيه بأن يكون له ولمن معه ولاية تيهرت أو بلاد الجريد[2]. ويبدو أن الرأي العام استقر على الثورة والأخذ بحق شيخهم[3].

كما ذهب كل من "أبى زكرياء" و"الشماخي" إلى أن أبا خرز كان يهدف إلى أمر سياسي وكشف عن نيته في تأسيس دولة اباضية، ولم يكن له اعتراض على مساومة المعز لدين الله[4].

وما يمكن استخلاصه من هذه المفاوضة، أن المعز لم يسلك الأسلوب العسكري في إخماد هذه الثورة في البداية بل اعتمد على مهادنة خصمه سلميا ولم يكن ليلجأ للسلاح إلا حين الضرورة القصوى.

([1]) الشماخي: السير ورقة 349.

([2]) الشماخي: السر، ورقة 350. أبو زكريا: السيرة، ص215. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقات 56-57

([3]) وكان هؤلاء من قبيلة بني واسين ومزاتة. المرجع نفسه، ج1، ورقة 57.

([4]) أبو زكرياء: السيرة، ص215. الشماخي: السير، ورقة 349-350.

وقد ذكرت المصادر أن أبا خزر أمر بتجميع الحشود من قبيلة نفوسة —معقل الاباضية الوهابية– واباضية جربة، فامتنعا عن طلبه[1] وجاء رفض أهالي جبل نفوسة الوقوف إلى جانبه لتأثرهم بوقعة مانوا آل إليه حالهم من ضعف على أثرها[2]، واما أهالي جربة فانقسم رأيهم إلى قسمين فرأت العامة الأخذ بثأر شيخها أما زعيمهم أبى صالح البرانسي فعارض الخروج لعدم ثقته بإمكانيات هذه الثورة ولتقديره لقوة مدد الخصم[3].

وأمام تراجع هؤلاء عن الانضمام إلى الثورة لجأ أبو خزر إلى أموي الأندلس، فكاتبهم غير أن يريده لم يصل إليهم إذ وقع في أيدي عملاء الخليفة المعز الفاطمي[4] مما يؤكد تطور جهاز البريد في عهده.

([1]) الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57. أبو زكرياء: السيرة، ص 214. الشماخي: السير، ورقة 350.

([2]) مانوا: قصر قديم بين قابس وطرابلس تقريبا كما يفهم من كلام المؤرخين. أنظر الباروني: رسالة سلم العامة والمبتدئين، ص17، هامش 1.

([3]) جرت موقعة "مانوا" بين إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وبين أهل جبل نفوسة وكان ذلك في سنة 283هـ–896م فيها تحطمت قوات الخوارج إذ دخلوا هذه المعركة بعد تردد أمام الأغالبة. قارن بين روايات أبى زكرياء: السيرة، ص 154–156–163. الشماخي: السير، ص 268 وما يليها. أنظر الباروني: الأزهار، ج2، ص280. ابن عذارى: البيان، ج1، ص129.
André Negre : la Fin Rustamide, p.p 20-21.

([4]) أبو زكرياء: السيرة، ص 216. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 57.

فقام أبو خزر في طلب الإمدادات من مناطق التراب وأريغ ورجلان[1] وجمع في نفس الوقت جيشا معظم أفراده من مزاتة. وعقد له على "ولاية الدفاع"[2] وإن تم للثورة النصر، فليتولى "أمامة الظهور"[3].

فتحرك أبو خزر بجيشه، حاصر باغايه[4] دون أن ينتظر وصول المدد الذي بعث في طلبه، فقد ذكر كل من أبى زكرياء والدرجيني أن تلك الامدادات وصلت بعد فوات الأوان، وعادت من حيث أتت[5]. وقد وصلت أخبار هذه الثورة إلى الخليفة المعز لدين الله وهو عازم على مغادرة بلاد المغرب، ودخول مصر فأوكل إلى الأستاذ جوذر مهمة جمع ما في خزائن المهدية من كنوز وأموال لتمويل حملته على مصر.

([1]) الشماخي: السير، ورقة 350.

([2]) أبو زكرياء: السيرة، ص 216. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57.

([3]) تنقسم الإمامة عند الاباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمسالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان. أنظر شروح هذه الأنواع من الإمامة في مقدمة التوحيد لأبي فحص عمر بن جميع، ص 69-72 عوض خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال إفريقية: ص 109-113. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية: ص 79-80.

([4]) الدرجيني: الطبقات، ج8، ورقة 57. أبو زكرياء: السيرة، ص216.

([5])المرجع السابق، نفس الورقة.

فزحف المعز لدين الله في اليوم الثالث والعشرين من شوال 258، 12 أغسطس 969م[1] إلى باغاية[2]، واشتد القتال بين الفريقين[3] ووقعت الهزيمة لأصحاب أبى خزر نظرا للبلبلة التي حلت داخل صفوفه[4]، فقد استهوى فخذ من قبيلة مزانة جمع الغنائم وسلب الأموال وتركت مهمتها الحربية مما أحدث الهزيمة[5].

وذهبت بعض المصادر في تحليلها لأسباب تقهقر قوات أبى خزر فأرجعتها إلى أن كلا من بني يليان وبدنة سببا في حدوث الهزيمة[6].

كما يغلب على الظن أن فشل هذه الثورة الوهابية يرجع إلى عدم دراية المنخرطين فيها بفنون الحرب إذ كان أغلبهم طلبة

([1])الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص215.

ENCY.I – Art Tunisia, T4, p850.

([2]) وعن هذا الموقع أنظر الشماخي: السير، ورقة 350. وخريطة رقم 1 من هذا البحث.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص35. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57.

([4])المرجع نفسه، نفس الورقة. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص215.

([5]) أبو زكرياء: السيرة، ص 218.

([6])المرجع نفسه، نفس الورقة.

علم فقال زعيم هذه الثورة حين دحرت جيوشه "قد عجلنا بالتلاميذ فمات منهم عشرات"[1].

هذا بالإضافة إلى مقتل خلق كثير من عسكره[2] وعرفت هذه الوقعة "بوقعة الشهداء"[3].

وقد وصلت قوات زناتة من قبيلة مغراوة متأخرة بزعامة خزرون بن فلفل[4] بعد أن منيت جيوش أبا خزر بالهزيمة، فعادت قوات قوات زناتة أدراجها دون قتال[5] ولم ينضم بنو يفرن الزناتيون إلى إخوانهم من بني واسين في الثورة على الفاطميين لما كان بين القبيلتين الزناتيتين من حروب القبيلة[6].

ولجأ أبو خزر بعد هذا الفشل الذريع إلى جبل نفوسة، غير أن المعز لدين الله أخذ على عاتقه مهمة مطاردته، فاستجاب زعيم

([1])الشماخي: السير، ورقة 351.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) أبو زكرياء: المسيرة، ص 218.

([4]) كان أحد عظماء زناتة من أمراء بني خزر. مجهول: مفاخر البربر، ص17.

([5]) أبو زكرياء: السيرة، ص 218. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57.

([6]) الشماخي: السير، ص 355-356. أبو زكرياء: السيرة، ص218.

صنهاجة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي للنداء، إذ كان يسعى للتقرب إلى السلطان الفاطمي بهذا العمل[1].

وأظهر بلكين بن مناد اهتماما بالغا في البحث عن أبى خزر غير أن تلك الجهود لم تتوج بالنجاح، الأمر الذي جعله ييأس من ملاحقته. واستمر المعز لدين الله في طلبه[2]، ففر عيونه من اتباع أبى خزر بعد أن استقطبهم إلى جانبه بإغداقه الأموال عليهم[3] في حين كان أبو حزر قد اختفى في الجبال أربعين يوما حتى فقد مطاردوه الأمل في العثور عليه[4].

وكفوا البحث عنه فترك مخبئه بالجبال، وانتقل إلى اباضية نفوسة محتميا بأنصاره[5] لما عرف عنهم من التمرد على طاعة الحكام الفاطميين[6].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص35. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57.

([2]) المرجع نفسه، نفس الورقة.

([3]) المرجع نفسه، نفس الورقة. الشماخي: السير، ورقة 353. أبو زكرياء: السيرة، ص 227.

([4]) المرجع نفسه، ص 219. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 57. الشماخي: السير، ورقة 351. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص215.

([5]) كان مقيما عند أبى زكرياء بن أبى عبد الله بن أبى عمر بن أبى منصور إلياس أحد شيوخ الوهابية. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 58.

([6]) ياقوت: معجم البلدان، ج8، ص305.

فعلم المعز لدين الله بوجود أبى خزر عند اباضية جبل نفوسة فتبعث في طلبه ووعده بالأمان[1].

فحذره من حوله من تصديق أمان المعز خشية أن تكون مكيدة للقبض عليه، ولكن أبا خزر خرج من مقره متجها نحو القيروان، وهو كله ثقة بأمان المعز، لأن المعز لا ينقض عهدا، ولا ينكث ميثاقا[2].

على حد قول أبى خزر نفسه[3].

ولقد أكد المعز لدين اللّه حسن نيته مع أبى خزر فبعث إليه بثمانين فارسا من قبيلة مزاتة يستقبلونه عند مدينة قابس، وجعل على رأس هذا الجمع صاحبه أبا نوح[4] وتمت لأبى خزر مراسيم الاستقبال بكل حفاوة[5]، فأنزله مكانة رفيعة[1] وأبقاه إلى جانبه[2] ولما رحل إلى مصر أخذه معه[3].

([1]) أبو زكرياء: السيرة، ص227. الدرجيني: الطبقات، ج ورقة 58. الشماخي: السير، ورقة 354.

([2]) الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة.58. أبو زكرياء: السيرة، ص 227.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([4]) وذكر أبو زكرياء والشماخي أن أبا نوح هو الذي طلب من المعز لدين الله أن ترافقه عناصر من قبيلة مزاتى، وليس كما زعم الدرجيني أنها كانت خطة المعز في ذلك. راجع الطبقات، ورقة 58، السيرة، ص 298.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص215.

ويبدو أن وصية المعز لخليفته على بلاد المغرب، لدليل على أنه لم يكن ليطمئن لقبائل زناتة وأنها كانت شغله الشاغل فقال لبكلين بن زيري بن مناد بهذا الصدد "استغنى من أولاد المجوس زناتة ومزاتة" وأضاف قائلا "أنني تركت لك في إفريقية مائة ألف م نزل، فاجعل على كل منزل فارسا تكتفي به لمحاربته"(4).

وصفوة القول، أن هذه الثورة قامت في ذلك المكان والزمان ليعلن الخوارج مرة أخرى استقلالهم السياسي عن الحكم الفاطمي ولمي كن مقتل شيخ الاباضية الوهابية إلا وسيلة لإعلان سخطهم. وإن لم يكتب لهذه الثورة النجاح وذلك لعدة عوامل أهمها، ضعف الزناتيين عامة، والخوارج الوهابية بخاصة وقلة استعدادهم ويرغم فشل هذه الثورة إلا أنها برهنت مرة أخرى على مدى تضامن الخوارج من جبل نفوسة إلى تيهرت ضد الوجود الشيعي الإسماعيلي.

---

(1) المرجع نفسه، ج7، ص35.

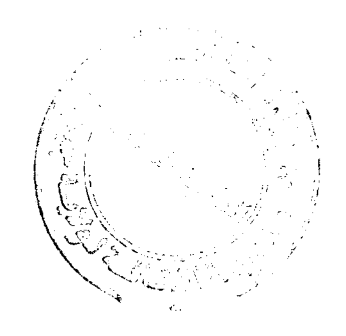
(2) الشماخي: السير، ورقة 354. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 58.

(3) وذلك في ربيع الأول سنة 362هـ/ ديسمبر سنة 972م. مجهول نبذ ص 13. ويحدد ابن عزارى خروج المعز من عاصمته المنصورية متجها إلى مصر لثمان يقين من شوال سنة 361هـ / 5 أغسطس سنة 972م. البيان، ج1، ص228.

(4) أبو زكرياء: السيرة، ص231. الدرجيني: الطبقات، ج1 ورقة 58-59. الشماخي: السير، ورقة 354.

الفصـــل الخامس

موقف قبيلتي زناتة وكتامة من الفاطميين



حركات قبيلتي مغراوة وبني يفرن الزناتيتين
الموقف المعارض لقبيلة كتامة

وعرض الزناتيون أمن واستقرار الفاطميين للخطر طيلة عهدهم في بلاد المغرب. وتعبر قبيلة زناتة من أهم القبائل البربرية في بلاد المغرب من حيث شدة بأسها وكثرة عددها[1]، اتفق المؤرخون على أن قبيلة زناتة من البتر نسبة إلى مادغيش الأبتر[2] وأفرادها في الغالب طواعن ينتجعون من مكان إلى آخر وأكثرهم مشهور بالفروسية والشجاعة والأقدام في الحرب[3].

كما تفرعت عن هذه القبيلة بطون وأفخاد عدة، فهي مغراوة، وبنو يفرن وجراوة، وبنوواسين، وبنو دمر، وبنو يرنيان وبنو ومانوا، وبنو يلومي[4].

([1]) راجع تفاصيل قبائل زناتة عند ابن خلدون: العبر، ج6، ص217. الناصري: الاستقصا، ج1، ص38.

([2]) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص461. الإدريسي: وصف إفريقية الشمالية، ص35. مجهول: نبذة تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، ص76.

([3]) "فان أكثر زناتة فرسان يركبون الخيل": الإدريسي، ص61.

([4]) ومن بطون زناتة لأيضا وجد يجن وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط في منداس إحدى مدن كورة تيهرت (ابن خلدون: العبر، ج7، ص50). المقدسي: أحسن التقاسيم، ص218. وقبيلة أوغمرت التي كان لها دورها في مساندة أبي يزيد مخلد الزناتي في حربه ضد الفاطميين. (ابن خلدون: العبر، ج7، ص50). وبنو راشد ومواطنهم بين تلمسان وتيهرت في الجبل الذي نسب إليهم، وإليهم نسبت الخيل الراشدية التي كانت توجد بتلمسان ولها فضل على سائر الخيل. ابن عذارى: البيان، ج1، ص200. ابن خلدون: العبر، ج7، ص152. ياقوت الحموي، البلدان: ج2، ص408. أنظر: 371-366-222.

وتحديد مراكز استقرار قبيلة زناتة من الأمور الصعبة، لأنها قائمة على الترحال وإن كان أكثر مواطنها في المغرب الأوسط من تلمسان غربا إلى نهر الشلف شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى تيهرت وما حولها جنوبا[1].

ومساحة بلاد زناتة واسعة، وتتمتع بمركز استراتيجي حساس فهي همزة الوصل بين المغرب الأقصى من جهة وبين بقية أجزاء المغرب الأوسط والأدنى من جهة أخرى.

وقد دانت بطون زناتة ببعض المذاهب الإسلامية المختلفة مما كان سببا في تفرق كلمتها وعدم اجتماعها على رئاسة واحدة، كما ساد بين بطونها مذهب الخوارج الصفرية والاباضية وضربوا فيها بسهم، وقاتلوا عليها دفاعا عنها[2]، كما تحول الكثير من البطون الزناتية إلى مذهب المعتزلة[3].

Fournel : Les berberes, p 25. Colvin : le Maghrib central, p32. Abou Zakaria : chronique d'Abou Zakaria, p22.

([1]) عن هذه المواقع، راجع الخريطة رقم (2). أنظر الإدريسي، ص61. الاصطخري: المسالك، ص36.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص11. Jean Depois : l'Afrique blanche, p123.

([3]) أبو زكرياء: كتاب السيرة، ص83-48. ابن حزم: جمهرة الأنساب، ص498. الدرجيني: طبقات، ج1، ورقات 26-28.

أما مغراوة أقوى البطون الزناتية وصاحبة الزعامة فيها فظلت على مذهب أهل السنة.

إلا أن بعض البطون لم تثبت على مذهب بعينه، فقد تحولت من مذهب إلى آخر. ثم اعتنقت معظم بطون زناتة مذهب أهل السنة قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

فقد اعتقد ابن حزم أن كل بطون زناتة معتزلة حاشا بني بروال وبني واسين فهم اباضية أما جمهور مغراوة وبني يفرن فسنية[1]، أما أكبر وأهم البطون الزناتية التي لعبت دورا بارزا في تاريخ الحركات المعارضة في ظل الوجود الفاطمي، فهي مغراوة وبني يفرن وبني واسين.

لأنها تصورت أن هدف السياسة الفاطمية هو إذلال البتر بواسطة أعدائهم البرانس هذا إلى جانب التنافس للسيطرة على أهم الطرق التجارية وهو العامل الذي أعطى للمقاومة طابعا حادا. وهكذا بدت تجربة الحكم الفاطمي في تيهرت فاشلة لأنها لم تحقق الاستقرار فقد عجز جهاز الدولة عن مواجهة حركات المعارضين لضعف ولاتها وقلة خبرتهم أمام الأحداث الجسام.

---

(1) جمهرة الأنساب، ص498.

إن الباحث، في جذور حركة المعارضة التي قادتها بطون بني يفرن ضد الوجود الفاطمي، يجدها قد حوتها أسبابا اجتماعية تكاد تكون خالصة، وإن امتطت هذه المقاومة صهوة الصبغة الدينية، ذلك حتى يتسنى لها القيام ضد النظام الفاطمي الثيوقراطي السائد.

تعتبر قبائل بني يفرن من أكبر بطون زناتة وأوسعها انتشارا بأرض المغرب وأشدهم شكيمة ومراسا، فقد انتشرت بطونها في المغرب بأقسامه الثلاثة، فكانت مضاربهم ببلاد إفريقية بجبل طرابلس[1]، وجبال أوراس[2]، وبلاد قسطيلية وتوزر[3]، وفي منطقة الزاب وبلاد الجريد[4] حتى قال "ابن خلدون" أن أفريقية كلها إلى طرابلس كانت ديارا لبني يفرن مع غيرهم من القبائل"[5].

وكانت غالبية بطون بني يفرن في المغرب الأوسط، فهو ديار زناتة التي عرفت بهم واتخذت اسمهم، وقد تناوبت بنو يفرن مع

([1]) ابن خلدون: العبر، ج3، ص169. ج6، ص103.

([2]) المرجع نفسه، ج7، ص11.

([3]) المرجع نفسه، ج7، ص13. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 44.

([4]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94. ابن خلدون: العبر، ج7، ص47.

([5]) نفسه ج6، ص103.

مغراوة السيادة على المغرب الأوسط، ومدينة تلمسان، ولا شك أن بني يفرن هم الذين أنشأوا مدينة تلمسان[1].

كما كان يسكن العديد من البطون اليفرنية حول تيهرت[2] وإلى الشرق من مدينة جراوة[3]، وحول مدينة سلا التي اتخذوها دار الملك لهم بعد أن ارتحلت بطون أخرى من بنى يفرن إليها نتيجة للصراع مع قبيلة مغراوة الزناتية[4]، كما استقروا بتادلا الواقعة بين قبائل صنهاجة وجبال درن والتي غدت دار إمارة لهم[5].

ونجد أن بطون بني يفرن لم تعتنق الإسلام مع أول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، بل قاوموا العرب الفاتحين مع قبيلة جراوة الزناتية وزعيمتها الكاهنة[6].

([1]) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج3، ص250. أنظر : Gautier : Op cit p. 388.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص122. Gautier : Op cit p. 222.

([3]) البكري: المغرب، ص141 ومدينة جراوة أسسها أبو العيش عيسى بن إدريس سنة 257هـ حسب ابن عذارى: البيان، ج1، ص196، أو سنة 259هـ حسب البكري: المغرب، ص141.

([4]) ومدينة سلاهي التي كانت تعرف بمدينة شلة قبل الفتح الإسلامي للمغرب. مجهول: الاستبصار، ص140.

([5]) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص135.

([6]) المراكشي: المعجب، ص52.

وبعد هزيمة الكاهنة الزناتية ومقتلها تحولت بطون بني يفرن إلى الإسلام وحسن إسلامهم، فأخذوا بمذهب الخوارج حين انتشر بين البربر[1]، وحارب بنو يفرن في سبيل نشره والدفاع عنه[2] فانضموا إلى مسيرة المطغرى في ثورته على الحكم العربي[3].

ثم صار لبني يفرن زعامة الثورة بعد ذلك[4].

وعندما قامت الخلافة الفاطمية بالمغرب خرجوا ثائرين عليها يقودهم واحد منهم هو أبو يزيد مخلد الخارجي في أوائل العقد الأول من القرن الرابع الهجري وشملت مساحة جغرافية كبيرة من بلاد برقة شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا.

والباحث لتاريخ هذا الصراع تعترضه مشكلات هي في مضمونها اختلاف وتعدد الروايات الأمر الذي جعلنا نأخذها بحذر ووجل أحيانا، مع الأخذ بعين النقد حتى نميط اللثام عن فحوى هذه الأحداث وأهواء وولاءات أصحابها سياسيا وعنصريا ومذهبيا.

([1]) ابن خلدون: العبر، ج3، ص169.

([2]) المرجع نفسه: ج7، ص11.

([3]) دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص460.

([4]) مجهول: نبذ تأريخية، ص48-49. المغربي: الجمان، ورقة 203.

إن ثورة أبي يزيد النكارى[1] تمثل حلقة من سلسلة ثورات الخوارج بالمغرب وقد نشأ (هذا الخصم) بمدينة توزر.

وتعلم بها مذهب النكار[2] على يد أبي عمار الأعمى أمام المذهب في مدينة تيهرت[3]، ثم مارس أبو يزيد بدوره تعليم هذا المذهب للصبية[4] في مدينة تقيوس[1] (بمكان يعرف "بعين

([1]) لم يختلف المؤرخون على أن أبا يزيد من قبيلة زناتة ولكنهم اختلفوا حول البطن الزناتي التي ينتمي إليها، فذكر المؤرخ الدرجيني أن أبا يزيد من بنى واسين الزناتيين (الطبقات، ج1، ورقة 43). ونكر ابن حماد أنه من بني جعفر من زناتة (أخبار ملوك بني عبيد، ص30) ونكر ابن حوقل أنه من سماطة (صورة الأرض، ص94) ولعله يقصد بذلك البلد الذي نشأ فيه أو أغلب ثواره منه أما غالبية المؤرخين فيذكرون أن أبا يزيد من بني يفرن الزناتيين، راجع ابن الأثير: الكامل، د6، ص303. ابن حزم: جمهرة الأنساب، ص395. ابن الأبـــار: الحلة السيراء، ج1، ص260. مجهول: نبذة تأريخية، ص61. الشماخي: السير، ص280. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص82. مجهول: الاستبصار، ص 205.

([2]) النكار هم الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 148-188هـ/784-806م أما اتباع عبد الوهاب فيطلق عليهم اسم الاباضية الوهابية، وبين الفريقين نقاط اتفاق واختلاف، وكل منهما يكن العداوة والبغضاء للأخر من ذلك أن أحد الوهابية قال (من لم يجد ما ينفق فيصبح وهو يلعن النكار فكأنه أنفق جراب دارهم). ولكن إذا كا كان عدوهم مشتركا يؤازرون بعضهم بعضا. العماني: كشف الغمة ورقة 386. التجاني: رحلته، ص123. اطفيش: رسالة في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، ص81-82.

([3]) الشماخي: السير، ورقة 280.

([4]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص30. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص303. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص75. Couvion (M) le Kharedjisme, p 147.

النكارة"[2])، وظل بها حتى داهمه خطر الوجود الإسماعيلي في سنة 296هـ 909م. وهكذا يكون أبو يزيد قد عاصر الأحداث الخطيرة التي تعرض لها الخوارج من تنكيل وتعذيب وتقتيل[3] ولا شك فقد كان لهذه الأحداث وقعا سيئا في نفسه، وهو لا يزال صغيرا، ومن المحقق أن أبا يزيد كان يهدف من ثورته الانتقام من الفاطميين الذين نكلوا بالخوارج، فكانت في المحل الأول رد فعل للخوارج الاباضية في مواجهة الشيعة الإسماعيلية[4].

كما كان يهدف إلى نشر مذهبه وإنشاء دولة للخوارج[5]، حين وجد الإقبال الشديد على دعوته من مختلف الفرق المذهبية والقبائل البربرية، فانضمت إليه جموع بني برزال وبني زنداك من مغراوة[6] وكذلك قبائل لواتة وبني كملان[7]، كما انضمت إليه

([1]) هي إحدى مدن الجريد، وهي قريبة من توزر: أنظر ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص37.

([2]) ابن النديم: الفهرست، ص265.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166.

([4]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص30-31.-Masqueray. E.Chronique d'abou zakaria, p232.

([5]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص239-240. مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص93. قارن مع سليمان بن الحاج داود: ثورة أبي يزيد، ص76-77. وما بعدها.

([6]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص13.

([7]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الوهابية الذين لجأوا بعد سقوط عاصمتهم تيهرت إلى مناطق الصحراء ومنطقة مزاب. كما كان يوجد عدد كبير منهم في مناطق طرابلس وجنوب المغربيين الأدنى والأوسط وقد كانوا على أهبة الاستعداد لجمع شملهم ومهاجمة عدوهم[1]، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هذا بالإضافة إلى تأييد المالكية لهم حين كانوا عرضة للإساءة من قبل الولاة والدعاة الإسماعيليين، ولا شك أن تظافر جهود هذه العناصر لحركة أبي يزيد كان بمثابة ائتلاف وتحالف ضد عدو مشترك، فاتحدت الأهداف واتفقت الغايات في التخلص من حكم الفاطميين[2].

كما عرف أبو يزيد كيف يضرب على الوتر الحساس لينال رضى هذه الفرق حتى لبوا دعوته للخروج معه، وحرضوا الأهالي على جهاد الإسماعيلية واعلموهم بما في ذلك من ثواب عند الله فروى بعضهم أحاديث تحث على قتالهم، وأجمعوا على الانضمام إلى حركته لأن الشيعة كفرة في نظرهم، بينما "الخوارج من أهل القبلة لا يزول الإسلام عنهم"[3].

---

(1) الدرجيني: الطبقات، ورقة 23. أبو زكرياء: السيرة، ص180.

(2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص13. يراجع محمود إسماعيل، مغربيات فاطمة بلهواري.

(3) الدباغ: المعالم، ج2، ص185.

كما استدل بعضهم على قتال الفواطم بقوله تعالى: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر"[1].

واتهم هؤلاء الخوارج الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بالكفر ولعنوه على المنابر[2].

والجدير بالتنويه أن أبا يزيد كان يكن العداء لأصحاب الفرق المذهبية من غير الخوارج التي انضمت إليه، غير أن اتفاق الهدف في إزالة بطش السياسة الفاطمية، كان السبب الرئيسي الذي دفعه لأن يخفي مراميه الحقيقية، حتى أنه لم يعلن في بادئ الأمر عن نحتله النكارية، فأذاع أنه خرج غضبا لله، "فدعى إلى الحق بزعمه ولم يعلم الناس مذهبه، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة"[3].

ويبدو أن كلا من فرقة الوهابية وأهل السنة لم يخف عليهم حقيقة معتقد أبى يزيد إنما آزروه نكاية في الفاطميين، وإذا أضفنا أن السياسة الفاطمية في توسعها نحو بلاد المشرق للقضاء على الخلافة العباسية أجبرها على نهج نظم جبائي مجحف مما كان

([1]) سورة النساء، الآية 95. وقد ألقى خطبة الجهاد أحمد بن محمد بن أبى الوليد. الدباغ: المعالم، ج3، ص37-42.

([2]) المرجع نفسه: نفس الصفحات.

([3]) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ورقة 45.

له وقع سيئ على أهالي بلاد المغرب، فبادرت باحتضان حركة أبى يزيد[1]. وهكذا يتبين لنا أن الظروف العامة كانت لصالح أبى يزيد وحركته عندما أخذ يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم[2]، وأنكر على الفاطميين سياسيتهم المذهبية والجبائية[3].

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ قيام ثورة أبى يزيد حيث يرى "الدباغ" أن الأعداد لها كان في سنة 308هـ 922م، إذ كان عبيد الله المهدي يتوقع أمر صاحب الحمار[4] في الوقت الذي قام أبو يزيد يحرض الناس على السلطان ويثيرهم عليه ويطلعهم على أحوالهم[5].

---

(1) A Bel : La religion musulmane en berberie, p.p 159-162.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص138.

(3) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(4) الدباغ: المعالم، ج3، ص6. أما بشأن اللقب الذي لازم أبا يزيد، وهو صاحب "الحمار" ذلك أن أهدي له رجل من مرماجنة حين سار إليها حمارا أشهبا، فاشتهر به وصار يعرف به. ابن الأبار الحلة السيراء، ج2، ص387. التجابي: رحلته، ص321. المقريني: الاتعاظ، ج1، ص76.

(5) ابن النديم الفهرس: ص 265. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص303.

بينما يحددها "ابن خلدون" في سنة 310هـ/ 922م-923م ويرد سببها إلى إهدار والي قسطيلية دم أبى يزيد عندما علم بأمره[1].

غير أن "ابن عذارى" يوردها في سنة 316هـ/928م-929م ويرجح أن يكون سبب ثورته خوفه على نفسه من الفاطميين لأنه حرض الناس على عامل تقيوس فقتلوه[2].

وذكرت بعض المصادر الأخرى أن والي المهدي بقسطيلية قبض على أبى يزيد فعلا وأودعه السجن[3]، غير أن أصحابه تمكنوا من إطلاق سراحه، والتحق ببني واركلان (ورقلة) [4] فالتجأ إلى جبل أوراس، واجتمع إليه سائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم صاحبه أبو عمار على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي[5].

([1]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص13.

([2]) ابن عذارى: ج1، ص193.

([3]) إن المهدي كان يعلم بنشاط أبى يزيد، حيث جاء إنشاؤه للمهدية تخوفه من خطر ثورات الخوارج. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص30.

([4]) أبو زكرياء: السيرة، ص179. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 44. ابن خلدون، العبر، ج7، ص13.

([5]) راجع أراء الاباضية عند البغدادي، ص61. الشهرستاني: الملل والنحل، ص100. أحمد أمين: فجر الإسلام، ص261. المجذوب: الصراع المذهبي، ص28. أبو زهرة: المذاهب الإسلامية، ص105-106. محمود إسماعيل: الخوارج، ص23 وما بعدها.

ومن ذلك المكان الحصين انطلقت أولى شرار ثورته إلا أن القائم بأمر الله حاصره فيه مدة سبع سنوات، وضيق عليه الحصار حتى ضاقت الأهالي منه لتأزم أحوالهم المعيشية.

وإزاء ذلك لجأ أبو يزيد إلى المباغتة والحيل العسكرية، واستطاع بذلك أن يحول الهزيمة إلى انتصار، وأن يفك عنه الحصار الذي ضربه جيش القائم بأمر الله[1].

وفحوى القول أن ثورة أبى يزيد لم تظهر بمظهرها القوي العنيف في سنة 333هـ 945م إلا بعدما مرت بفترة الإعداد والتكوين التي استغرقت عدة سنوات، وقد عرف الخوارج بالتفاني والدقة في التنظيم الحربي والاستماتة في سبيل المذهب. وحينما انفجر بركان ثورته تطاير شظايا ولهيبها على مناطق واسعة من دولة الفاطميين، كادت أن تقوض وجودها نهائيا، وهذا راجع لحنكة قيادتها العسكرية وقوة إمكانياتها، واتباع زعيمها لأسلوب الكر والفر كي يفرق عنه قوات الفاطميين[2].

Ency-I- TIII Art Kharidjites, pp 959-90.

([1]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص215-217. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 44.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص218. ابن حوقل: صورة الأرض، ص74.

فضلا عن ضربة الحصار حول مدن في وقت واحد. والمتتبع لتطورات حركة أبى يزيد يلاحظ، أنه أحرز في سنواته الأولى انتصارات ساحقة، إذ لمع نجمع بعد أن التف حوله لفيف من بني نحلته من بطون زناتة[1]، وعلى التو شرع في فتح المدائن، وما أن دخل مدينة أو قرية إلا ودانت له وكانت باغايته[2] أول نصر حققه على الفاطيين وذلك في غياب عاملها كنون[3] في سنة 332هـ/934م-944م[4] فاستبيحت المدينة وتم الاستيلاء عليها. وتوجه منها إلى قسطيلية، ففتحها[5]، وأمن أهلها وهدم أسوارها[6]، وانضمت إليه بها الوهابية ضاربة الخلافات عرض الحائط من أجل غاية موحدة هي التخلص من الحكم الفاطمي.

([1]) انضمت إليه قبائل جبال أوراس من بني برزال وبني زنداك وبني كملان. ابن خلدون: العبر، ج7، ص13. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص30.

([2]) المرجع نفسه، ص 30. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص306. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص75.

([4]) أبو زكرياء: السيرة، ص179. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص138.

([5]) المرجع نفسه، ج6، ص306. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص75.

([6]) أبو زكرياء: السيرة، ص179. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص138.

وسار أبو يزيد بعد ذلك متوجها إلى تبسة[1]، فاستولى عليها صلحا حين خرج أهلها يسألونه الأمان فأمنهم مقابل أن يسلمون له ما كان لكنون من أموال وغنائم[2]، كما طلب عاملها وكان غلاما لكنون، ورحل أبو يزيد إلى مرجانة[3] وأمن أهلها وهدم أسوارها.

وواصل أبو يزيد انتصاراته نحو الأربس[4] –شمال غربي القيروان– فأحرز فيها نصرا كبيرا، وكان لهذا الحدث أثر عظيم على الفاطميين وأهالي المدينة.

وتعتبر مدينة الأربس البوابة الاستراتيجية لإفريقية، فحين استولى عليها أبو عبد الله الشيعي أثناء مرحلة الفتح الفاطمي سقطت مباشرة عاصمة ملك الأغالبة. اضطر الخليفة القائم إثر

---

(1) وهي قلعة حصينة على طريق إفريقية إلى بلاد الزاب، وحاليا هي تابعة لجمهورية الجزائر. أنظر الإدريسي: صفة المغرب، ص91. المقديسي: أحسن تقاسيم، ص18. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص131. ص749–750. دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص749–750.

(2) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص80–81. السراج: الحلل السندسية، ج8، ص900.

(3) مرماجنة تقع جنوبي مجانة، وتعرف اليوم باسم برماجن إحدى مدن تونس الحالية. النعمان: الافتتاح، ص207–208.

(4) قلعة الأربس أحصن قلعة على طريق القيروان إلى بلاد كتامة وموقعها معروف ببلدة لبرس على مقربة من مدينة الكاف. النعمان: الافتتاح، ص230–232. معجم البلدان، ج1، ص184.

سقوط مدينة الأربس على يد أبى يزيد إلى إعداد خطة حربية دقيقة تنقذ موقفه وما حل به من هزائم متتالية، فشكل ثلاث حملات عسكرية وجعل على رأس كل واحدة قائد من خيرة رجاله، فأنفذ جيشا كبيرا للدفاع عن رقادة والقيروان يقوده خليل بن عدنان بن إسحاق التميمي[1].

كما أخرج حملة ثانية بزعامة بشرى الخادم[2] إلى باجة وذلك في يوم الأربعاء سنة 333هـ[3].

أما الحملة الثالثة فكان قائدها ميسور الخادم[4] حيث عسكر بالكدية الحمراء[5].

ويبدو أن هذه الحملات الثالث، عجزت عن تحقيق النصر أمام قوة اندفاع ثورة أبى يزيد، فقد خرج بشرى الصقلى إلى مدينة

([1]) القرشي: عيون الأخبار، ج5، ص84.

([2]) وهو من الصقالبة وبرز دوره في عهد القائم بأمر الله. الاتعاظ، ج1، ص86-87. ابن خلدون: العبر، ج3، ص206.

([3]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص85.

([4]) وهو من الصقالبة، وكانت له حروبا ومواقف مع أمير مكناسة موسى بن أبي العافية في سنة 323هـ. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص76. ابن خلدون: العبر، ج3، ص206.

([5]) الداعي: إديس، عيون الأخبار، د5، ص85.

باجة فمني بهزيمة نكراء، فلم يستطع أن يقلل من سرعة زحف أبى يزيد السريع[1].

فاستسلمت أهالي المدينة لأبي يزيد وطلبوا منه الأمان[2] مما جعل القبائل تخافه فأتته طوعا وكرها لينضموا إلى صفوفه[3].

واضطر القائد بشرى إلى التراجع إلى مدينة تونس، فاستمال أهلها بالأموال والخلع، وعلى التو بعث أبو يزيد عسكرا في أثره فدارت الدائرة عليه لكن أهل المدينة ثاروا على القائد "بشرى" وكاتبوا أبا يزيد فأمنهم، واستولى على المدينة، وعين عليها رجلا منهم يقال له رحمون[4].

ثم اتجه نحو القيروان[5] وكان القائد "بشرى" قد سبقه إليها وهزم طلائع جيش أبى يزيد وبعث بالأسرى إلى الخليفة القائم حيث تم قتلهم[1].

([1]) راجع ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن أبى دينار: المؤنس، ص58.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص76.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص303. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص76. التجاني: رحلته، ص25. ابن أبى دينار: المؤنس، ص58.

([5]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص41. ابن أبى دينار: المؤنس، ص58. السراج: الحلل السندسية، ج1، ص900. التجاني: رحلته، ص24-25.

فتحول بعد ذلك "بشرى" إلى مدينة سوسة – وهي التي لا تبعد عن القيروان إلا بنحو أربعين ميلا– وذلك يوم الاثنين لخمس بقين من محرم سنة 333هـ 20 أغسطس 944م[2].

وعسكر أبو يزيد بفحص أبى صالح فهابته الأهالي وخافت غائلته[3]، فعجل القائم بإمداد القائد "بشرى" بالمؤن، فاستطاع بذلك أن يهزم طلائع جيش أبى يزيد[4]، والتي كانت بقيادة أيوب من خيران الزويلى[5].

فالتقى الجمعان في معركة حامية ودارت الدوائر على جيش أيوب في ناحية هرقلية، وتعرضت صفوفه إلى خسائر جسيمة مادية، ومعنوية، وتعتبر هذه الوقعة من أعظم النكبات التي عرفتها الثورة أبي يزيد في هذه المرحلة، فقد قتل من عسكره نحو أربعة آلاف جندي، وأسر نحو خمسة مائة رجل[6] وبعثت الرؤوس إلى المهدية للتمثيل بها[1].

---

(1) التجاني: رحلته، ص24-25. ابن خلدون: العبر: ج4، ص41. ابن حماد: أخبار ملوك، ص31.

(2) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص87. ابن بطوطة: رحلته، ج1، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص88-89. ابن أبى دينار: المؤنس، ص 58.

(4) ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص90.

(6) وهي قريبة من مدينة سوسة، تعرف اليوم بهرقلة، الإدريسي، ص125.

وقيت عزائم جند الفاطميين هذا واستعان القائد "بشرى" بقبائل كتامة لملاقاة أبى يزيد، وهو عازم دخول القيروان[2]، إلا أن هذه الجهود خابت أمام قوة فصائل أبى يزيد، فاستولى أبو يزيد على رقادة[3]، وعاث في المدينة فسادا في الوقت الذي كان فيه القائد أيوب بن خيران الزويلي يدق أبواب القيروان[4]، وذلك بعد أن ثبت سوء تدبير عاملها وتقصيره في مواجهة خطر أبي يزيد. كما أفشت بعض عناصر من جنده أخباره لأبي يزيد، هذا من جهة كما أغرته طائفة من أتباعه للخروج إلى القتال في حين لم يكتمل مدده بعد من جهة أخرى[5].

وهكذا كان للخيانة دور في إحداث الهزيمة بين الصفوف[6].

وأسقطت مدينة القيروان في صفر سنة 333هـ أكتوبر 944م في يد أيوب بن خيران ورفع النهب عن الأهالي[7]، وبذلك سقطت

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص303. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص90. التجاني: رحلته، ص25. ابن أبى دينار: المؤنس، ص58.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص92. ابن أبى دينار: المؤنس، ص58.

([4]) التجاني: رحلته، ص 25. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

([5]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص92. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

([6]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن ضياف: أتحاف أهل الزمان، ج1، 124.

([7]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

أهم معاقل الفاطميين رقادة ثم القيروان في يد أبى يزيد فبلغ قمة نصره[1].

وقد أوردت المصادر التاريخية دخول أبى يزيد القيروان وصورته بأبشع الصور، إذ هو عاث فيها حتى ضاقت الأهالي فطالبوا منه الأمان وشكى إليه العلما ما نالهم من أذى على يد جنده[2]، فأمن أهلها بعد أن بذلت له الأموال، وخرجت إلى جانبه[3]، وهكذا نجحت مساع علماء وشيوخ القيروان عامة والمالكية خاصة في إيقاف عملية النهب والسلب في القيروان[4].

فحاول الخليفة القائم بأمر الله استعادة القيروان نظرا لخطورة الموقف على الوجود الفاطمي في بلاد المغرب، فأرسل حملة كبيرة بقيادة ميسور الفتى لكنه انهزم أمام قوات أبى يزيد بسبب غدر بني كملان له وموالتها لأبي يزيد فأرسلت له مراسلات[5] بعد أن أن كشفت له فيها عن عورات خطط الفاطميين الحربية[1].

([1]) محمود إسماعيل: الخوارج، ص245.

([2]) وفي هذا الصدد قال أحد العلماء لأبى يزيد حين عاثت جنده بأرض القيروان "يا شيخ أنك تطلب أمرا عظيما لا تناله بهذه الأفعال وإنما تناله بالعدل والإحسان". الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص103.

([3]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([4]) شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص83.

([5]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص104.

وعلم القائم بالأمر فكتب إلى قائده بأن يطرد هؤلاء الخونة من صفوفه، وابتقى الجمعان في معركة استوت فيها الهزيمة والنصر بموضع الأخوان[2]، غير أنه سرعان ما دارت رحى المعركة على القائد ميسور فانهزم[3].

وطير أبو يزيد أنباء النصر إلى أموي الأندلس وهذا يدل على العلاقات الودية التي ربطت اباضية تيهرت بأمراء قرطبة[4].

وزيادة على ما تقدم فإن أبا يزيد أعطى لثورته صبغة سياسة وعسكرية أكثر شمولا وتنظيما، من ذلك أنه حسن علاقته بعبد الرحمن الناصر الأموي في الأندلس، وتظاهر له بالطاعة وبعث إليه الوفود، كما أطلعه على مختلف أعماله ونشاطه، كي يجد لثورته "التبرير الشرعي" وعونا ومساندة من قوة عظمى كأموي الأندلس. وبقيت هذه الاتصالات مستمرة واستقبل الناصر وفود أبى يزيد استقبالا رسميا، وبالغ في إكرامها نكاية بالفاطميين[5].

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([2]) يقع على بعد ستة أميال من المهدية. التجاني: رحلته، ص326.

Hady, Roger, Idris : La berberie oriental, TI, p18.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص138. ابن خلدون: العبر، ج4، ص48.

Hady, Roger, Idris, Op.cit, TI, p18.

([4]) المرجع نفسه، ج4، ص41.

([5]) Levi Provençal : Opcit, T2, pp 103-104. ENCY-I- Art Abou-Yazid, p116.

ومما لا شك فيه أن المصلحة السياسية أملت على كل منهما هذا الموقف فبالنسبة لأبي يزيد فإنه رأى أن مركز الفاطميين الديني بادعائهم الانتساب إلى علي وفاطمة أقوى من مركزه، فعمل على موالاة الناصر الذي يساويهم في القوة العسكرية ويقاربهم في المركز العائلي لكونه أموي وعلى المذهب السني. وقد يكون تقربه من عبد الرحمن الناصر من جملة الأسباب التي دفعت أهالي المغرب إلى الانخراط في دعوته ويؤيد ما ذهبنا إليه قول ابن خلدون: "ودعاؤه للناصر صاحب الاندلس من بني أمية فاتبعته أمم البربر"[1].

وقد وجد الخليفة الناصر في أبي يزيدي خير حليف ضد الفاطميين وامتدادا للدور الذي سبق أن قامت به قبائل زناتة لنشر نفوذ أموي الأندلس في بلاد المغرب[2].

ومجمل القول، أنعلاقة أموي الأندلس بأبي يزيد ما هي إلا استمرارا لذلك التقارب الذي أملته المصلحة المشتركة.

([1]) العبر، ج4، ص41-42.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص345، ج7، ص48. العبادي: سياسة الفاطميين، ص207.

Laroui : Opcit, p 127. Dozy : Opcit, pp 137-138.

مكث أبو يزيد في خيم ميسور مدة شهرين وثمانية أيام، وبعث السرايا إلى كل ناحية[1].

وفشلت مقاومة أهالي هذه المدينة أمام بسالة جند أبى يزيد فاستبيحت عن آخرها[2]، فهرب أهلها إلى القيروان خوفا من البطش والنهب[3]، وانتشر الهلع ليصل إلى عاصمة ملك الفاطميين لما علموا بما حل بسوسة، وسرعة زحف أبى يزيد عليهم، وعجز الفاطميين الوقوف في سبيل هذا الثائر[4]. ثم انتقل أبو يزيد إلى خربة جميل[5]، فعسكر هناك وأخذ يبث السرايا في تلك النواحي[6]، وقد آثر أن يكثف ويهيأ قواه بعد أن تظافرت جهود البربر في بلاد إفريقية وأقاصي المغرب[7] لاقتحام المهدية، فبعث في استدعاء المدد من القيروان فلبى ابنه الفضل النداء وهو محملا

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص304. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص77. قارن مع رواية ابن أبي دينار: المؤنس، ص59.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص107. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي، ص540.

([3]) التجاني: رحلته، ص27-28.

([4]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص106-107.

([5]) وهي على بعد خمسة عشر ميلا من المهدية، نفسه، ج5، ص118-119.

([6]) التجاني: رحلته، ص225. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص78.

([7]) الدوادار: زبدة الفكر، ج6، ورقة 150. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص118-119. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص77.

بالمؤن[1]، وخندق أبو يزيد عند مكان ثرنوط[2]. أما الخليفة القائم فقد شعر بخطورة الموقف فأمر رجاله بحفر خندق حول أرباض المهدية في أواخر ربيع الآخر سنة 333 هـ نوفمبر 944م[3] وأخرج وأخرج جيوشه للحيلولة دون وصول قوات أبى يزيد إليها، وتمكنت من إلحاق الهزيمة بفضل بن أبى يزيد بمكان سوق أحد[4]، غير أن أبا يزيد بدد شمل القوات الفاطمية حتى دخلوا عاصمتهم، وزحف على المهدية حتى صار على بعد خمسة عشر ميلا منها[5]، ورغب أبو يزيد في نقل معسكره إلى ذات المكان لكن لكن أتباعه نصحوه بالعودة والاحتراس من الإقدام على هذه الخطوة وكان لذلك أثره في فشل محاولاته في اقتحامها.

([1]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص107. ابن أبى دينار: المؤنس، ص59.

([2]) علي بعد ستة أميال من المهدية. البكري: المغرب، ص31. وقيل على بعد خمسة أميال من المهدية. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص77.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص304. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص78.

([4]) يقول التجاني وسعيد بن مقديش بأن سوق الأحد يقع بين المهدية ومعسكر أبى يزيد على بعد ستة أميال من القيروان، رحلته ص225. نزهة الأنظار، ص133.

([5]) رحلة التجاني: ص 225. نزهة الأنظار، ص133. الكامل، ج6، ص305. الاتعاظ، ج1، ص78.

بالمؤن[1]، وخندق أبو يزيد عند مكان ثرنوط[2]. أما الخليفة القائم فقد شعر بخطورة الموقف فأمر رجاله بحفر خندق حول أرباض المهدية في أواخر ربيع الآخر سنة 333 هـ نوفمبر 944م[3] وأخرج وأخرج جيوشه للحيلولة دون وصول قوات أبى يزيد إليها، وتمكنت من إلحاق الهزيمة بفضل بن أبى يزيد بمكان سوق أحد[4]، غير أن أبا يزيد بدد شمل القوات الفاطمية حتى دخلوا عاصمتهم، وزحف على المهدية حتى صار على بعد خمسة عشر ميلا منها[5]، ورغب أبو يزيد في نقل معسكره إلى ذات المكان لكن لكن أتباعه نصحوه بالعودة والاحتراس من الإقدام على هذه الخطوة وكان لذلك أثره في فشل محاولاته في اقتحامها.

---

(1) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص107. ابن أبى دينار: المؤنس، ص59.

(2) علي بعد ستة أميال من المهدية. البكري: المغرب، ص31. وقيل على بعد خمسة أميال من المهدية. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص77.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص304. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص78.

(4) يقول التجاني وسعيد بن مقديش بأن سوق الأحد يقع بين المهدية ومعسكر أبى يزيد على بعد ستة أميال من القيروان، رحلته ص225. نزهة الأنظار، ص133.

(5) رحلة التجاني: ص 225. نزهة الأنظار، ص133. الكامل، ج6، ص305. الاتعاظ، ج1، ص78.

وصفوة القول أن أبا يزيد استطاع في زمن يسير أن يحقق نصرا باهرا حين استولى على معظم مدن إفريقية بما فيها الساحل وأن يغنم أموالا كثيرة منها.

ويرجع الفضل في نجاح معظم عمليات أبى يزيد الحربية في هذه المرحلة إلى شدة حماسه وأمله الكبير في التخلص من السلطان الفاطمي[1]، هذا فضلا عن براعته العسكرية في استخدام أسلوب الكمائن في الإيقاع بالعدو[2].

كما سلك أسلوب الحرب الخاطفة، وكانت قواته التي دخل بها القيروان سنة 333هـ/944م أول الأمر قوات كبيرة العدد تقارب القوات التي دخل بها أبو عبد الله الشيعي رقادة[3]، ولو عرف أبو يزيد كيف يستغل حماسة جنده، وسلك سياسة الحزم مثل أبى عبد الله الشيعي لتمكن من القضاء على الفاطميين في هذه المرحلة نظرا للظروف المتدهورة التي كانت تحيط بهم في الداخل والخارج.

---

(1) Marçais (G) : Opcit, p151.

(2) الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 44. أبو زكرياء: السيرة، ص140.

(3) ابن خلدون: العبر، د4، ص41.

وبعد الانتصارات التي حققها أبو يزيد على القوات الفاطمية دخل منعطفا جديدا في هذه المرحلة فقد اتسمت معاركه ضد الفواطم بالتوازن في الدفاع والهجوم بين الفريقين فجاء الصراع سجالا بينهما، إذ دبت الفرقة في صفوف أبى يزيد وتخلت عنه بعض القبائل[1] حيث ضاقت بهم الأحوال الاقتصادية داخل المدينة[2] لقسوة المعارك[3]، وكانت معظمها من بربر زناتة[4].

وحين شن أبو يزيد هجوما على المهدية تمكن من اقتحام الخندق المحدث ووصل إلى المصلى الواقعة على رمية سهم منها[5].

([1]) ويبدو أن ذلك الانشقاق جاء بسبب عداوة كانت بينهم وبين أقوام سعوا بهم إليه، الاتعاظ، ص78.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص145. الدوادار: زبدة الفكر، ج6، ورقة 55.

([3]) O'Leary : A short History of the Fatimids, p89.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص15. أنظر حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص191.

([5]) وقد قدرت هذه المسافة بـ239 ذراعا. التجاني، ص320-324. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص101-103. ابن أبى دينار: المؤنس، ص57. النعمان: الافتتاح، ص327-328. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص116-117.

ثم اقتحم السور المحيط بمينة زويلة[1] محاولا اقتحام المهدية بحريا، غير أنه فشل فبلغ الماء صدور الدواب، ولم يستسلم أمام المهدية بحريا، غير أنه فشل، فبلغ الماء صدور الدواب، ولم يستسلم أمام هذه الظروف بل عاود الكرة واستطاع هزمية الجيوش الفاطمية حتى أشرق على باب المهدية[2]، وعندما وصلت إمدادات قبيلة صنهاجة، وأنقذت ما حل بالعاصمة من ضيق، حاول أبو يزيد أن يأتي المدينة من الخلف ولكن بفضل بسالة أهل الأرباض في الدفاع دارت الدائرة على أبى يزيد وكاد أن يقتل في المعركة فعاد إلى معسكره بثرنوط[3].

ثم ضرب الحصار حول المهدية، ومنع الداخل إليها والخارج بينما كانت القبائل تلتحق به من جبل نفوسة[4] وقابس

([1]) مدينة بناها المهدي حتى تكون محل إقامة العامة بعد ما نزل بجنده وخاصته في المهدية وجعل فيها الأسواق والفنادث. رحلة التجاني، ص324-325.

([2]) المرجع نفسه، ص324-325.

([3]) المؤنس، ص60. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص140. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص78.

([4]) ابن أبى دينار: المؤنس، ص60. ابن حوقل: صورة الأرض، ص74. الدوادار: زبدة الفكر، ج6، ورقة 151.

وطرابلس[1]، ومن أقصى إفريقية والمغرب[2]، وفي معظمها قبائل من بني عصبيته الزناتية.

وفي جمادى الأخرى من سنة 333هـ يناير 945م قام أبو يزيد بمحاولة ثانية لاقتحام المهدية، ولم ينجح فيها أيضا[3]، فبعث يستنجد بعامله على القيروان وما أن وصله المدد حتى ثن هجوما ثالثا، غير أنه عاد مدحورا أيضا. وفي آخر شوال من نفس السنة زحف بجيوشه للمرة الرابعة فلم يحصل على نتيجة أفضل من سابقتها[4]، غير أنه شدد الحصار مما كان له الأثر على الحياة الاقتصادية فعظم البلاء على أهالي المدينة، فأكلوا الميتة والدواب والكلاب منش شدة الجوع[5] وتركت غالبية السكان المهدية وكان أكثرهم من السوقة والتجار، ولم يبق فيها سوى الجند[6].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص305. ابن أبى دينار: المؤنس، ص59.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41. .

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص305. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص119. ابن أبى دينار: المؤنس، ص59.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص305-306. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص79.

(5) ابن خلدون: العبر، ج4، ص41-42.

(6) المرجع نفسه، نفس الصفحات. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص79.

ولكن استطاع القائم أن ينقذ عاصمته من المجاعة بفتح الخزائن المدخرة والتي أعدها المهدي لمثل هذه الأحوال[1] وفي هذه الظروف لبت قبيلة كتامة النداء،واجتمعت بقسنطينة[2] لإمداد الفاطميين[3] فأخرج أبو يزيد جيشا من أهل ورفجومة للحيلولة دون استيلاء الكتاميين عليها فبدد شملهم[4].

ودب الخلاف والشقاق في معسكر أبى يزيد بعد أن أفنوا ما بإفريقية من النهب والسلب ولم يبق معه غير أهل جبل أوراس وبنى كملان وهوارة[5]، وفارقته الاباضية الوهابية والمالكية.

"وذكر ابن عذارى"[6] أن هذه الواقعة قد حدثت عندما أظهر أبو يزيد تعصبه إلى بنى نحلته في المذهب حينما تأكد من قوة مركزه فقال لجنده "إذا التقيتم مع قوم فانكشفوا عن أهل القيروان

([1]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص46. ابن أبى دينار: المؤنس، ص60. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص165.

([2]) وهي أكثر مدن إفريقية حصان الاستبصار، ص165.

([3]) الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص126-127.

([4]) نفس المرجع، نفس الصفحات، ابن أبى دينار: المؤنس، ص60.

([5]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص305. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص34. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص127.

([6]) البيان: ج1، ص218.

حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فيكونوا هم الدين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم"[1].

فقتل منهم عدد كبير[2]، أما تخلي الاباضية الوهابية عن أبى يزيد فيرجع لتنافس هؤلاء للظفر بالسلطة[3].

وعادت المعارك من جديد لتدونر بين الطرفين، فوجه أبو يزيد قائده منسوبه بن بكر الكملاني إلى تونس حين بلغه خروج أهلها عليه[4]، غير أن القائم بأمر الله سير قائده عمار بن علي[5] إليها إليها حين علم بذلك حتى يسبقه ويسترد نفوذه فيها وتم لهم ذلك في ربيع الأول 334هـ أكتوبر 945م[6] غير أن أبا يزيد أخرج إليها جيشا آخر بقيادة ابنه أيوب واستعادها، كما استرد مدينة

([1]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص42. سعيد بن مقديش نزهة الأنظار، ص127.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) مجهول: الاستبصار، ص306.

([4]) الداعي إدريس: عيوس الأخبار، ج5، ص136.

([5]) عمار بن علي هو أخ الحسن بن علي الكلمي كان والده علي من قادة الجند في صقلية وصهر لواليها سالم بن أبى راشد في عهد المهدي، وقد استبسل الحسن في قتال أبى يزيد، فولاه المنصور على صقلية: أنظر ترجمته مفصلة عند سيرة جوذر، ص113. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص137.

([6]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص309. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص81.

باجة[1] بعد أن فاجأ علي بن حمدون الأندلسي ونصب له كمينا[2] فهزمه وفرق جموعه التي انضمت إليه من المسيلة وسطيف[3].

وفي هذه الظروف استطاع القائم بأمر الله الفاطمي أن يدخل تونس، ويقصى أبا يزيد عنها، ولكن أبا يزيد واجه جيش القائم حتى أجبره على الفرار إلى كتامة[4]، وسرعان ما رجحت كفته وانتصر وبسط نفوذه على مدينتي تيجس وباغاية.

وراح أبو يزيد يضرب حصارا شديدا على السوسة في جمادى الأخرة سنة 334هـ/947م[5]، وبعد أن استولى القائم على تيجس وباغاية. وأراد أبو يزيد بهذا الحصار أن يحقق نصرا ايسترد به اعتباره وهيبته وبخاصة حين اجتمعت إليه حشود البربر[6]

([1]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. ابن أبي دينار: المؤنس، ص61. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص307.

([2]) المقريزي: الاتعاظ ج1، ص81.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص307. المقريزي: الاتعاظ ج8، ص81. ابن خلدون: العبر، ج4، ص42.

([4]) قارن بين النصوص حول هذا الحدث. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص307-308. المقريزي: الاتعاظ ج1، ص81. ابن خلدون: العبر، ج4، ص42.

([5]) سعيد بن مقديش: ص 133-134. التجاني: رحلته، ص327.

([6]) الداعي ادريس: عيون الأخبار، ج5، ص136.

وخرجت أهالي سوسة عن طاعته[1]، حين ضاقت من سوق سياسته وسيرة جنده فالتجأت إلى التعاون مع القائم وألقوا القبض على عامل المدينة من قبل أبى يزيد وبعثوه إلى القائم[2].

وأثناء هذه الظروف قام أبو طاهر المنصور حين تولى الخلافة[3] بعد وفاة القائم في شوال 334هـ/947م[4] بشحن المراكب بالرجال بالرجال وسيرها إلى مدينة سوسة[5].

---

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(2) وفي هذا الشأن يقول التجاني أن ما أخذه التحصيل من جند أبى يزيد مائة ألف خص يسكن في الخص الواحد الثلاثة والأربعة فصاعدا، ولا شك أن هذا لا يخلو من المبالغة. رحلته، ص327.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص308. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص32. ابن أبى دينار: المؤنس، ص62.

(4) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص32.

(5) لم تحص المصادر عد هذه المراكب في حين ذكر صاحب نزهة الأنظار أنه كان إلى جانب المراكب جيش يرى سعيد ابن مقديش، ص134.

فالتقى الجمعان ودارت الدوائر على أبى يزيد فانهزم[1] واستبيح معسكره[2]، إذ وقفت مناعة المدينة التي يحيط بها البحر من ثلاث جهات وعليها سور من صخر محكم البناء[3]، إلى جانب ما عرف عن أهلها من تعصب إلى أهل السنة[4]، ومن ثم استطاعت أن تصمد للحصار طويلا[5].

وقد أراد يزيد دخول القيروان[6] بعد هزيمته من سوسة فثار أهلها عليه ومنعوه من دخولها[7]، فسحب جيشه بعد أن قتل منه منه عدد كبير[8] إلى سبيبة[9] وأرسل ابنه أيوب إلى عبد الرحمن

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82. قارن بين روايات النعمان: الافتتاح، ص333. ابن أبى دينار: المؤنس، ص61.

(2) وقد كان من يسلم من سيف الفاطميين يموت جوعا وعطشا في طريقه فارا إلى القيروان. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص155. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82.

(3) البكري: المغرب، ص35. التجاني: رحلته، ص27.

(4) لقد اشتهرت أهالي مدينة سوسة بالتعامل بمذهب أهل السنة فظهر الكثير من الفقهاء والمحدثين. ابن الأثير: اللباب، ج1، ص577. ابن حوقل: صورة الأرض، ص75.

(5) المقريزي: الاتعاظ،، ص82-83. إلا أن الوزير السراج يذكر أن حصار أبى يزيد لمدينة سوسة كان سنة 333هـ/943-944. الحلل السندسية، ج1، ص300.

(6) التجاني: رحلته، ص327.

(7) نفس المرجع، نفس الصفحة. ابن أبى دينار: المؤنس، ص61. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص308. قارن مع سعيد بن مقديش، ص134.

(8) التجاني: رحلته، ص327.

(9) تقع على مسافة يومين من القيروان. المقريزي: الاتعاظ، ص83.

الرحمن الناصر خليفة الأندلس، يطلب العون، فوصل أيوب إلى قرطبة 335هـ–946م[1].

جاءت الأنباء إلى المنصار بالله بهزيمة أبى يزيد ورحيله عن سوسة فتحرك في آخر شوال سنة 334هـ مايو 946م[2] من المهدية إلى سوسة[3]، فأمن أهلها[4] ثم انتقل إلى غربي القيروان[5] القيروان[5] فأمن أهلها[6]، وأجرى عليهم الأرزاق والعطايا[7] وحفر وحفر خندقا حول معسكره[8]، وأرسل أبو يزيد سرية من جيشه يترقبون تحركات المنصور، وعلم المنصور بالله خبرها فبعث جيشا للقضاء عليها، فكمن بعض أصحاب أبى يزيد، والتقى الباقون مع

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء: ج23، ص390. ابن عذارى: البيان، ج1، ص330.
Levi-Provinçal : Histoire de l'Espagne, V2, p104. La Politica, p372.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص388. المقريزي: الاتعاظ ج1، ص 82.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص308. ابن خلدون: العبر، ج4، ص43. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص168.

(4) وكان قبل ذلك ساخطا عليهم. الكامل، ج6، ص308.

(5) المقريزي: الاتعاظ ج1، ص82. ابن حوقل: صورة الأرض، ص84.

(6) ابن الأبار: الحلة، ج2، ص388.

(7) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص169.

(8) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43.

جيش المنصور بالله، وانهزموا أمامه يستدرجونه، وخرج الكمين عليهم فهزموا جيش المنصور بالله وقتلوا الكثير منهم[1].

وهكذا عادة الثقة إلى أبي يزيد وأتباعه، وخرج يريد استرداد القيروان وتعددت المعارك بين الفريقين[2]، غير أن أبا يزيد فشل في استرداد القيروان لاستماتة أهلها في الدفاع عنها إلى جانب المنصور بالله[3].

كما تمكن المنصور من إلقاء القبض على زوج وأولاد أبي يزيد وعاملهم معاملة طيبة[4]، ثم وجههم إليه عندما طلبهم أبو يزيد على أن يدخل في طاعته بعد أن يؤمنه هو وأصحابه، فأجابه المنصور بالله إلى مطالبه، إلا أن أبا يزيد لم يف بوعده بعد وصول

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص158.

([2]) يذكر ابن الأثير تفاصيل كثيرة عن هذه المعارك، وهي إلى الأسطورة أقرب، ويردد المقريزي وابن الخطيب أقوال ابن الأثير. الكامل: ج8، ص156. الاتعاظ: ج1، ص82. ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج3، ص54.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة. المقريزي: الاتعاظ ج1، ص82. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص170.

أهله إليه فأعاد الكرة على القيروان في المحرم سنة 335هـ/ أغسطس946م[1]، لكن الدائرة دارت عليه[2].

وعظمت إمدادات المنصور بالله من مختلف الجهات، فجعل على ميمنته أهل القيروان وعلى ميسرته كتامة وهو وعبيده وخاصته في القلب[3]، والتقى الجمعان في السابع من شهر المحرم سنة 335هـ/ التاسع من أغسطس946م فكانت الحرب سجالا بينهما[4]، غير أن الهزيمة حلت بأبي يزيد ومن معه وفقد على أثرها القيروان نهائيا[5]، وعرفت هذه الموقعة الحاسمة "بمعركة

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص308. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص180.

(2) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص156.

(4) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

يوم الجمعة"[1]. وبعد الانتصار الفاطمي بدأ نجم أبا يزيد في الأفول فانهالت عليه الهزائم[2].

وسار المنصور بعد انسحاب أبى يزيد في طلبه[3]، عازما على استئصال شأفة الثوار وقصده وهو محاصر في مدينة باغاية[4]، والتحم الجمعان في معركة حامية الوطيس، كانت لصالح المنصور بالله بعون أهالي المدينة الدين أغلقوا أبوابها حين قصدهم[5].

ثم رحل المنصور بعدها إلى طنجة[6] فوصلت رسل محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية والمغرب الأوسط، وكان من أعيان أصحاب أبى يزيد بالاستعداد لمساندته فأكرمه[7]، وكتب إليه

---

(1) ويورد الجوذري نص رسالة المنصور إلى مولاه جوذر بعد انتصاره على أبى يزيد في هذه الموقعة وصف ليها المعركة وجاء فيها "اليوم فتحت مشارق الأرض ومغاربها، اليوم ازداد الحق ضياء و"نساء" و"علاء". الجوذري: ص 44-46. إلا أن ابن الأثير والمقريزي يذكران أن هذه الواقعة كانت في منتصف المحرم من سنة 335هـ. الكامل، ج8، ص165. الاتعاظ، ص122.

(2) ابن خلدون: العبر، ج4، ص43. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص82.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص84. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص309. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص35. ابن خلدون: العبر، ج4، ص43.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص306. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص35.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(6) ياقوت معجم البلدان، ج6، ص28. الإدريسي: وصف إفريقية، ج3، ص277.

(7) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

باقتفاء أثر أبي يزيد[1]، ووعده بالمال إذ ما قبض عليه[2]، فخسر بذلك أبو يزيد حليفا قويا[3]، في هذا الوقت الحرج[4]، ولم يعد معه سوى أهل عصبيته من بني يفرن، والبطون الزناتية التي أخذت بمذهبه.

فتعقب المنصور بالله تحركاته في كل صوب، حتى بلغه نبأ فراره إلى بني برزال[5] بجبل سلات[6].

فمشى المنصور أحد عشر يوما في تلك القفار والأوعار، فأتاه أهل هذا الجبل طائعين فسألهم عن أبي يزيد، فلم يلق عندهم خبرا عن أثره فأمرهم إذ هو مر بهم راجعا أن يأخذوه، ووعدهم بالأموال

---

(1) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ورقة 45. أنظر
Gautier : Le Passé de l'Afrique du nord, p384.

(2) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44. قارن برواية ابن حماد، ص30.

(3) ويرجع سنوسي أن محمد بن خزر الزناتي تخلى عن أبي يزيد الزناتي بعد أن أيقن من هزيمته. زناتة والخلافة الفاطمية، ص290.

(4) أنظر: Gautier : Opcit, p 394.

(5) من بطون زناتة وهم على مذهب النكار، وهم أهل بأس ونجدة ابن خلدون، ج4، ص44. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص310. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص36.

(6) وهو جبل شامخ دونه القفار ومغاور ورمال. ابن حماد: أخبار ملوك، ص38. يقع حاليا بين بوسعادة والمسيلة في الجزائر.

والخلع، وكر راجعا[1] حين عجز عن مطاردته نظرا لوعورة الجبال وقساوة المناخ وقلة المؤن[2]، فقد بلغت عليقة الشعير دينارا ونصف، وقربة الماء دينارا[3] ومات كثير من جنده جوعا وعطشا[4]، فعاد إلى بلاد صنهاجة[5].

ويبدو أن قبيلة صنهاجة لم تشارك القوة الفاطمية في القضاء على ثورة أبي يزيد منذ أن أمدت الخليفة القائم بأم الله بالمؤن والفرسان أثناء حصار المهدية، وحتى خروج المنصور بالله لمطاردة أبي يزيد[6]، والواضح أن المنصور حين لم يستطع القبض على أبي أبي يزيد للظروف السالفة الذكر، كاتب زيري بن مناد الصنهاجي[7] مستغلا في ذلك عداءه مع قبيلة زناتة[8]، فانضمت

([1]) ابن حماد: أخبار ملوك، ص38-39. قارن بين روايتي ابن الأثير: الكامل، ج6، ص310. ابن خلدون: العبر، ج4، ص43-44.

([2]) المقريزي: الاتعاظ ج1، ص82-83.

([3]) المرجع نفسه، ص84.

([4]) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص38-39.

([5]) المرجع نفسه، نفس الصفحة، ابن الأثير: الكامل، ج6، ص310.

([6]) سنوسي: زناتة والخلافة الفاطمية، ص232.

([7]) حيث بعث إليه أموالا جمة، ومن الذهب والتحف والطرف ما استمال به النفوس، واستلان به القلوب. الكامل: ج6، ص310. ابن حماد: أخبار ملوك، ص39.

([8]) راجع تفاصيل علاقة زناتة بقبيلة صنهاجة. مجهول: نبذ، ص8. النويري: نهاية الأرب، ج2، ورقة 49. ابن خلدون: العبر، ج7، ص27.

فانضمت إليه القوة الصنهاجية في عسكر عظيم. فأفاض المنصور عليها بالأموال إفاضة خضعت على إثرها كافة صنهاجة نياتهم[1].

وفي غمرة هذه التطورات تخلى بنو كملان عن أبى يزيد وطلبوا الأمان من المنصور بالله فأمنهم[2].

إلا أن المنصور أصابه المرض[3]، فتعطلت عملية البحث عن أبى أبى يزيد، وعزم المنصور على استرداد تيهرت[4] من أيدي زناتة المغرب الأوسط الذين استغلوا فرصة انشغال الفاطميين بملاحقة أبى يزيد واستولوا على تيهرت سنة 333هـ /945م[5].

وعلم أبو يزيد بتحركات المنصور بالله فضرب الحصار حول مدينة المسيلة[6] غير أن المنصور بالله لم يمهله الفرصة، فكر راجعا راجعا إليه وأزاحه عنها في رجب سنة 335هـ يناير 947م[7].

([1]) ابن حماد: أخبار ملوك، ص39.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

([3]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج2، ورقة 29.

([4]) ابن حماد: أخبار ملوك، ص39.

([5]) ابن خلدون: العبر، ج1، ص44.

([6]) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص84.

([7]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وذلك لأهمية مدينة المسيلة لتموين الجيش لأنها لم تكن في تلك المنطقة مدينة سواها[1].

ثم حاول أبو يزيد الفرار إلى بلاد السودان لكن أتباعه من قبيلة هوارة منعوه[2]، فاضطر أن يتحصن بقلعة جبل كيانة[3] وحاصر المنصور الجبل وضيق عليه الحصار بعد أن تظافرت جهود قبيلة صنهاجة وكتامة وعجيسة وزوانة، وحشود من مزاتة ومكناسة ومكلاتة[4].

ودارت الحرب سجالا بين الطرفين، وانهزم فيها جيش أبى يزيد ومات من أتباعه خلق كثير وأصيب هو بجراح[5].

وبعد كل هذه الهزائم التي توالت على أبى يزيد خلعت هوارة وأكثر القبائل التي ساندت الثورة طاعة أبى يزيد، وطلبت الأمان من الخليفة الفاطمي المنصور الذي رحب بهذا المطلب[1].

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص60. ابن حماد: أخبار ملوك، ص38-39.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص60 - ج6، ص310. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص84. ابن حماد: أخبار ملوك، ص38-39.

([3]) الجوذري: سيرة، ص48. التجاني: رحلته، ص327. ابن خلون: العبر، ج4، ص44.
L'Leary : Opcit, p91.

([4]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

([5]) وكما أورد ابن الأثير والمقريزي أن زيري بن مناد هو الذي جرحه. الكامل، ج6، ص310. الاتعاظ، ج1، ص85.

وقام المنصور باقتحام القلعة بجبل كيانة، حيث أضرم النيران فيها، فحاول أبو يزيد الهرب دون جدوى، فوقع مثخنا بالجراح في قبضة المنصور[2]، فما كان منه إلا أن أمر بسلخ جثته وحشو جلده بالتبن وشهر به في الأسواق[3].

والظاهر أن الخوارج لم ييأسوا أمام القوات الفاطمية، حين قضت على زعيمهم، بل استأنف فضل بن أبى يزيد الحرب ضدهم فجمع قرابة ثلاثين ألف رجل من مختلف القبائل[4] وجعل على رأسهم معبد بن خزر الزناتي[5]، ولكن المنصور بدد شملهم وراح يطاردهم حتى المسيلة إلى أن فقد أثرهم[6].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص310. الاتعاظ ج1، ص85.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص77. ابن حماد: أخبار ملوك، ص43. التجاني: رحلته، ص328. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 46. المقريزي: الاتعاظ ج1، ص85. ابن خلدون: ج1، العبر، ج4، ص44. النعمان: الافتتاح، ص334.

Cherbonneau, Document indits sur l'Hertique Abou-Yezid, p493.

(3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44. المقريزي: الاتعاظ ج8، ص85. ابن أبى دينار: المؤنس، ص61. التجاني: رحلته، ص328. الدرجيني: الطبقات، ج1، ورقة 46. ابن حماد: أخبار ملوك، ص45. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص1290.

(4) أبو زكرياء: السيرة، ص188.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص145. ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

(6) المرجع نفسه، نفس الصفحة. قارن بين رواية ابن الأبار: الحلة، ج2، ص389.

وفي جمادى سنة 336هـ/947-948م بلغ المنصور أن فضلا بن أبى يزيد ظهر في جبل أوراس[1]، فخرج إليه، غير أن فضلا اختفى مرة أخرى في القفار[2] فاضطر المنصور إلى العودة إلى المهدية في رمضان سنة 336هـ/948م بعد أن سئم ملاحقته[3].

وقد اختلفت المصادر التاريخية في أحداث ثورة فضل بن أبى يزيد والكيفية التي تم بها القضاء عليه، فذكر ابن خلدون أنه بعد رجوع المنصور إلى القيروان هاجم قبيلة لواتة، التجأ فضل إلى جبل أوراس، ثم ضرب الحصار على مدينة باغاية وأثناء ذلك غدر به أحد أتباعه وجيئ به إلى المنصور مقتولا[4].

أما المصادر الاباضية[5] فلم تشر إلى قيام فضل بن أبى يزيد بغارة أو هجوم على القوات الفاطمية، فذكر بعضها أن فضلا قام بجمع بقايا عسكره[6]، بعد موت أبيه أبى يزيد مخلد بن كيداد

([1]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44. ابن أبي دينار: المؤنس، ص62. التجاني: رحلته، ص328.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص311.

([4]) راجع تفاصيل القضاء على فضل ابن أبى يزيد عند ابن خلدون: العبر، ج4، ص44. وابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص47.

([5]) لم يذكر كل من الدرجيني والشماخي شيئا عن حركة فضل بن أبى يزيد.

([6]) أبو زكرياء: السيرة، ص185.

وقص بهم مضارب مزاتة وطالب أهلها بتسليمه أبى القاسم يزيد بن مخلد وأبى خزر يعلى[1] وهما من بني عمه، غير أن قبيلة مزاتة رفضت مطلبه مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين مما أسفر عن انهزام قوات فضل بن أبى يزيد، وبعثوا برأسه إلى المنصور بالله قربانا وتوددا إليه[2].

وما يمكن استخلاصه من هذه الروايات، هو أن فضلا قتل ولم يعلم المنصور بقتله حتى وصلته رأسه.

كما حاول أيوب بن أبى يزيد –بدوره– الثورة على المنصور[3]، غير أنه أغتيل على يد عبد الله بن بكار –أحد زعماء قبيلة مغراوة[4]– متقربا بفعلته إلى المنصور بالله[5].

وتتبع المنصور بالله قبائل بني يفرن إلى أن انقطع أثر تلك الثورة العارمة[6].

([1]) يسميه أبو زكرياء مرة يعلا (السيرة ص 185. ومرة يغلا).

([2]) الدرجيني: الطبقات، ورقة 46. السيرة، ص185–186.

([3]) ابن خلدون: العبر، ج4، ص44. ج7، ص17.

([4]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([5]) ابن عذارى: البيان، ج2، ص232.

([6]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص309. ابن خلدون: العبر، ج4، ص43–44. العماني: كشف الغمة، ورقة 274.

وأسدل الستار على أحداث حركة النكار بعد أن هلك أصحابها.

وخلاصة القول، أن ثورة أبي يزيد قد فشلت بالرغم من توفر عناصر القوة والنجاح وذلك لأسباب عدة في مقدمتها، عدم إيمان الأغلبية من جنده بجدواها، ونجم عن ذلك أن تفشت الخيانة بينهم، وكثيرا ما أطلعوا خصومه على عوراته ومواطن ضعفه، مما يبين أن هؤلاء الأتباع لم يفهموا أهداف ثورته وأبعادها، ولعل هذه الآفة ترجع إلى أن معظمهم كان من رعاع المجتمع، قد دفعهم السلب والنهب للسير وراء أبي يزيد، فانفصلوا عنه حين لم يبق ينهبون عند حصار المهدية وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن أبا يزيد لم يكن في مستوى الأحداث وما تتطلبه منه الزعامة السياسية والدينية التي تقتضيها الظروف، فلم يتمكن من غرس مبادئ ثورته ومنهجه النكاري في نفوس أتباعه، حتى تكون لهم جذور عميقة يدافعوا عنها.

وتذكر المصادر التاريخية[1] في هذا الشأن أن مقتلة حلت بجيش أبي يزيد في القيروان لا نظير لها في تاريخ الحركات الثورية في بلاد المغرب، حتى أن ما أخذه الأطفال في القيروان من رؤوس

([1]) ابن خلدون: العبر، ج7، ص13.

قتلى جيشه بلغ عشرة ألاف رأس، وذلك في شهر المحرم سنة 335هـ/ أغسطس 946م وإن بدت مبالغة المؤرخين في إحصاء عدد القتلى، فلا غرو أن ذلك يبين مدى الخسائر في صفوف أبي يزيد كما أن انعدام الانسجام داخل صفوف جنده تباين مصالحهم وقلة تماسكهم يعتبر من أهم أسباب الهزيمة، وهذا أدى إلى ضعف جبهته الداخلية.

ودليلنا على ذلك أن ما صارحه به بعض أتباعه من الخوارج الوهابية "إلى متى تنتظر بثأر يزيد بن فندين، يرمي إلى إمامهم المقتول بباب تيهرت فقال له أبو يزيد "نحن إذا تخلصنا وتفرغنا عن نسج الكساء انشغلنا".

وكان حوله جماعة من مزاتة، فرد أحدهم عليه:"لا تظن أن الوهابية خرجوا معك، فإنهم في مساجدهم، وإنما خرجنا معك لنشارك في أكل هذه الميتة —يريد بها الأموال التي كانوا ينهبونها—".

وبالإضافة إلى العوامل المتقدمة فإن المنصور الفاطمي عرف كيف يستميل إليه أهم القبائل وأقواها للقضاء على أبي يزيد مثل كتامة حليفة الفاطميين التقليدية وصنهاجة التي استمال زعمائها إليه

ومناهم بالمناصب والامتيازات، وأغدق المال على الناس بدون حساب فأتته الأنصار من كل صوب وحدب.

كما عمل المنصور أيضا على زرع الخلاف بين صفوف خصمه، حتى أن بعض بني نحلة أبي يزيد من زناتة تنكروا له ولعبوا دورا أساسيا في القضاء عليه[1].

وواقع الأمر أن المنصور لم يتمكن من التغلب على أبي يزيد والظفر به إلا بعد جهد جهيد، بعد أن دارت بينهما معارك شرسه، تدل على قوة الخصم.

مما ينهض دليلا على خطورة ثورة أبي يزيد أن المنصور يفترغ لقيادة الجيش لملاحقة أبى يزيد تاركا على ملكه الأستاذ جوذر الصقلي[2].

وبقدر ما كانت هذه الثورة شاملة وعنيفة، واستغرقت مدة طويلة من الزمن، فإن الخسائر الناتجة عنها كانت كبيرة[3].

هذا إلى جانب التخريب والتدمير الذي لحق بالجوانب الاقتصادية من فلاحة وحرف وتجارة[1].

([1]) المرجع السابق، ج6، ص308. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص311.

([2]) سيرة جوذر، ص48. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص308.

([3]) العماني: كشف الغمة ورقة 375. أبو زكرياء: سيرة ص 181.

لها وإن قامت بعضها سابقة على مقتل أبى عبد الله، فقامت ببلد كتامة في سنة 297هـ 910م ثورة تزعمها رجل يدعي "بباب" واستقطب حوله عددا كبيرا من البربر.

وبكل الدقة عالج المهدي الموقف فضرب أهل المغرب بعضهم البعض، وبعث إلى أنصاره المتمسكين بطاعته، وحثهم على محاربته، وتم القضاء على أول حركة للمقاومة في أرض كتامة وألقى القبض على زعيمها، ونفي إلى القيروان[1].

والظاهر أن بلا كتامة كانت مهدا للثورة برغم كونها أولى المناطق التي ظهرت فيها الدعوة الإسماعيلية، وهي التي ساندتها حتى أثمرت ونشأ عنها كيان الخلافة الفاطمية[2].

حقا لقد لعب الكتاميون الدور الرئيسي في قيام هذه الخلافة وحموها من الأخطار التي هددتها من حين لآخر[3]، ولكنهم لم

([1]) ابن عذارى: ج1، ص160.

([2]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127. النعمان: الافتتاح، ص31-33. جوذرى: سيرة جوذر، ص125. ابن خلدون: العبر، ج4، ص31. المقريزي: الاتعاظ، ص68.

([3]) ابن الأثير: ج6، ص128-129. النعمان: الافتتاح، ص83. ابن عذارى: البيان، ج8، ص124-125.

Colvin : le Maghreb Central, p52.

يسيطروا على كل أمورها، وإنما كانوا جندا وموظفين طيعين عن خلفائهم وأداة لتحقيق أغراضهم[1].

كما حرص الفاطميون على سب ود هذه القبيلة وجعلها تسير رهن إشارتهم ولأجل ذلك عملوا على استرضائها بإغداق الأموال وتوزيع المراتب الإدارية والعسكرية عليها خدمة لمصالحها. وقد ظهرت دلائل التقلب في أهواء كتامة عقب استقرار المهدي في رقادة سنة 297هـ/910م، الذي استولى على الأموال وخاصة تلك التي أحضرها معه من "ايكجان" بعد أن كانت بأيدي الدعاة ومشائخ كتامة[2]، كما استنكروا سياسة المهدي العامة عندما أهمل بعض الحواضر من بلاد كتامة[3].

وأظهر زعماء قبيلة كتامة حتفهم في مجالسهم العديدة[4]، والتي كان يترأسها أبو عبد الله وأخوه أب العباس، فانتقدوا أعمال المهدي وتصرفاته، وأخذوا يشككون في أمره[1].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص127-301. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص97. ابن أبي دينار: المؤنس، ص64. سيرة جوذر، ص55. القلقشندي: صبح الأعشى، ص188.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص 133. النعمان: الافتتاح، ص288. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36.

(3) لقد أهمل المهدي قلعة ايكجان، التي كانت قاعدة لنشر المذهب الإسماعيلي واهتم فقط بجمع الأموال منها. النعمان: الافتتاح، ص288.

(4) ابن عذارى: البيان، ج1، ص158.

كما أخذوا يذكرون بما أخذه المهدي، من أموال إيكجان واستئثاره دونهم قائلين لهم: "ما جزاكم على ما فعلتم، وأضافوا قائلين "هلا قسما فيكم"[2].

واستغل أبو عبد الله وأخوه أبوالعباس روح التذمر التي تفشت في قبيلة كتامة في استقطاب زعمائها وذلك حينما مست السياسة الفاطمية أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية[3].

فثار بعضهم قائلا "والله لا تركناه —يقصد المهدي— حتى يقاسمنا هذه القصور التي نزلها...

ويكون الأمر أمرنا والحكم حكمنا كما كان، ولا رضينا أن نأخذ من تحت يديه كما يأخذ العبيد، بل يكون ما أخذناه بأسيافنا عندنا وتحت أيدينا، كما كان ولنا الفضل فيما نعطيه منه"[4].

وكانت أول ثورة قامت ضد السلطان الفاطمي بعد مقتل أبى عبد الله الشيعي، تزعمها أنصاره من قبيلة كتامة، فأصيبت علاقة

([1]) النعمان: الافتتاح، ص307-309-312. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص134. النويري: نهاية الأرب، ج26 ورقة 34. ابن خلدون: العبر، ج4، ص36. المقريزي: الاتعاظ، ص93-94.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص208-309. ابن الأثير: الكامل: ج6، ص134. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37

([3]) عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية، ص117.

([4]) النعمان: الافتتاح، ص317.

الكتاميين بالفاطميين بهزات عنيفة، فما تفتأ أن تثور كتامة بين حين وآخر وخاصة في عهد المهدي[1]، فقد كانت صدمة بربر كتامة عظيمة عند مقتل أبى عبد الله الشيعي على يد المهدي[2].

وعلى حد التفسيرات الحديثة أن أهل المغرب قد خاب أملهم في المهدي، إذ اتضح لهم أن الوعود التي وعدهم إياها أبو عبد الله الشيعي عن انقطاع الفساد بخلافة المهدي، وحلول عهد العدل[3] فضلا عن خيبة أملهم في عدم تحقيق ما وعدوا به جزءا لدورهم في قيام هذا العرش[4].

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. سيرة الحاجب جعفر: ص 122. المقريزي: الخطط، ج1، ص352. سنوسي: زناتة والخلافة الفاطمية، ص175-176.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص 131. مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص231. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 519. جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص25. مرمول: تاريخ الشرق الجزائري، ص119. شال جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص75.

Marcel Peyrouton : Histoire général du Maroc, p78. Djait, Talbi, Dachraoui, Douib : Histoire de la Tunisie, pp 215-216.

(3) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي، ص518-519.

(4) النعمان: الافتتاح، ص317. شارك جوليان: تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ص75.

Marcel Perouton : Opcit, p 79.

كما أن الفهم الموضوعي لثورات كتامة لا يتم دون أخذ كافة الأسباب السياسية والدينية والعنصرية والاقتصادية في الاعتبار.

قام بعض الكتاميين القاطنين في القيروان[1] يسألون المهدي في أن يطلق أيديهم في أموال القيروان[2] فقد كان المهدي يمنيهم ويسوفهم، وهم في ذلك يتطاولون على الأهالي وخاصة على التجار من المالكية الذين كانوا يملكون الحوانيت، ويحتكرون بعض السلع الرائجة في أسواق إفريقية[3].

فضاق الناس بهم ذرعا إلى حين قام أحد من جند كتامة على تاجر قيرواني، فلما دافعه التجار شهر الكتاميون السلاح عليهم وأرادوا نهب الحوانيت[4] فاستنفر أهل الأسواق الناس فقاموا عليهم، وقتلوا من كتامة زهاء ألف أو أكثر[5].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص322. ابن عذارى: البيان، ج1، ص166.

Pellegrin : Histoire de la Tunisie, p 145.

([2]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166. Dachraoui : Opcit, pp 132-133.

([3]) الدباغ: المعالم، ج3، ص96.

([4]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. ابن عذارى: البيان، ج1، ص166. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص96.

([5]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166. مجهول: العيون والحدائق، ص93.

فتحرك والي القيروان ابن خنزير لإنهاء ذلك التشابك، فأمر بتغييب القتلى فطرحوا في المراحيض[1]، وأثر ذلك التحق من بقي من الكتاميين مواطنهم[2].

وذكر القاضي النعمان في هذا الشأن أن شيوخ القيروان خرجوا بعد القضاء على الثورة إلى المهدي فأعرض عنهم، ولم يعجل بالعقوبة عليهم مرة، ثم عاقبهم بعد ذلك في أموالهم[3].

وخلاصة القول، أن هذا الصراع كان محكوما بالمصالح الاقتصادية بالدرجة الأولى، إذ ما علمنا أن في هذه السنة كانت أحوال القيروان متأزمة اقتصاديا، إذ وقعت هناك كوارث طبيعية من ذلك حدوث زلزال بها[4].

ويحتمل أن يكون للمهدي دور في افتعال النزاع بين الكتاميين والقيروانيين فهو حينما خشي من سطوة جنده من الكتاميين أوعز إلى بعض القيروانيين بالثورة ضدهم فكانت وسيلة للحد من شوكة

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة، إحسان حقي: تونس العربية، ص58.

Ency – I T3 Art Ubaid-aalh, p 125.

(3) فلم يصرح النعمان عن أسباب هذه الثورة: الافتتاح، ص322-323.

(4) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166-117.

هؤلاء الجند[1]، وذلك أسلوب اتخذه المهدي في معالجة بعض الأزمات التي واجهت دولته، وهذا لا يسقط أعمال جند المهدي التي كانت مصدر تعكير للأمن لما جبلت بنهب أموال الرعية، هذا ما تذكره المصادر السنية[2]، والمصادر الإسماعيلية لا تخلو من إشارات تؤكد ذات الحقيقة[3].

وأن الكتاميين قفلوا عائدين إلى موطنهم الأصلية بعد أن سكنت نار الحرب في القيروان[4].

ولكنهم أظهروا الخلاف على المهدي[5] وذلك حينما تقاعست حكومته عن اتخاذ إجراءات انتقامية عاجلة ضد القيروانيين[6].

ولا غرو أن اتخاذهم لبلاد كتامة مركزا لانطلاق ثورتهم يعود لعدة عوامل هامة لحصانتها الطبيعية، فهي تستند إلى جبال وعرة

---

(1) مرمول: السياسة الداخلية للخلافة، ص78.

(2) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص309.

(3) الجوذري: سيرة جوذر، ص43.

(4) النعمان: الافتتاح، ص324. Dachraoui : Opcit, p 135.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص97. ابن عذارى: البيان، ج1، ص167.

(6) النعمان: الافتتاح، ص322- 323. Marçais (G) : Opcit, p 147.

المسالك فضلا عن أن بلاد إفريقية هي موضع خطر على الثوار ففيها عاصمة الخلافة الفاطمية، وكان من السهل القضاء على ثورة الكتاميين فقد ارتكنوا إلى دعاوى فنادوا بالرجعة (التناسخ)[1].

وأعلنوا أن أبا عبد الله الشيعي حي لم يمت[2].

([1]) التناسخ من مقولات أهل الهند في الالهيات، إذ يرون أن الأرواح لا تموت ولا تفنى وأنها أبدية الوجود تنتقل في الأبدان المختلفة. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص238. ويرى البغدادي أن الروافض الحيلولة من أهل التناسخ. راجع الفق بين الفرق، ص 270-272. والشيعة ينكرون الحلول على صورة النصارى بل يؤمنون بالحلول والاتحاد في صورة نور متصل أزلي- هو النور المحمدي حل في ذوات الأئمة على التوالي بالانبعاث تماما كما ينبعث الضوء من النور وحسب تعبير الإمام جعفر الصادق: أنا خلائق مخلقون وعباد مربوبون، لكن لنا من الله عز وجل منزلة لم ينزلها أحد غيرنا، ولا تصلح إلا لنا ونحن نور الله وشيعتنا منا وسائر الخلق في النار. المجالس والمسايرات، ج1، ص85.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص324-325. وكذلك ورد هذا النص عند كتاب العيون والحدائق بشيء من التحريف، ص95. النويري: نهاية الأرب، ج26، ورقة 35. المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص97.

وأظهروا مذهب الإباحة في النساء[1]، وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالموطنتى[2] واسمه كادو بن معارك[3] من جبل أوراس[4] من جهة أوريشة[5]، وادعوا أنه المهدي المنتظر وجعلوه على حد قول "ابن عذارى" "قبلة" يصلون إليها[6]، وزعموا أن له شريعة نزلت عليه بالوحي، ونصبوا له دعاة كدعاة أبى عبد الله الشيعي[7].

وقد تغلب هذا الثائر على مناطق عدة من بلاد الزاب[8]. فاستولى على ميلة وذلك في زمن قصير[1].

([1]) النعمان: الافتتاح، ص324-325. مجهول: العيون والحدائق، ص95.

([2]) النعمان: الافتتاح، ص324-325. مجهول: العيون والحدائق، ص95. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص28-29. وذلك نسبة إلى بنوما وطنت. قارن التسمية عند ابن الأثير: ج6، ص135. ابن خلدون: العبر، ج4، ص37. المقريزي، ج1، ص97. ابن عذارى: البيان، ج1، ص166-167. سيرة جوذر، ص122.

([3]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص 166-167.

([4]) النويري: ج 26، ورقة 35.

([5]) المرجع نفسه، نفس الوريقة. النعمان: الافتتاح، ص324-325.

([6]) ابن عذارى: البيان، ج1، ص166-167.

([7]) النعمان: الافتتاح، ص324-325.

([8]) وهي تقع على أطراف الصحراء من بلاد الجريد، من أعمال إفريقية... وبها مدن كثيرة المسيلة، نقاوس، طبنة وبسكرة وتهودة، وطولقا وجميلة وأشير... أنظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص21. ياقوت: المعجم، ج2، ص428، ج4، ص264-265. البكري: المغرب، ص51. التجاني: رحلته، ص157. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص93-184، 214.

الصدد: "وهرب إليهم أحد القواد وهو صولات بن جندة في نحو مائتي رجل"[1].

وخلاصة القول، إن القائم استطاع أن يعيد الانسجام والترابط بين صفوفه، وذلك بما أوتى به من مرونة، فلاطف الثوار حتى مالوا إليه فاستعان بما حملوه إليه من أخبار عن عورات الخصم فوجد الوسيلة في كسر نشاط كادوبن معارك[2] الذي تعدى حدود ميلة[3]، فبادر وفتح قسنطينة[4]، وواصل تحركاته الناجحة بفضل درايته التامة بشؤون الحرب فانتقى من جنده أهل الكناية وجعلهم في المقدمة حين دبروا الانقلاب عليه.

والملاحظ، أنه لم تنته الدعوة إلى المهدي المنتظر مع نهاية الماوطنتي، بل لقد استغلها بعد ذلك بعض أهالي بلاد المغرب في المراحل المتتالية من عهد هذه الدولة في بلاد المغرب.

([1]) لقد انفرد بهذه المعلومات ابن عذارى: ج1، ص167.

([2]) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

([3]) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص135. مجهول: العيون والحدائق، ص95. الداعي إدريس: عيون الأخبار، ج5، ص29.

([4]) وهي قلعة حصينة في أول بلاد كتامة شرقا، وهي إحدى الولايات الهامة في الجزائر حاليا. أنظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص93. البكري: المغرب، ص131-132. دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص885-888.

وقصارى القول، أن تلك المحاولة، لم يكتب لها النجاح في تحقيق أهدافها ولكنها حركة إقليمية يعوزها التنظيم المحكم، هذا إلى جانب عجز زعيمها عن استقطاب كل القبائل الكتامية حوله الأمر الذي كان في صالح عبيد الله المهدي، وكان سببا في إخمادها بالكتاميين الموالين له.

وهكذا استطاعت الدولة الفاطمية أن تعالج أزمة خطيرة في وضع قواعدها بكل حزم ودهاء، وان تحافظ على وحدة الصف الإسماعيلي والوجود الفاطمي في بلاط المغرب.

أما كتامة فرغم أنها استمرت عصب الدولة وجندها وصمام أمنها، وعدتها في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، فإننا لم نعد نسمع عن قادة كتاميين بارزين تولوا مسؤوليات كبرى حتى عصر المعز لدين الله وغدت العناصر الكتامية أوزاعا متفرقين وجندا من غير قادة بارزين، إذ برز في ميدان القيادة على كتامة رجال من مكناسة أو من طبقة الصقالبة[1].

والظاهر أن هذا الوضع أثر على معنويات رجالها وعلى تماسك جندها وبسالتهم تجاه حركة أبي يزيد حيث قاتلوا في ظروف

---

(1) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص 76-101. العزيزي الجوذري: سيرة جوذر، ص41. البكري: المسالك والممالك، ص154 وما بعدها.

صعبة وبدون قادة وخطة منظمة، ولذلك أصيبوا بكوارث فتحطم بذلك شرفهم العسكري وإن حاولوا الثبات إلى جانب ميسور الفتى وبشرى، وتظاهروا بالاهتمام بمصير الدولة وبأمنها، حيث تركهم القائم يتصرفون بحرية حسبما يمليه الموقف[1].

ويبدو أن المنصور بالله أعاد اعتبار قبيلة كتامة كحماة للنظام وكان ثناؤه وتمجيده لدورهم واضحا في خطبه، إذ خاطبهم بأهل الدعوة، وأنصار الدولة "يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا يا كتامة احمدوا الله، واشكروه على ما خصكم به من نعمته".

ولكي يعيد إليهم اعتزازهم بالدول ويقوى ارتباطهم بها، وينسوا ما حصل لقادتهم ورجالهم في عهود مضت وأوضح المنصور أمام الملأ رضاه عن كتامة بقولة: "اللهم إني أصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبلك وصبرهم على البأساء والضراء"[2].

وقد سار المعز لدين الله على نهج المنصور بالله تجاه كتامة، فأسبغ عليهم نعما وامتيازات[3].

([1]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقة 13.

([2]) الجوذري: سيرة جوذر، ص55-60. أنظر الملحق، رقم 3.

([3]) الجوذري: سيرة جوذر، ص116.

وأكثر من الاتصال بقادتهم وشبابهم وشيوخهم، ليسألهم عن احتياجاتهم وعما تطلبه الدولة منهم، وكان يؤكد في كل مناسبة ما يكنه لرجالات كتامة من تقدير ومحبة ويبالغ أحيانا، فيصفهم بالاخوة والأبناء والأقربين وبحزب الله[1].

والظاهر أن المعز لدين الله كان يدرك أن كتامة امتحنت في عهد المهدي وزالت عنها الرئاسة وتخطتها المسؤولية حتى خمل ذكرها ونشأ الجيل الثاني من رجالها بعيدا عن الدولة، لأن الجيل الأول فني في الحروب، فقد أراد أن يعيد الوضع سيرته الأولى، حفظا للتوازن بين العناصر المستبدة بشؤون الدولة، فعين شبابا من كتامة في الأعمال الإدارية والعسكرية واشترط عليهم الطاعة والامتثال لأوامره[2].

ولقد أبدأ المعز تخوفه من حركات انفصال بين الكتامين انتقاما بما حل بأبائهم في العهد السابق، فكان يوضح أمامهم أن ما حدث في عهد المهدي لرجالهم ولزعمائهم إنما كان يقصد به تطهيرهم من الذنوب، وتربية غيرهم من عامة الناس حفاظا على

---

(1) "انتم البنون والأخوة والأقربون، ما بعد لكم عندي أحد، ولا يبلغ مبلغكم في قلبي بشر، وما ذلك إلا لما لي في قلوبكم. النعمان: المجالس والمسايرات، ج1، ورقات 10-26-29.

(2) المرجع السابق، ج2، ورقات، 600-603

النظام وعلى الانسجام بين رعايا الدولة، وهو المبدأ الذي حرص المعز على تحقيقه.

ويبدو أن العناصر الكتامية ظلت بدورها ومكانتها داخل الدولة الفاطمية وذلك أن واجه المعز لدين الله موقف الرفض منهم عندما رغب في تعيين عمال للصدقات في مدنهم وإرسالها إلى دار الخلافة للاستعانة، بها في تحقيق مشروع توسع الدولة في مصر وقد برروا موقفهم عندما أحضرهم عنده بقولهم "ما كنا يا مولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا". فتظاهر المعز بالسرور وتصنع الاعتباط لموقفهم القوي وقال: "وإنما أردت أن أجربكم فانظر كيف أنتم بعدي، إذ سرنا عنكم إلى مصر، هل تقبلون هذا أو تفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم، والآن سررتموني بارك الله فيكم"[1].

لقد فضل المعز لدين الله أن يستخلف الصنهاجيين على المغرب إلا أنه لم يهن كتامة وترك لها ميزات خاصة[2]، ولم يجعل لصنهاجة عليها سبيلا[3] ولا غرو أن القصد من هذا الترتيب حتى يجعلها سيفا مسلطا في وجه الصنهاجيين.

([1]) المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص98.

([2]) ابن خلدون: العبر، ج6، ص302.

([3]) المرجع نفسه، ج6 حتى 276-277.

وخلاصة القول، أن الكتاميين لعبوا الدور الأساسي في الانتصارات التي حققها الفاطميون في المغرب منذ قيام دولتهم إلى حين رحلوا إلى مصر.

وأن الحركات المضادة التي تزعمتها قبيلة كتامة من حين إلى آخر على الحكم الفاطمي ليحمل معني هو أقر إلى التناقض الصريح في مواقفهم والاضطراب في علاقتهم التاريخية بالدعوة الإسماعيلية وبنظام الخلافة الفاطمية.

الخاتمة

تمخضت الدراسة عن عرض وتحليل لتاريخ الحركات المغربية المعارضة والمضادة للحكم الفاطمي. ونعتقد أنه بفضل المادة التاريخية الجديدة التي توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع وجمع شتاته، إذ أن الدراسات التاريخية الحديثة كانت تلمح إليه دون أن تعطيه حقه، وتقف على أبوابه ولا تدخله، وإننا لا نكون مبالغين إذا ما قلنا أن الباحث في موضوع الثورات المغربية لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتجاهل موضوع السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية التي هي الأساس في نشأتها، وتطورها واتساع نفوذها في المشرق والمغرب. فقد أمكن الوقوف على طبيعة التنظيم السياسي للفواطم ونظامه وقياداته ودعاته وأساليب الدعوة إلى مذهبهم.

وقد بينا في هذه الدراسة حسن استخدام أبي عبد الله الشيعي الأساليب الدعائية التي جعلته ينجح في ربط بين اعتناق أهل بلاد إفريقية الدعوة الإسماعيلية وبين تخلصهم من سياسة بني الأغلب الجائرة نحوهم.

وأوضحنا أن السياسة المذهبية التي سلكها الخلفاء الفاطميون في المرحلة المغربية بصفة عامة، جعلت نجاح الدعوة الإسماعيلية وتقوية السلطان الفاطمي هو الهدف الأول والأخير، مما أعطى

لهذه السياسة الصبغة الاستبدادية، إذ اتخذوا أسلوب القهر والعنف في محاربة وطمس مذاهب أهل المغرب، مستغلين مختلف الوسائل من أجل إزالتها وإحلال المذهب الشيعي الإسماعيلي محلهم، مما ترتب عن ذلك وضع داخلي مترد وقيام ثورات متتالية ضدهم بالرغم من تعددها واختلاف أسبابها وأهدافها وتباينها بين عهد خليفة وآخر، من حيث القوة والضعف ومن حيث نتائجها، فإنها في مجموعها كانت تمثل رفضا وسخطا على سياسة الفاطميين العامة.

وقد أمكن الربط بين سياسة الفاطميين الإدارية ومختلف النواحي الأخرى من مذهبية ومالية وعسكرية، فقد استأثروا بالحكم، وبديهي أن يحصروا وظائفهم الإدارية في اتباعهم ومتعنقي مذهبيهم وأبعدوا كل المخالفين لهم، هذا إلى جانب سياسة الفاطميين العسكرية والتي لا يمكن أن تفصل عن الميادين الأخرى، فحين وضع الفاطميون قواعد جهازهم العسكري ضاعفوا من نشاطهم الحربي محليا وخارجيا، كما لم يقتصر دوره في رد الهجمات بل حاولوا كسب مراكز جديدة، هدفهم في ذلك تكوين إمبراطورية قوية.

وأما السياسة المالية التي انتهجها الفاطميون في بلاد المغرب قد أدخلتهم في نمط اقتصادي احتكاري. فإنهم لم يهتموا بحل المشاكل الداخلية وتحقيق مشاريع اقتصادية وتنظيمية وحضارية تعود فائدتها على الرعية، ولكنهم اهتموا اهتماما مبالغا في تنشيط بعض المؤسسات التي تخدم مصالحهم، وتمكن نفوذهم. وذلك بأن نوعوا موارد بيت المال، وتعسفوا في فرض الضرائب وجمعها، فتوفرت لديهم الأموال الطائلة رغم قساوة ظروف بلاد المغرب في عهدهم، واستعملوا المال سلاحا من الأسلحة لتحقيق أهدافهم السياسية والمذهبية، مما كان لذلك انعكاسه على الأحوال العامة للرعية ودافعا للثورة على الأوضاع السائدة.

وعند معالجتنا للحركات المغربية ضد الوجود الفاطمي باختلاف اتجاهات وأهواء وولاءت أصحابها سياسا وعنصريا ومذهبيا، أمكن سد بعض الثغرات في تاريخ هذه الثورات، فضلا عن تصويب العديد من التواريخ وذلك بتتبع تسلسلها مع توضيح عللها، وتقصى أسباب قيامها وذلك وفق منهج موضوعي، دون الإخلال بالإطار الزمني والمكاني للوقائع، وكنا دائما نستخلص النتائج التي تترتب عن هذه الثورات سواء عند نجاحها أو فشلها. مع تحليل عوامل القوة والضعف فيها.

وفي تناول هذه الدراسة استنتجنا أن الخلفاء الفاطميين في مرحلتهم المغربية سفكوا دماء خصومهم كما سفكوا دماء بعض رجال دولتهم من دعاة وقواد وولاة. بالرغم مما بذله البعض من جهود وتضحيات لصالح الدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية، فإنهم لم يترددوا في قتلهم بمجرد تقصير في أداء مهمتهم أو محاولة الانقلاب والاستقلال الذاتي، وفي أغلب الأحيان خوفا من نفوذهم، الأمر الذي جعل هؤلاء الأخيرين يحتاطون منهم أشد الاحتياط ويولون وجوههم شطر خصومهم إذا ما أحسوا بالخطر.

وعالجنا مقاومة المالكية للمذهب الشيعي الإسماعيلي قولا وعملا في المجالين الديني والسياسي، وذلك بدراسة مجالس التناظر التي عقوها مع الشيعة الإسماعيلية. وكان غرضها الدفاع عن مذهب أهل السنة بعامة والمالكية بخاصة. ودخولهم إلى جانب الخوارج في حربهم ضد الفاطميين إثباتا صارما لسخطهم الشديد. وعللنا فشلهم العسكري في مواجهة الفاطميين إلى أن القوة المالكية كانت تعوزها الخبرة والكفاءة القتالية وفنون الحرب في حمل السلاح واستخدامه، إذ كانت تنساق وراء الحماس الديني.

وقد أمكن أيضا الربط بين ظهور الدعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب وبين ضعف قوة المذهب الخارجي الاباضي الوهابي

وتشتيت أنصاره في مجاهل الصحراء وإناء كيانهم السياسي دون رجعة، وكما أثبتنا أن الفاطميين فشلوا في إرغام الاباضية الوهابية في المناطق الخاضعة لحكمهم من التخلي عن مذهبيهم واعتناق المذهب الإسماعيلي، وإن سياسة الفاطميين الجائرة لم تتمخض إلا عن اندلاع ثورات الوهابية عند كل فرصة حتى غدت هذه العناصر محل قلق وعامل يهدد بزوال دولتهم من بلاد المغرب في بعض الأحيان.

وأما عن ثورات زناتة في العصر الفاطمي، فنجد أن القبائل الزناتية لم تتفق حول شيء ما، قدر اتفاقها على معاداة الدعوة الشيعية الإسماعيلية، وعدم الخضوع لطاعة الفاطميين أو الانضواء لهم، حيث لعب فرع مغراوة برياسة أسرة محمد بن خزر دورا كبيرا في إضعاف النفوذ الفاطمي، وفي تغذية حركات العداء والانتقاض ضد ولاة الفاطميين، فكان بحق عقبة كوؤد في هذا الجناح الغربي بعامة وقاعدته تيهرت بخاصة لأنها لم توجد الاستقرار، إذ ظهر عجز جهاز الدولة في مواجهة حركات المعارضين لضعف ولاتها وقلة خبرتهم أمام الأحداث الجسام.

وقد سمحت الفرصة لقبائل زناتة مرة أخرى لإعلان الثورة ضد الوجود الفاطمي بزعامة دينية بين قبيلة بني يفرن متمثلة في أبى

يزيد الزناتي، فاجتمعت حوله القبائل البربرية بعامة والزناتية بخاصة، وأعلنوا الثورة على الفواطم، واتخذوا من المذهب مبررا شرعيا لقيامها.

وقد تداخلت دوافع قيامها ما بين سياسية واقتصادية وعنصرية ومذهبية ونفسية، وأن بدا العامل الاقتصادي المحرك الأساسي وراء تلك الأسباب جميعا. وحققوا انتصارات كادت أن تقوض الوجود الفاطمي في مخلد بن كيداد الذي كان أن يقوض أركان الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب هذا إلى جانب عرض لدور قبيلة كتامة المعارض للحكم الفاطمي، علما بأن كانت أرض كتامة أولى المناطق التي احتضنت الدعوة الإسماعيلية وعلى أكتاف رجالاتها قام الأساس السياسي للخلافة الفاطمية.

وبعد محاولة رصد الحركات المعارضة ضد الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وتبيينان طبيعة كل منها بما تنطوي عليه من أسباب مذهبية واقتصادية وقبلية. حتم علينا تتبع اندلاع وصيرورة هذه الحركات بتحديد أماكنها والوقوف على مدى نجاحها وإخفاقها معللة ذلك بالقرائن والأدلة.

وفي الخاتمة أوجزنا ما انتهيا إليه من نتائج تمخضت عنها هذه الدراسة.

وفي الختام، أود أن أشير إلى أن هذا البحث الذي شغل بالي وفكري حاولت فيه أن أقترب من الحقيقة، قدر استطاعتي فاجتهدت في موضع الاجتهاد، وقلدت في موضع التقليد، ولا أبالغ إذا قلت أن هذه الدراسة جديدة في موضوعها وطرحها وخطتها، لذلك إن وفقت، فمن الله وهو مقصدي، وإن كان غير ذلك، فحسبي أنني ما أبقيت من جهد شيئا وشفيعي النص الذي قاله العمال الأصفهاني ونقله عنه ياقوت الحموي، بحيث جعله فاتحة كل جزء من الأجزاء الاثنين بلاد المغرب حين استولى على معظم مدن إفريقية عدا العاصمة "المهدية"، إلا أن الصراعات الداخلية بين العناصر المقاتلة في صفوف أبي يزيد، وانضمام قوة قبيلة صنهاجة إلى جانب الفاطميين كان سببا في فشل الثورة الزناتية العارمة، كما كانت هذه الثورة سببا في تعديل سياسة الفاطميين تجاه أهل بلاد المغرب في المجالين المذهبي والجبائي.

وبعد ذلك تناولنا الحركات الثورية المضادة للخلافة الفاطمية بين عناصر كتامية أو اشتراكهم فيها، وهم الإسماعيلية الذين يعرفون مبدأ وجوب الطاعة المطلقة للإمام، وعصبية الدولة وأساسها ليحمل معنى هو أقرب إلى التناقض الصريح في مواقفهم،

والاضطراب في علاقتهم التاريخية بالدعوة الإسماعيلية وبنظام الخلافة الفاطمية.

وأخيرا يمكن القول بأننا أنجزنا هذا البحث ولكن لا ندعي أنه كامل من جميع الجوانب فأعمال الإنسان مهما كانت لا تخلو من نقص وخاصة ما يتعلق بفنيات الرقن وقواعد الكتابة ويعلم الله مدى الصعوبات التي عانيناها من أجله ولكن بفضل الله وعونه تحملناها بكل صبر وثبات لاعتقادنا أننا نضع لبنة جديدة في صرح المعرفة ونسد ثغرة لا يستهان بها في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب، ولنترك تقدير هذا لغيرها من الباحثين المتخصصين وعلى الله قصد السبيل.

المصادر والمراجع

1- المخطوطات

بيبرس الدوادار (ت 725هـ/1325م)

زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، الجزء 6، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة برقم 27-24.

الجودي محمد:

تاريخ قضاة القيروان نسخة مصورة تحمل رقم 30 المكتبة الوطنية التونسية.

ابن حيون المغربي: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن حيون (ت363هـ).

- المجالس والمسايرات، ج1، ج2، مخطوط بجامعة القاهرة، رقم 26060.

- أساس التأويل الباطني: مخطوط بدار الكتب، القاهرة، رقم 24346.

الدرجيني: (أبو العباس أحمد، ت منتصف القرن السابق الهجري الثالث عشر الميلادي)

- طبقات الاباضية: الجزء الأول، مخطوط بدار الكتب القاهرة برقم 12561.

سجلات حاكمية لأحد دعاة الفاطميين رقن1189. المكتبة التونسية.

السوفي: أبو عمر عثمان بن خليفة المزغني (ت أواخر القرن السادس الهجري) شرح السؤالات، مخطوط بدار الكتب القاهرة، رقم 1789 ح ب.

العاملي (لأبى جعفر المنصور لزين الدين العاملي)

التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية على مذهب الشيعة الاثني عشرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تونس، رقم 18335.

العماني سعيد بن سرحان: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة رقم 3972، المكتبة الوطنية التونسية.

القاضي عياض: عياض موسى اليحصبي (544هـ)

ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك قسم 1 من ج2. مخطوط بدار الكتب، القاهرة رقم 96730ح.

العيني – بدر الدين محمود- ت 755هـ -1451م

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مخطوط بدار الكتب رقم 1584، تاريخ وقد استشرت الجزء 19 بأقسامه المختلفة.

القائم بأمر الله أبو القاسم محمد

الرسالة الامامية إلى أهالي ممالك اليمانية رقم 604. المكتبة الوطنية الجزائرية.

القضاعي – أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي– ت 454هـ– 1062م.

عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق، مخطوط بدار الكتب، القاهرة، رقم 1779 تاريخ.

ابن الكردبوس – أبو مروان عبد الملك التونسي – من علماء القرن السادس الهجري، 16م.

الاكتفاء في أخبار الخلفاء مخطوط بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية، رقم 900، القاهرة.

المالكي: عبد الله بن محمد أبو بكر

رياض النفوس ج2 مخطوط رقم 116، تاريخ بدار الكتب، القاهرة.

محمد الشطبي المغربي

الجمان في أخبار الزمان– مخطوط بدار الكتاب رقم 1416 تاريخ.

النويري: شهاب الدين أحمد ت 732 هـ

– نهاية الأرب في فنون الأدب ج22، ج26 مخطوط بدار الكتب رقم 549 معارف عامة.

الوسياني: أبو الربيع عبد السلام (ت 471هـ)

– سير أبي الربيع بن عبد السلام الوسياني – مخطوط بدار الكتب القاهرة، رقم 9113.

2- المصادر المطبوعة:

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ت 658هـ/1260م).

- الحلة السيراء، الجزء1، 2 تحقيق حسين مؤنس، القاهرة – 1963.

ابن الأثير (محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني تـ 630هـ/1233م).

- الكامل في التاريخ، الأجزاء 6-7-8 طبعة بيروت 1387هـ/1967.

- اللباب في تهذيب الأنساب، الجزء، القاهرة، 1938م.

الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد إدريس الحمودي الحسني ت 558هـ/1163م).

- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الجزء الثالث طبعة نابلولي 1973، الجزء الخامس طبعة نابلولي 1975.

- وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، قطعة من نزهة المشتاق تصحيح هنري بيرلس، الجزائر 1376هـ/1957م.

الأشعري (أبو الحسن على بن إسماعيل (ت 320هـ / 932م).

– مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ح القاهرة 1389هـ/1969م.

الأصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

– المسالك والممالك، تحقيق، محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة 1961م.

الأصفهاني (علي بن الحسن –أبو الفرج (ت 356هـ/919م).

– مقاتل الطالبيين طبعة النجف 1353هـ/1889م.

الباروني النفوسي سليمان :

– الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية القسم الثاني منه طبعة الآزهار – القاهرة.

– رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، القاهرة، 1324هـ.

البرادي أبو القاسم محمد بن إبراهيم (القرن الثامن الهجري).

– الجواهر المنتقاة في إتمام ما أدخل به كتاب الطبقات طبع حجرية قسنطينة 1302هـ/1884م.

ابن بطوطة (محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم اللواتي : ت 779هـ/1377م.

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. الجزء الأول، القاهرة، 1939.

البغدادي (أبو منصور عب القاهر بن طاهر بن محمد بت 429هـ/1037م.

– الفرق بين الفرق، تعليق محمد بدر، القاهرة 1910م.

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت387هـ/1103م.

– المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر 1957.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي ت 279هـ/892م

– فتوح البلدان، القاهرة 1901.

– أنساب الأشراف ج1، القاهرة سنة 1959م.

التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ت أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

– رحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب تونس 1958.

ابن تغزي بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت 874هـ/1469م.

– النجوم الزالاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزءان 1–4 القاهرة 1963. وهي نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

التنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التلمساني ولد حوالي 830هـ/893م.

– نظم الدر والعيان. حقق تحت عنوان تاريخ دولة الأدارسة، عبد الحميد حاجيات الجزائري 1984.

الجزنائي (أبو الحسن على ت أواخر القرن الثامن الهجري الرابر عشر الميلادي.).

– زهرة الآس في بناء مدينة فاس، الجزائر، 1922م.

ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حيان الأندلس) تـ384هـ/994م.

– طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، طبع المعهد الفرنسي القاهرة 1955.

الجوذري (أبو علي منصور العزيز ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

- سيرة الأستاذ جوذر تحقيق محمد عبد الهاي شعيرة، ومحمد كامل حسن، القاهرة، 1954

الحديدي:

- العقود الفضية في أصول الاباضية، عمان 1983.

ابن حزم (علي بن محمد بن سعيد ت 456هـ/1063م.

- جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1962.

- الفصل في الملل والنحل، القاهرة سنة 1951.

- نقط العروس في تاريخ الخلفاء – القاهرة سنة 1951.

ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر ت 268ه/1231م.

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي الجزائر 1984.

الحمادي (محمد بن مالك)

- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة القاهرة 1357هـ/1939م.

الحمودي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي 622هـ/1228م.

– معجم البلدان 5 أجزاء بيروت 1955.

الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت 488هـ/1095.

– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي القاهرة 1951.

الحميري (محمد بن عبد المنعم ت 727هـ.

– كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ط1، تحقيق إحسان عباس بيروت، 1975.

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ –شدرات الذهب في أخبار من ذهب 4 مجلدان بدون تاريخ – بيروت).

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلاي

– صورة الأرض، بيروت، د.ت.

ابن حيان (حيان بن خلف بن حسن ت 469هـ/1076م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1965.

ابن حيون المغربي (القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور.

- كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة تحقيق محمد كامل حسين القاهرة بدون تاريخ.

- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصغر قيضى، ج1، ط3، القاهرة 1969.

- افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي بيروت، ط1، 1980م — إنما بدون أن ترجع إلى نسخة مكتبة جامعة القاهرة وهي تحتوي على 207 ورقات وقد نشرت أخيرا بعناية فرحات الدشراوي تحقيقا جديدا. تونس 1975.

- اختلاف أصول المذاهب، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، بيروت، ط2، 1983.

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي سنة 300هـ/912م-913م).

– المسالك والممالك، ليدن 1889.

الخشني (أبوعبد الله محمد بن الحارث بن أسد ت 361هـ/972م).

– قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، القاهرة 1372هـ/1952.

ابن الخطيب السلماني (لسان الدين ت 776هـ/1374م).

– أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – نشر أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم – الكتاني تحت عنوان تاريخ المغرب في العصر الوسيط – دار البيضاء 1964.

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن ت 807هـ/1406م.

– مقدمة كتاب العبر ج1، 2 الجزائر 1982.

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الأجزاء 3–4. 6–7 بيروت، بدون تاريخ.

– تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب من كتاب العبر، بيروت 1979.

– التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1951.

ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى ين أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون.

– كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر وتحقيق الفردبل، الجزائر 1903.

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ت 681هـ –1982.

– وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج2–3–4. بيروت بدون تاريخ.

الداعــي أدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي (ت 832هـ).

– تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب الجزء الخامس من كتاب عيون الأخبار وفنون الأثار في ذكر جمل وفضائل النبي المصطفى المختار، ووصية على بن أبي طالب صاحب ذي الفقار والهما الايمة الأظهار، تحقيق فرحات الدشراوي تونس 1979.

الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ت 696هـ/1297م.

– معال الإيمان في معرفة أهل القيروان، الجزء 2–3.

الدواداري (أبو بكر عبد الله بن أيبك ت بعد سنة 736هـ/1376.

- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، نشر تحت عنوان الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961.

ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ت أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام تونس، 1967.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748).

- كتاب دول الإسلام (ج1–ح) ط ح طبع دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد 1364هـ.

ابن رسته (أبو أحمد بن عمر (ت 310هـ/962م.

- كتاب الأعلاق النفيسة ليدن 1891.

ابن أبي زرع (أبو الحسن بن عبد الله بن أبى زرع الفاسي ت النصف الأول من الفرق الثان الهجري/ الرابع عشر الميلادي).

- الأندلس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تعليق محمد الهاشمي الفيلالي الرباط، 1936م.

الزركلي – خير الدين.

- الأعلام (11 جزء) ط3 بيروت سنة 1969.

أبو زكرياء يحيي بن أبي بكرت/ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

- كتاب سير الأئمة وأخبارهم حققه ووضع هوامشه – إسماعيل العربي الجزائر 1984.

زمباور

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي جزءان تعريب زاكي حسن وحسن محمود، القاهرة 1951.

السجتاني أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت 331هـ)

- كتاب الينابيع تحقيق مصطفى غالب ط بيروت 1965.

ابن سعد عريب بن سعد القرطبي (ت 380هـ. صلة تاريخ الطبري، القاهرة دار الاستقامة 1358هـ/1939م.

السراج محمد بن محمد الأندلسي (ت 1149هـ/1736م 1737م.

- الحلل السندسية في أخبار التونسية ج1 القسم الرابع تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970.

السياسي: أبو هلال سالم بن حمود بن شامس ولد بين 1326-1327.

- أصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف عمان 1979.

ابن سعيد علي بن موسى بن محمد ت 1286/685م.

- المغرب في حلى المغرب الجزء الأول، تحقيق شوقي ضيف القاهرة 1964.

سعيد بن مقديش الصفاقسي (أبو الثناء الشيخ سيدتي محمود أبو محمد

- نزهة الأنظار، جزآن، تونس ط حجرية 1321 هـ.

السمعاني المروزي أبو سعد عبد الكريم ت 562هـ /1167م.

- كتاب الأنساب ليدن 1912.

السنوسي (محمد بن علي)

- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، القاهرة 1349هـ.

السيوطي/ جمال الدين عبد الرحمن الكامل ت 916هـ/1505م.

– تاريخ الخلفاء مجلد واحد القاهرة 1964م.

أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل ت 665هـ/1267.

– كتاب الروضتين في أخبار الدولتيين القاهرة 1287هـ.

الشماخي أحمد بن أبي عثمان سعيد عبد الواحد ت 928هـ.

– كتاب سير علماء ومشائخ جيل نفوسة، ط1884.

الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548هـ 1153م.

– الملل والنحل، وهو على هامش كتاب الفصل لابن حزم ط بيروت.

الشيال: جمال الدين دكتور–

– مجموعة الوثائق الفاطمية م1 القاهرة 1958.

الشيرازي :

– المجالس المؤيدية الأولى، تلخيص حاتم بن إبراهيم الحميدي اليمني تحقيق محمد عبد القادر عبد الناصر، سلسلة نفائس الفكر الإسلامي – القاهرة، 1984.

ابن صغير أبو غانم عاش في القرن الثالث الهجري — أخبار الأئمة الرستميين تحقيق محمد ناصر إبراهيم بحاز، الجزائر 1986.

الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت 1203/599م.

– بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها طبعة مدريد 1884.

ابن الضياف (1291هـ/1874م)

– أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. تونس 1963.

الطبري أبو جعفر محمد بن جريد ت 310هـ/922م.

– تاريخ الرسل والملوك. القاهرة 1358هـ/1939.

الطرابلسي أحمد بك النائب الأنصاري

– المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب — ليبيا بدون تاريخ.

اطفيش: الحاج محمد بن الحاج يوسف بن عيسى ت 1913.

– رسالة في بعض تواريخ أهل وادي مزاب بدون تاريخ ومكان الطبع.

ابن طلون (شمس الدين محمد ت 953هـ/1546م

– لشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشرية عند الامامية، تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد– بيروت.

ابن ظافر (جمال الدين علي ت 1226/923).

– أخبـار الدول المقنطة، مطبوعات المصهر العلمي الفرنسي للآثار الشرقي – القاهرة 2 ط19.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين ت 257)

– فتاح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة 1961.

ابن عبد ربه – أبو عمر أحمد (246–328هـ/860م–940م.

– العقد الفريد (7 أجزاء تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط ج، القاهرة 1962.

ابن العبري: (غريغوريوس أبي الفرج هارون ت 685هـ 1286م.

– تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطوان صلحاني بيوت، 1958.

ابن عذارى أبو عبد الله المراكشي (ت 8هـ) 14م.

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب 4 أجزاء تحقيق ج س كولان واليفي بروفنسال، بيروت.

أبي العلاء المغربي :

– رسالة الغفران شرح وإيجاز كامل كيلاني، مصر 1938.

العقباني التلمساني: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد (ت 871هـ/1467م).

– كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر تحقيق على السوفي، بيروت 1967.

أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ت 333هـ–944م طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، نعيم حسن اليافي تونس 1968.

عريب بن سعد القرطبي ت 380هـ

– صلة تاريخ الطبري، القاهرة 1939.

ابن غلبون أحمد بن خليل الطرابلسي، القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

– تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. نشر وتصحيح الطاهر أحمد الزاوي — القاهرة 1349هـ.

أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل ت 732هـ/1332م.

- المختصر في أخبار البشر (الجزء الثاني، القاهرة، 1907م.
- تقويم البلدان — باريس 1830م.
ابن فرحون اليعمري أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن محمد 799هـ/1396.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ط1- القاهرة 1329.
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ت 276/886م)
- الإمامة والسياسة، الجزء الثاني، تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة 1967م.
القرماني أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي.
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ — بيروت- بدون تاريخ.
القزويني (زكريا بن محمد بن محمد ت 682هـ/1283).
- أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت 1969.
القلقشندي — أبو العباس أحمد بن علي (821هـ/1418م)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج3-5. 13- القاهرة 1922.
ابن الكثير أبو الفداء الحافظ ت 774-1372-1373.
- البداية والنهاية 14 ج 3، 7 مجلات ط1 — بيروت. 1966.

الكندي أبوعمر محمد بن يوسف 283-350.

- كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت سنة 1908.

ابن لؤلؤ شهاب الدين المشهور بابن النقيب المصري: عمدة السالك وعدة الناسك مطبعة دار حياء الكتب العربية القاهرة بدون تاريخ.

المالكي: أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله ت. نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي).

- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية — الجزء الأول، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1951.

الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب و 450، 8 د 10م.

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة 1960م.

المبدد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت القرن الثالث الهجري)

- الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ج1-ح-3 القاهرة 1936.

مجهول (ت القرن الثامن الهجري: الرابع عشر الميلادي)

- مفاخر البربر، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان نبذة تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، الرباط 1934.

مجهول (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية 1958.

مجهول (عيون الحدائق في أخبار الحقائق) مقتطفات من ج4 تتعلق بالمغرب الإسلامي وبإفريقية خاصة القسم الأول، تحقيق عمر سعيدي، نشر وطبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1972.

المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي ت القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تصحيح وتعليق محمد العريان، محمد العربي العلمي، القاهرة 1946.

المسعودي (علي بن الحسين بن علي ت 346/ 957م

- مروج الذهب ومعادن الجوهر الأجزاء 2-3 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1958.

المقدسي شمس الديس أبو عبد الله محمد بن أحمد. ت 998/388م.

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن 1909.

المقري :

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 5 مجلدات، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1946.

المقريزي: (تقي الدين أحمد بن علي ت 1441/845)

- كتاب المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والأثار جزآن

- اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج1 تحقيق الدكتور جمال الشيال، القاهرة 1387هـ/1967.

المكتبة الصقلية: نشر، امارى، ليبزج 1857.

ابن منظور جمال الدين ت 711هـ/1311-1312.

- لسان العرب ط حديثة مصورة عن ط بولاق الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الناصري: البيلاوي أبو العباس أحمد بن خالدت 1315-1897م

- الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى 4 أجزاء ط 1305هـ الدار البيضاء 93 أجزاء سنة 1954.

ابن النديم (محمد بن اسحق ت 995/385)

- الفهرست. القاهرة 1348هـ

النويختي: أبو محمد الحسن بن موسى (ت 310هـ)

– فرق الشيعة تصحيح : ريزر اسطامبول 1921 أو 1931.

نويي شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري 671–733هـ الجزء 24 نهاية الأرب في فنون الأدب.

– تحقيق حسين نوار / عبد العزيز الأهواني، القاهرة 1983.

النيسابوري : أحمد بن إبراهيم (ت أواخر القرن الرابع الهجري).

– استشار الإمام – مجلة كلية الأداب بالجامعة المصرية مجلد 4 ج ح ديسمبر سنة 1936.

ابن هانئ الأندلسي أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدى 326هـ/362هـ/937م/972م ديوان ابن هانئ بيروت 1384هـ/1964.

الورقلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم ت 570هـ/1174/1175.

– الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل تحقيق مذهب الق بالبرهان والصدق.ط. البارونية 3 أجزاء في مجلد واحد – القاهرة 1306.

الورثيلاني – الحسن بن محمد ت 193هـ/1779–1780.

- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ وأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية. تحقيق ونشر محمد بن شنن. الجزائر 1908م.

ابن الوردي أبو حفص زين الدين عمر – ت 749هـ/ 1348-1349م.

- تاريخ ابن الوردي المعرف بتتمة المختصر في أخبار البشر – ط الوهبية 1285هـ.

ياقوت الحموي ت 626هـ/9-12م

- معجم البلدان ط1906.

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح – ت 284هـ/987-898م.

- البلدان ط3 – النجف الأشراو 1957.

- تاريخ اليعقوبي: النجف 1358.

اليماني: محمد بن محمد – كان موجودا في أواخر القرن 4هـ/10م

- سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تحقيق ونشر ايفانوف

- مجلة كلية الأداب – القاهرة مجلد 4 ج1 مارس 1936.

اليمني : يحيى بن الحسين بن المؤيد

- أبناء الزمن في أخبار اليمن، تحقيق محمد عبد الله ماضي 1355هـ/1936.

المراجع العربية المترجمة :

إحسان حقي

- تونس العربية، بيروت بدون تاريخ

إحسان عباس

- تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري. بنغلزي ط1، 1967.

أحمد أمين

1- فجر الإسلام ط3 — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1935.

2- ضحى الإسلام: الجزآن 2-3 ط5 — القاهرة 1964.

أحمد توفيق المدني

- كتاب الجزائر، الطبعة الثانية- الجزائر 1984.

أحمد رمضان أحمد

- الخلافة في الحضارة الإسلامية — القاهرة بدون تاريخ.

أحمد السعيد سليمان

– تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، القاهرة1972.

أحمد شلبي

– التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (القسم الرابع الخاص بالأندلس والمغرب) ط ح مكتبة النهضة– القاهرة 1966.

آدم متز

– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (جزآن) ترجمة محمد عبد الهادي ط3– القاهرة 1957.

أرسلان الأميرشكيب:

– الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية 3 أجزاء، بيروت.

أرشيبالدرلويس

– القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، القاهرة، 1960.

الأعظمي محمد حسن

– عبقرية الفاطميين، بيروت 1960.

أيف لاكوست، أندري يريتان، أندري نوشي

– الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح منصف عاشور، مراد تفاحي —الجزائر-1984.

بحاز إبراهيم بكير

– الدولة الرستمية 160-296هـ 777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط1، 1985.

برنارد لويس:

– أصول الإسماعيلية، القاهرة سنة 1947م.

بروكلمان كارل

– تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبية أمين فارس ط5 بيروت 1967.

بل الفرد

– الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، سنة 1969م.

بونار رابح

– المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر 1968.

جمال الدين سرور

- الدولة الفاطمية في مصر. سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها –القاهرة، ط 19.

الجناحي الحبيب

- دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1980.

جوليان شارل أندري

- تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، تونس 1983.

الجيلالي عبد الرحمن بن محمد

- تاريخ الجزائر، الجزء الأول ط2 سنة 1982.

حسن إبراهيم حسن

- الفاطميون في مصر، القاهرة 1932.

- عبيد الله المهدي، القاهرة 1947.

- المعز لدين الله، القاهرة 1948.

- تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة 1958.

– النظم الإسلامية ط2 – القاهرة 1959.

حسن أحمد محمود

– قيام دولة المرابطين، القاهرة 1957.

– الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، القاهرة، 1966.

حسن الباشا

– الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة 1957.

حسن حساني عبد الوهاب

– ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (جزآن) تونس 1965.

– شهيرات التونسيات ط2 – تونس 1965.

– مجمل تاريخ الأدب التونسي من الفتح العربي لإفريقية إلى العصر الحاضر– تونس 1968.

– خلاصة تاريخ تونس – ط 4 تونس 1968.

حسين مؤنس

– معالم تاريخ المغرب، القاهرة 1982.

حسن محمد كامل

– في أدب مصر الفاطمية، القاهرة 1963.

حنا الفاخوري وخليلي الجر

– تاريخ الفلسفة العربية، بيروت 1966.

حورية عبده عبد الحميد سلام

– علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية –رسالة دكتوراه، القاهرة 1984.

خليفات عوض

– نشأة الحركة الاباضية، عمان 1978.

دبوز محمد علي

– تاريخ المغرب العربي الكبير في 3 أجزاء ط1 القاهرة 1964.

دياب صابر محمد

– سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي ط1 القاهرة 1973.

11- **Dengel Gerard** : L'Immat Ibadite de Tahert (761-909) Thèse De Doctorat 3ème Cycle, Strasbourg, Université des sciences Humaines 1977.

12- **Despos Jean** : Le Djebel Nefousa (Tripolitaine Etude Géorgraphique, Edit Larose, Paris, 1935.

13- **Diehl et Marçais (G)** : Histoire du moyen age TIII le mon de Orientale de 395 à 1081, Paris. 1936.

14- **Dozy (R)** : Supplément aux Dictionnaire arables. 2ème Edition, Paris 1927.

Histoire des musulmans d'Espagne Tomme II III Leyden 1932.

15- **Faroughy Dra** : A Persian dunasty in north Africa. The Rustamides The Islamic review, April 1952, England.

16- **Fournel** : Les berberes, Etude sur la conquete de l'afrique par les arabes vols, 1,2 Paris 1875.

17- **Gautier (E,F)** : Le Passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscurs, Paris Pa Xot 1952.

18- **Gouvion-Marthe et Edmond** : Le Kharedjisme-Monographie du Mzab, Casablanca 1946.

19- **Golvin (L)** : Le Maghrib Central à l'époque des Zerides, Paris 1957.

20- **Hicham Djait, Mohamed Talbi, Dachraoui, Ferhat, Agdelmajd Douib** : Histoire de la Tunisie, le moyen age Tunisie.

21- **Hill (D)** : Islamic Archetecture in North Africa. London 1976.

22- **Ibn-Khaldoun** : Histoie des Fatimides appendice N°=II.

Histoire des berberes, Tome II Tradi Deslane, nouvelle édition casanova, Paris 1968.

23- **Idris (HR)** : Contribution de l'Histoire de l'Afrikia. Tableau de la vie intellectuelle administrative à kairoun sous les aghlabites et les Fatimites.

24- **Ivanov (W)** : Ismaili- Tradition. Goncerning the Rise of the Fatimids Bombay 1942.

The Alleged Founder of Ismailisme Bombay. 1946.

25- **Julien, Charle Andre** : History of north Africa, London 1970.

26- **Lane Pool (S)** : Gatalogue of the collection of arabica coins in the british Museum vol 4. London 1879.

Catalogue of the collection of Arabic coins presented in the khedivial, Library at cairo London 1879.

27- **Laroui Abdallah** : L'histoire du Maghreb- Un essai de synthèse, Paris 1975.

28- **Lavoix (MH)** : Catalogue des monnaies musulmane de la bibliothèque nationale, l'Espagne et l'Afrique, Paris 1891.

29- **Lewicki (T)** : Etude Ibadites nord Africaine warszaw 1955.

30- **Lombard (M)** : L'Islam dans sa première grandeur, Paris 1971.

31- **Mamour (PH)** : Polimic on the origin of the Fatimi Caliphs London, 1934.

32- **Marçais (G)** : La berberie musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.

L'architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algeria Maroc-Espagne et secile Paris 1955.

33- **Masqueray** : Chronique d'abou-Zakaria, Alger 1878.

34- **Mercier (E)** : Histoire de l'Afrique septen Trionale depuis le temps les plus reculés jusque la conquête Français vol 1 Paris, 1888.

Montylinski (ADEC) L'-Aqida des abadhites, actes du congres international des orientalistes, Alger. 1905.

35- **O'Leary (DL)** : A Short History of the Fatimid Khalifate, London 1923.

36- **Peyrouton Marcel** : Histoire générale du Maghreb-Algerie- Maroc- Tunisie des origines à nos jours.

37- **Perkin Kennethe** : Tunisia, Grossroods of the Islamic and european words London 1986.

38- **Provençal Levi** : Histoire de l'Espagne musulmane V2 Paris 1950.

39- **Smith (P)** : The Ibadites, The Moslem word, V12, july 1922.

40- **Tabli Mohamed** : l'Emirat Aghlabide, Librairie d'Amérique et d'orient Adrien Maison-neuve, Paris VI 1966.

41- **Vatikiotis (PJ)** : The Fatimid, Theory of state lahore 1957.

42- **Vonderheyden (M)** : La berberie orientale sous la dynastie de Benou larlab, Paris 1927.

دوائر المعارف

- دائرة المعارف الإسلامية : البستاني، بيروت، 1963.

- Encyclopédie de l'Islam (E.T : 1 et er)
Nouvelle Edition- Leinden. E.J. Brill 1971.

الدوريات العربية:

1- مجلة أدب ونقد، مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية-محمود إسماعيل:ن سمات الخطاب السلوطي إزاء نشاط المعارضة في الإسلام العدد42 سنة 1988.

2- مجلة الأصالة – مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر.

- إحسانٍ عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين عدد45 السنة الخامسة، جمادي الأولى1397هـ/ مايس 1977م.

- أبو عبدلي المهدي: مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عدد 7 مارس أفريل 1972م.

- الجناحي الحبيب: السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، عدد 50/49 السنة السادسة، رمضان، شوال 1397هـ/ سبتمبر-أكتوبر1977.

- رشيد بوروبية: أشير عاصمة بني زيري عدد 12 سنة 1973.

- فخار إبراهيم: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب عدد 43/42، السنة السادسة 1397 هـ- فيفري، مارس 1977م.

- مرمول: تاريخ شرق الجزائر في نهاية القرن الثالث عدد 64 سنة 1978.

3- مجلة التاريخية المصرية

- إبراهيم أحمد العدوي.

- الحمام الزاجل في العصور الوسطى: العدد2 مارس 1949.

4- مجلة الدراسات العربية، مجلة فكرية اقتصادية

- جورج لابيكا: تاميز اجتماعيات الدين عند ابن خلدون ترجمة شبيب بنضوان العدد6 سنة 1986م.

5- مجلة سرتا: معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة، فيلالي عبد العزيز. جوانب من العلاقات التجارية بيت الرستميين والأمويين في الأندلس عدد3 السنة الثانية رجب 1400هـ/ ماي 1980م.

6- مجلة كلية الأداب الجزائر

- سعد الله أبو القاسم: علاج السفينة في بحر قسنطينة عدد2 سنة 1970.

7- مجلة المسكوكات تصدر في العراق

- باقر محمد الحسيني: دراسات عن نقود الثوار والشعارات العدد 7 بغداد 1976م.

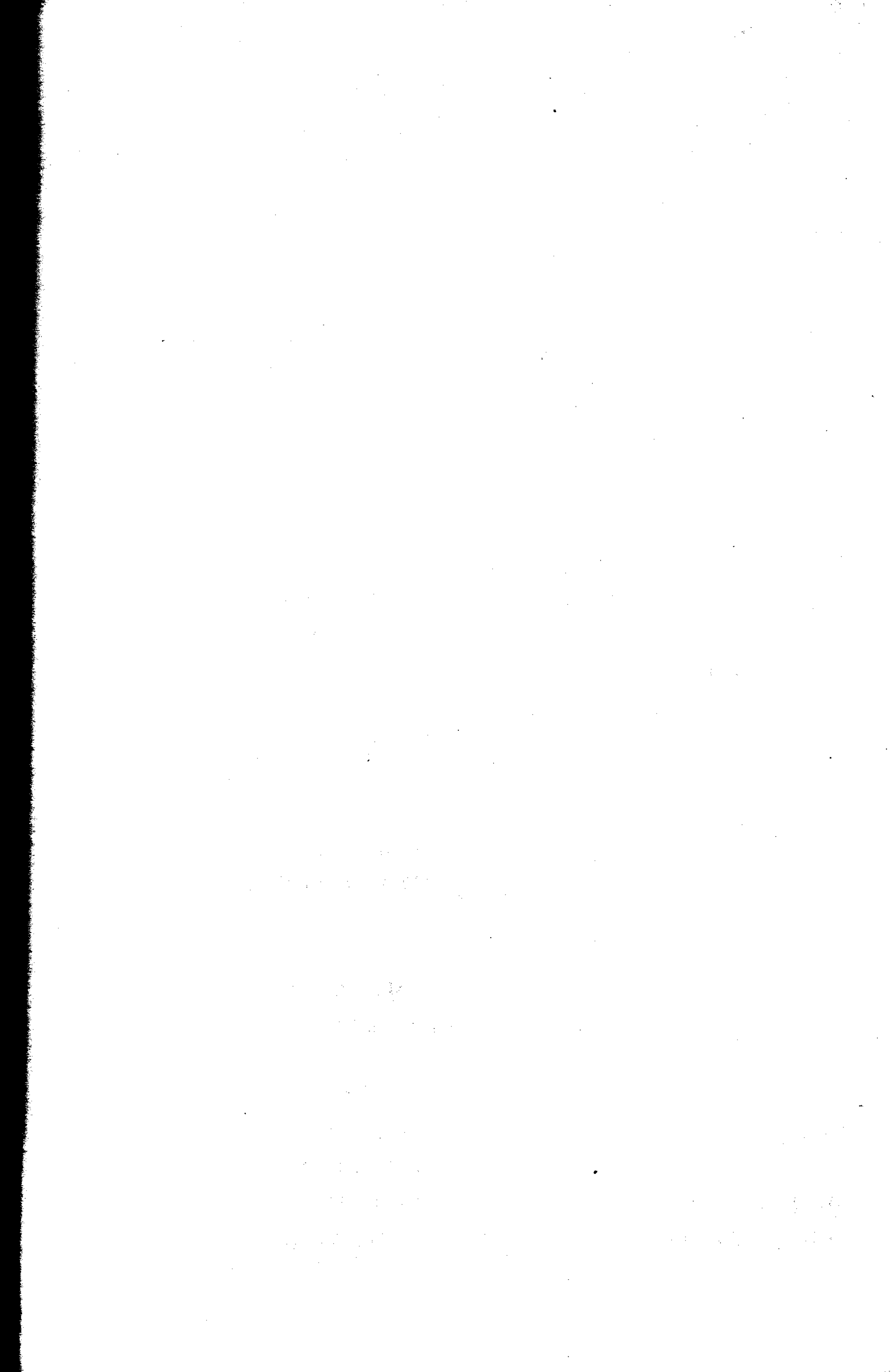
8- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مطبعة معهد الدراسات نفسه مدريد.

- أحمد مختـار العباي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، م5 عدد 1-2 سنة 1377ـ/1957م.

- محمد بن تاويت: دولة الرستميين أصحاب تاهرت م5 عدد 1-2، 1377هـ/1957م.

9-محمود علي مكي:

- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية مجلد 9-10. سنة 1961-1962.



1. **Lombard Maurice** : Les bases Monétaires d'une suprématie Economique. L'or musulman du VII au Xis. Annales Economies sociétés.
Civilisations (A.S.E.C). 2ème Année n°2, Paris, Avril, Juin 1947.

2. **Marçais (G) et Lamarre (D)** : Tihert-Tagdmet Revue Africaine (R.A) Tome xc, 9e Année Alger. 1946.

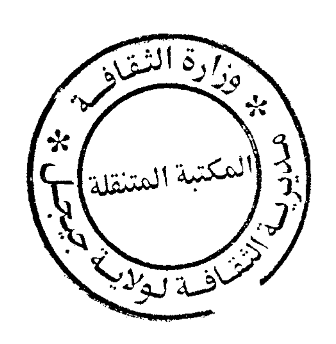
3. **Moutylinski Aide C**: L'Aquida des Abadhites Recueil de Mémoires et de Textes Publics en l'honneur du XIVe congrès Internationales des orientalistes Imp Orientale, Alger.

4. **Vanacker Claudette** : Géographie Economique de l'Afrique du nord selon les auteurs arabes, du IXe siècle au milieu du XIIe siècle, in annales économiques, sociétés, Civilisations (A.E.S.C) 28e Année n°3, Mai-Juin 1973, Imp. Armand colin Paris, 1973.

ملاحظة :

توجد عدة مصادر ومراجع اعتمدت عليها الباحثة ولم تذكرها ضمن هذه القائمة واكتفت بذكرها في الهوامش لا غير، لندرة تناولها.

فهرس الموضوعات


وزارة الثقافة
مديرية الثقافة لولاية جيجل
المكتبة المتنقلة



المسك
el musk EDITIONS

I.S.B.N
9 789931 305002

